آفات على الطريق

## **الدكتور : السيد محمد نوح**

**الجزء الأول**

**آفات على الطريق**

بسم لله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وأصحابه والسالكين سبيله والداعين بدعوته إلى يوم الدين بعد ......

**فإن توضيح معالم الطريق أمام العاملين الفارين بدينهم إلى ربهم كي يعدوا لكل أمر عدته ويأخذوا لكل شئ أهبته فلا ينقطعوا ولا يتوانوا ولا يتأخروا عن ركب النجاة ضرورة لا مفر منها ولا محيص عنها توجبها الدعوة إلى الله والجهاد من أجل التمكين لدينه في الأرض .**

**ولعل من أهم هذه المعالم :أن هناك آفات يمكن أن يصاب بها بعض العاملين بل قد تصيبهم بالفعل فتقعد بهم عن أداء دورهم والقيام بواجبهم .**

**ويطيب لنا في هذا المقام : أن نعرض لهذه الآفات بشيء من التحليل والبيان كي يحذرها العاملون ويتطهروا منها .**

**و على الله قصد السبيل**

**أبو عبد الرحمن**

**الآفة الأولي**

**الفتور**

**معناه :**

**لغة : يطلق الفتور على معنيين :**

**أ) الانقطاع بعد الاستمرار أو السكون بعد الحركة .**

**ب)الكسل أو التراخي أو التباطؤ بعد النشاط والجد .**

**جاء في لسان العرب :**

**( وفتر الشيء ، والحر ، وفلان يفتر ، ويفتر فتوراً وفتاراً : سكن بعد حدة ولان بعد شدة ).**

**اصطلاحا : أما في الاصطلاح فهو داء يمكن أن يصيب بعض العاملين بل قد يصيبهم بالفعل . أدناه : الكسل أو التراخي أو التباطؤ . وأعلاه : الانقطاع أو السكون بعد النشاط الدائب والحركة المستمرة .**

**قال تعالى عن الملائكة :**

**{ وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون }.**

**أي (أنهم في عبادة دائمة ينزهون الله عما لا يليق به ويصلون ويذكرون الله ليل نهار لا يضعفون ولا يسأمون ).**

**أسبابه :**

**ويمكن أن يدخل الفتور إلى النفس بسبب من الأسباب التالية :**

**(‍1) الغلو والتشدد في الدين :**

**بالانهماك في الطاعات وحرمان البدن حقه من الراحة والطيبات فإن هذا من شأنه أن يؤدى إلى الضعف أو السأم والملل وبالتالي : الانقطاع والترك بل ربما أدى إلى سلوك طريق أخرى عكس الطريق التي كان عليها فينتقل العامل من الإفراط إلى التفريط ومن التشدد إلى التسيب وهذا أمر بديهي إذ للإنسان طاقة محدودة فإذا تجاوزها اعتراه الفتور فيكسل أو ينقطع ولعل ذلك هو السر في تحذير الإسلام الشديد ونهيه الصريح عن الغلو ، والتنطع ، والتشديد إذ يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ( إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين ) ، ( هلك المتنطعون ) قالها ثلاث يعنى : المتعمقين المجاوزين الحدود في أقوالهم أفعالهم.**

**( لا تشددوا على أنفسكم ، فيشدد عليكم ، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع ، والديارات - رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ) ، ( إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه .... )**

**وعن أنس رضى الله عنه - قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم - في السر ، فلما أخبروها كأنهم تقالوها ، وقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم - قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبداً ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الثالث : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم - إليهم فقال :**

**( أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم إلى لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس منى ) ، وعن عائشة رضى الله تعالى عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل عليها وعندها امرأة ، فقال من هذه ؟ قالت : هذه فلانة تذكر من صلاتها ، قال :صلى الله عليه وسلم مه عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يمل الله حتى تملوا ) وكان أحب الدين ما داوم صاحبه عليه ) ، ( اكفلوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا ، وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قلّ )**

**وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما - قال : كانت مولاة للنبي - صلى الله عليه وسلم - تصوم النهار ، وتقوم الليل ، فقيل له : إنها تصوم النهار وتقوم الليل فقال - صلى الله عليه وسلم - :( إن لكل عمل شرة ولكل شرة فترة ، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل ) .**

**2- السرف ومجاوزة الحد في تعاطى المباحات :**

**فإن هذا من شأنه أن يؤدى إلى السمنة وضخامة البدن ، وسيطرة الشهوات ، وبالتالي التثاقل ، و الكسل و التراخي ، إن لم يكن الانقطاع و القعود ، ولعل ذلك هو السر في نهي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وتحذيرهما من السرف ، قال تعالى :{ يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين } .**

**وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :( ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه ... )[[1]](#footnote-2)**

**وقد أدرك سلف الأمة ما يصنعه السرف و التوسع في المباحات بصاحبه ، فحذروا منه ، إذ تقول أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - :( أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيها الشبع ، فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم ، فضعفت قلوبهم وجمحت شهواتهم ) [[2]](#footnote-3)**

**وإذا يقول عمر - رضى الله تعالى عنه - :( إياكم و البطنة في الطعام و الشراب ، فإنها مفسدة للجسد ، مورثة للسقم ، مكسلة عن الصلاة ، وعليكم بالقصد فيهما ، فإنه أصلح للجسد ، وابعد من السرف ،وإن الله تعالى ليبغض الحبر السمين ، وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه )[[3]](#footnote-4)**

**وإذ يقول أبو سلمان الدارانى:( من شبع دخل عليه ست آفات : فقد حلاوة المناجاة ، وحرمان الشفقة على الخلق - لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع - وثقل العبادة - وزيادة الشهوات ، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد ، والشباع يدورون حول المزابل ).[[4]](#footnote-5)**

**3- مفارقة الجماعة ، وإيثار حياة العزلة و التفرد : ذلك أن الطريق طويلة الأبعاد ، متعددة المراحل ، كثيرة العقبات في حاجة إلى تجديد ، فإذا سارها المسلم مع الجماعة ، وجد نفسه دوماً ، متجدد النشاط ، قوى الإرادة ، صادق العزيمة ، أما إذا شذّ عن الجماعة وفارقها ، فإنه سيفقد من يجدد نشاطه ، ويقوى إرادته ، ويحرك همته ، ويذكره بربه فيسأم ويمل ، وبالتالي يتراخى ويتباطأ ، إن لم ينقطع ويقعد.**

**ولعل هذا بعض السر في حرص الإسلام وتأكيده وتشديده على الجماعة ، وتحذيره من مفارقتها ، و الشذوذ عنها إذ يقول الله تعالى { واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا }**

**{ وتعاونوا على البر و التقوى ولا تعاونوا على الإثم و العدوان ...}**

**{ وأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ... }**

**{ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم }**

**وإذ يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -**

**( .... عليكم بالجماعة ،وإياكم و الفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة )[[5]](#footnote-6)**

**( من فارق الجماعة شبراً ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه )[[6]](#footnote-7)**

**( وآمركم بالسمع و الطاعة ، و الهجرة و الجهاد ، و الجماعة ، فإن من فارق الجماعة شبراً فمات إلا كانت ميتته ميتة جاهلية )[[7]](#footnote-8)**

**( الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم ، أعظم أجراً من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم )[[8]](#footnote-9)**

**وقد أدرك سلف الأمة ذلك فلزموا الجماعة ، ورغبوا فيها ، وأكدوا عليها ، يقول علىّ رضى الله عنه :\_( كدر الجماعة خير من صفو الفرد )**

**ويقول عبد الله بن المبارك :**

**لولا الجماعة ما كانت لنا سبل ولكان أضعفنا نهباً لأقوانا**

**4- قلة تذكر الموت و الدار الآخرة :**

**فإن ذلك من شأنه أن يؤدى إلى فتور الإرادة ، وضعف العزيمة ، وبطء النشاط و الحركة ، بل قد يؤدى إلى الوقوف والانقطاع ، ولعلنا في ضوء هذا نفهم الحكمة من أمره صلى الله عليه وسلم - بزيارة القبور بعد النهي و التحذير ، إذ يقول :( إني نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها فإن فيها عبرة )[[9]](#footnote-10) وفي رواية :( كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروا القبور ، فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة ) كما نفهم الحكمة من حضه صلى الله عليه وسلم من تذكر الموت ، وانتهاء الأجل إذ يقول :**

**( أيها الناس استحيوا من الله حق الحياء ، فقال رجل : يا رسول الله إنا نستحي من الله تعالى ؟ فقال : من كان منكم مستحيياً فلا يبيتن ليلة إلا وأجله بين عينيه ، وليحفظ البطن وما حوى و الرأس وما وعى وليذكر الموت و البلى ، وليترك زينة الدنيا )[[10]](#footnote-11)**

**5- التقصير في عمل اليوم و الليلة :**

**مثل النوم عن الصلاة المكتوبة بسبب السمر الذي لا مبرر له بعد العشاء ، ومثل إهمال بعض النوافل الراتبة ، وترك قيام الليل ، أو صلاة الضحى ، أو تلاوة القرآن ، أو الذكر أو الدعاء ، أو الاستغفار ، أو التخلف عن الذهاب إلى المسجد ، أو عدم حضور الجماعة بدون عذر ، فكل ذلك وأمثاله له عقوبات ، وأدنى هذه العقوبات : الفتور بأن يكسل ويتثاقل أو ينقطع ويتوقف .**

**وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم - في حديثه إلى شئ من هذا إذ يقول :**

**( يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد : يضرب كل عقدة ، عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ وذكر الله انحلت عقدة ، وإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان ) [[11]](#footnote-12)**

**6- دخول جوفه شئ محرم أو به شبهة : إما بسبب تقصيره وعدم إتقانه للعمل اليومي الذي يتعيش منه ، وإما بسبب تعامله فيما نسميه شبهة ، وإما بسبب غير ذلك ، فمثل هذا يعاقب من سيده ومولاه ، وأدني عقاب في الدنيا ، أن يفتر فيقعد ويرقد عن الطاعات ، أو على الأقل يكسل ويتثاقل فلا يجد للقيام لذة ، ولا للمناجاة حلاوة .**

**ولعل هذا هو سر دعوة الإسلام إلى أكل الحلال وتحريه ، والابتعاد عن الحرام ، وما كانت به أدنى شبهة، إذ يقول الله عز وجل :**

**{ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين }**

**{ فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون }**

**{ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ، إني بما تعملون عليم }**

**وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم :( كل جسد نبت من سحت - أي من حرام - فالنار أولى به )**

**، ( الحلال بين و الحرام بين وبينهما أمور مشتبهة فمن ترك ما يشتبه عليه من الإثم كان لما استبان أترك ، ومن اجترأ على ما يشك فيه من الإثم ، أوشك أن يواقع ما استبان ، و المعاصي حمى الله ، من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه )[[12]](#footnote-13) (دعما يريبك إلى ما لا يريبك ) ، ويربى النبي - صلى الله عليه وسلم - المسلمين عملياً على ذلك حين يجد تمرة في الطريق ويرفض أكلها قائلاً :( لولا أنى أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها )**

**وعلى هذا المنهج سار سلف الأمة ، فكانوا يفتشون ويتحرون عن كل ما يتعلق بحياتهم من الطعام و الشراب واللباس و المركب .... الخ وإذا وجدوا شيئاً شابته شائبة أو أدنى شبهة اجتنبوه ، مخافة أن يجرهم إلى الحرام ، فتفسد قلوبهم ، فيحرموا العمل أو يحرموا قبوله .**

**عن عائشة - رضى الله تعالى عنها - قالت :( كان لأبى بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - غلام يخرج له الخراج ، فجاء في يوم بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام : أتدرى ما هذا ؟ فقال أبو بكر وما هو ؟ ؟ قال : كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية ، وما أحسن الكهانة ، إلا أنى خدعته ، فلقيني ، فأعطاني بذلك هذا الذي أكلت منه ، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شئ أكله )[[13]](#footnote-14)**

**7- اقتصار العامل على جانب واحد من جوانب الدين : كأن يجعل همه العقيدة فحسب ، ملغياً كل شئ غيرها من حسابه ، أو يجعل همه الشعائر التعبدية ، تاركاً كل ما سواها ، أو يقتصر على فعل الخيرات وراعية الآداب الاجتماعية ، غاضاً الطرف عما عداها فكل هؤلاء وأمثالهم تأتى عليهم أوقات يصابون فيها لا محالة بالفتور ، وهذا أمر بديهي ، نظراً لأن دين الله موضوع لاستيعاب الحياة كلها ، فإذا اقتصر واحد من الناس على بعضه فكأنما أراد أن يحيا بعض الحياة ، لا كل الحياة ، ثم إذا بلغ الذروة في هذا البعض يتساءل : وماذا بعد ؟ فلا يجد جواباً سوى الفتور إما بالعجز وإما بالكسل .**

**ولعل ذلك هو أحد أسرار الدعوة إلى أخذ منهج الله كلاً بلا تبعيض ، ولا تجزيء :**

**{ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين } ،أي اعملوا بجميع شعب الإيمان ، وشرائع الإسلام ، ولا تسيروا خلف الشيطان ، لما يكنه لكم من العداوة و البغضاء فيصرفكم عن منهج الله بالكلية ، أو عن بعضه فتفتروا وتضيعوا ....**

**8- الغفلة عن سنن الله في الكون و الحياة : فإننا نرى صنفاً من العاملين لدين الله يريد أن يغير المجتمع كله - أفكاره ومشاعره ،وتقاليده وأخلاقه وأنظمته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في يوم وليلة بأساليب ووسائل هي إلى الوهم والخيال أقرب منها إلى الحقيقة و الواقع ، مع شجاعة وجرأة وفية ، لا تستكثر تضحية وإن غلت ، ولا تعبأ بالموت سعت إليه أو سعى إليها ، ولا تهتم بالنتائج أياً كانت ، ما دامت نيتها لله ، وما دام هدفها إعلاء كلمة الله ، غير واضعين في حسابهم سنن الله في الكون و الحياة : من ضرورة التدرج في العمل ، ومن أن الغلبة إنما تكون للأتقى ، فإذا لم يكن فللأقوى ، ومن أن لكل شئ أجلا مسمى لا يقدم ولا يؤخر .... الخ فإذا ما نزلوا إلى أرض الواقع ، وكان غير ما أملوا ، وما أرادوا وما عملوا ، فتروا عن العمل إما بالكسل و التواني و التراخي ، وإما بالقعود والانسلاخ و الترك .**

**9-التقصير في حق البدن بسبب ضخامة الأعباء وكثرة الواجبات وقلة العاملين :**

**ذلك أننا نجد بعض العاملين ينفقون كل ما يملكون من جهد ووقت وطاقة في سبيل خدمة هذا الدين ، ضانين على أنفسهم بقليل الراحة و الترويح فهؤلاء وأمثالهم ، وإن كانوا معذورين بسبب ضخامة الأعباء ، وكثرة الواجبات وقلة العاملين ، إلا أنه تأتى عليهم أوقات يفترون عن العمل لا محالة .**

**ولعل هذا هو سر تأكيده - صلى الله عليه وسلم - على حق البدن مهما تكن الأعذار و المبررات إذ يقول :" إن لربك عليك حقاً ، وإن لنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه " وفي رواية أخرى :" فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزويك عليك حقاً "[[14]](#footnote-15)**

**10- عدم الاستعداد لمواجهة معوقات الطريق : ذلك أننا نجد بعض العاملين يبدءون السير في الطريق دون أن يقفوا على معوقاته ، من زوجة أو ولد ، أو إقبال دنيا ، أو امتحان ، أو ابتلاء ،أو نحو ذلك ، و بالتالي لا يأخذون أهبتهم ، ولا استعدادهم ،وقد يحدث أن يصدموا أثناء السير بهذه المعوقات ، أو ببعضها ، فإذا هم يعجزون عن مواجهتها ،فيفترون عن العمل إما بالكسل و التراخي ، وإما بالوقوف والانقطاع .**

**وهذا سر تنبيه القرآن الكريم ، وتحذيراته المتكررة من معوقات الطريق إذ يقول سبحانه :**

**{ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ، وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ، إنما أموالكم وأولادكم فتنة وإن الله عنده أجر عظيم } ، { واعلموا إنما أموالكم وأولادكم فتنة } ، { ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ... } ، { ألم \* أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون \* ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين } ، { ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم و الصابرين ونبلوا أخباركم } .**

**11-صحبة ذوى الإرادات الضعيفة و الهمم الدانية : فقد يحدث أن يصحب العامل نفراً ممن لهم ذيوع و شهرة ،وحين يقترب منهم ويعايشهم يراهم خاوين فاترين في العمل ، كالطبل الأجوف ، فإن مضى معهم عدوه- كما يعدى الصحيحَ الأجربُ - بالفتور و الكسل .**

**وهذا هو سر تأكيده صلى الله عليه وسلم على ضرورة انتقاء واصطفاء الصاحب ، إذ يقول :( المرء على دين خليله فلينظر أحدكم إلى من يخالل ) [[15]](#footnote-16) .**

**( إنما مثل الجليس الصالح و الجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك : إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير ، إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة ) .**

**12- العفوية في العمل سواء على المستوى الفردي أو الجماعي : ذلك أن كثيراً من العاملين أفراداً كانوا أو جماعات يمارسون العمل لدين الله بصورة عفوية لا تتبع منهجاً ، ولا تعرف نظاماً ، فيقدمون الأمور الثانوية أو التي ليست بذي بال ويؤخرون بل ويهملون الأمور الرئيسية و التي لابد منها من أجل التمكين لدين الله ، وهذا يؤدى إلى أن تطول الطريق وتكثر التكاليف و التضحيات ، فيكون الفتور غالباً ، إن لم تتدخل يد الله بالرعاية و التأييد و الثبات .**

**ولعلنا في ضوء هذا نفهم سر وصيته صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما وجهه إلى اليمن إذ قال له : إنك تأتى قوما من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب .**

**إن الحديث قاعدة رئيسية في منهجية العمل ، وترتيبه ودقته .**

**13- الوقوع في المعاصي و السيئات ولاسيما صغائر الذنوب مع الاستهانة بها :**

**فإن ذلك ينتهي بالعامل لا محالة إلى الفتور ، وصدق الله الذي يقول :**

**{ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول :( إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلاً ، كمثل قوم نزلوا إلى أرض فلاة ، فحضر صنيع القوم ، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود و الرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سواداً ، وأججوا ناراً ، وأنضجوا ما قذفوا فيها )[[16]](#footnote-17) ، ( إن المؤمن إذا أذنب ذنباً ، نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه ، فذلك الران الذي ذكره - عز وجلّ - { كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون } .**

**تلك هي الأسباب التي توقع في الفتور غالباً .**

**آثاره :**

**وللفتور آثار ضاره ، ومهلكة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي :**

**على العاملين : فمن آثاره على العاملين قلة رصيدهم - على الأقل - من الطاعات ، وربما قبض أحدهم وهو فاتر كسلان ، فيلقى الله مقصراً مفرطاً ، لذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم :( اللهم إني أعوذ بك منالهم و الحزن وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن و البخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ) .[[17]](#footnote-18)**

**( اللهم اجعل خير عمري آخره اللهم اجعل خواتيم عملي رضوانك ، اللهم اجعل خير أيامي يوم ألقاك ) .... ( ..... اجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتيمه ، وخير أيامي يوم ألقاك فيه )[[18]](#footnote-19)**

**وكان من بشرياته لأمته :( إذا أراد اله بعبد خيراً استعمله ، قيل كيف يستعمله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه )[[19]](#footnote-20)**

**وكان من وصيته لها :( إن العبد ليعمل بعمل أهل النار ، وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار ، وإنما الأعمال بالخواتيم )[[20]](#footnote-21)**

**( لا تعجبوا لعمل عامل حتى تنظروا بم يختم له )[[21]](#footnote-22)**

**وكان من تأثر الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - لما مرض مرض الموت إذ جاء : أنه لما مرض بكى فقال :0 إنما أبكى لأنه أصابني على حال فترة ، ولم يصبني على حال جهاد )[[22]](#footnote-23) ويقصد أن المرض أصابه وهو في حال سكون وتقليل من العبادات و المجاهدات .**

**على العمل الإسلامي : ومن آثاره على العمل الإسلامي طول الطريق ، وكثرة التكاليف و التضحيات ، إذ مضت سننه سبحانه : ألا يعطى النصر و التمكين للكسالى و الغافلين و المنقطعين ، وغنما لعاملين المجاهدين الذين اتقنوا العمل ، واحسنوا الجهاد :**

**{ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً }**

**{ إن الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون }**

**{ و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين }**

**علاجه :**

**ولما كان الفتور يؤدى إلى الآثار و المخاطر التي ذكرنا لزم التحرز و التطهر منه ويستطيع العاملون التحرز و التطهر منه على النحو التالي :**

**1- البعد عن المعاصي و السيئات كبيرها وصغيرها ، فإنها نار تحرق القلوب ، وتستوجب غضب الله ، ومن غضب عليه ربه فقد خسر خسراناً مبينا ً ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى }**

**2- المواظبة على عمل اليوم و الليلة : من ذكر ودعاء وضراعة ، أو استغفار ، أو قراءة قرآن ، أو صلاة ضحى ، أو قيام ليل ، ومناجاة ولاسيما في وقت السحر ، فإن ذلك كله مولد إيماني جيد ، ينشط النفوس ويحركها ويعلى الهمم ، ويقوى العزائم ، قال تعالى**

**{ وهو الذي جعل الليل و النهار خلفة ، لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً }**

**{ يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً ..... سنلقى عليك قولاً ثقيلاً ... }**

**وقال النبي صلى الله عليه وسلم :( من نام عن حزبه من الليل ، أو على شئ منه ، فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل )[[23]](#footnote-24)**

**3- ترصد الأوقات الفاضلة و العمل على إحيائها بالطاعات ، فإن هذا مما ينشط النفوس ، ويقوى الإرادات يقول : صلى الله عليه وسلم:**

**( ..... فسددوا وقاربوا وأبشروا واستيعنوا بالغدوة و الروحة وشئ من الدلجة )**

**4- التحرر من التشدد و الغلو في دين الله ، فإن ذلك مما ينشط ويساعد على الاستمرار ، عن عائشة - رضى الله تعالى عنها - قالت :**

**( كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصير ، وكان يحجره من الليل فيصلى فيه فجعل الناس يصلون بصلاته ، ويبسطه بالنهار فثابوا ذات ليلة فقال :( يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل ) وكان آل محمد صلى الله عليه وسلم إذا عملوا عملاً أثبتوه .[[24]](#footnote-25)**

**ولا جرم أن نشير هنا إلى أن التحرر من التشدد و الغلو لا يعنى الترك والإهمال ، بل يعنى الاقتصاد و التوسط مع المحافظة عل ما اعتاده من العمل ، ومع اتباع السنة ، قال عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :( يا عبد الله لا تكن مثل فلان ، كان يقوم الليل فترك قيام الليل ) ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :( فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ) .**

**5- دفن النفس في أحضان الجماعة ، وعدم اعتزالها أو الشذوذ عنها بحال من الأحوال ، وحسبنا قوله صلى الله عليه وسلم :( الجماعة رحمة و الفرقة عذاب )[[25]](#footnote-26) ، ( يد الله مع الجماعة )[[26]](#footnote-27) ، وقول على رضى الله عنه - المذكور آنفاً :( كدر الجماعة خير من صفو الفرد )**

**6- الانتباه إلى سنن الله في الإنسان والكون { فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً } من استفراغ الطاقة وبذل الجهد الإنساني أولاً { ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض } ، ومن التدرج في العمل ، كما قالت أم المؤمنين عائشة - رضى الله تعالى عنها - ( إنما أنزل أول ما أنزل من القرآن سور فيها ذكر الجنة و النار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال و الحرام ، ولو نزل أول شئ ، لا تشربوا الخمر ، ولا تزنوا لقالوا : لا ندع الخمر ولا الزنى أبداً )[[27]](#footnote-28) وكما عبر عنه عمر بن عبد العزيز - رضى الله تعالى عنه - خامس الخلفاء الراشدين ، فقد أراد أن يعود بالحياة إلى هدى الخلفاء الأربعة ، لكن بعد أن يتمكن ويمسك الخيوط في يديه ، وكان له ابن يقال له عبد الملك ، فيه فتوة وحماس وحيوية وتقى ، فأنكر على أبيه البطء ، وعدم الإسراع في إزالة كل بقايا الانحراف و المظالم ، حتى تعود الحياة سيرتها الأولي أيام الراشدين ، إذ قال له يوماً :**

**( ما لك يا أبت لا تنفذ الأمور ؟ فوالله ما أبالي ، لو أن القدور غلت بي وبك في الحق ) .**

**فكان جواب الأب الفقيه :( لا تعجل يا بنى فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين ، وحرمها في الثالثة ، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدعوه جملة فيكون من ذا فتنة ) [[28]](#footnote-29)... الخ**

**7- الوقوف على معوقات الطريق من أول يوم في العمل : حتى تكون الأهبة ، ويكون الاستعداد لمواجهتها و الغلب عليها فلا يبقى مجال لفتور أو انقطاع .**

**8- الدقة و المنهجية في العمل على معنى مراعاة الأولويات وتقديم الأهم ، وعدم الدخول في معارك جانبيه ، أو مسائل جزئية هامشية.**

**9- صحبة الصالحين المجاهدين من عباد الله : إذ أن هؤلاء لهم من الصفاء النفسي والإشراق القلبي ، والإشعاع الروحي ، ما يسبى ، ويجذب بل ما يحرك الهمم و العزائم ، ويقوى الإرادات ، وقد لفت النبي صلى الله عليه وسلم الأنظار إلى ذلك حين قال :**

**( ألا أخبركم بخير الناس ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : من تذكركم رؤيته بالله عز وجل )[[29]](#footnote-30)**

**10- إعطاء البدن حقه من الراحة و الطعام و الشراب مع الاعتدال في ذلك ، فإن هذا مما يجدد نشاط الجسم ويعيد إليه قوته وحيويته .**

**وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم العاملين إلى ذلك ، فقد دخل مرة المسجد فرأي حبلاً ممدوداً بين ساريتين ، فقال :( ما هذا الحبل ؟ قالوا : هذا حبل لزينب ، فإذا فترت تعلقت به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :( حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليرقد )[[30]](#footnote-31)**

**وقال أيضاً : إذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه )[[31]](#footnote-32)**

**11- الترفيه عن النفس بالمباحات ، من مداعبة الأهل ، أو ملاعبة الأولاد ، أو القيام ببعض الرحلات النهرية للتجديف ، أو القمرية للرياضة ، و التدبر و التفكر ، أو الجبلية للصعود و التسلق ، أو الصحراوية للتمرس و التعود على مواجهة مشاق الحياة ، أو الحقلية أو غير ذلك ، فإن هذا مما يطرد السأم و الملل ، ويقضى على الفتور والكسل ، بحيث يعود المسلم إلى ممارسة نشاطه ، وكأنما ولد من جديد ، أو صار خلقاً آخر .**

**عن أبى ربعي حنظلة ابن الربيع الأسيدى الكاتب ، أحد كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقيني أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة و النار كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد ، و الضيعات ونسينا كثيراً ، قال أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :وما ذاك ؟ قلت : يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالجنة و النار كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد ، و الضيعات ونسينا كثيراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :( والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي و في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم ، وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ) [[32]](#footnote-33) ثلاث مرات .**

**12- دوام النظر و المطالعة في كتب السيرة و التاريخ و التراجم ، فإنها مشحونة بكثير من أخبار العاملين المجاهدين ، أصحاب العزائم القوية والإرادات الصادقة التي تسرى عن النفس ، وتسليها وتولد فيها حب الاقتداء و التأسي وصدق الله - سبحانه وتعالى - الذي يقول :**

**{ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب }**

**وعلى سبيل المثال حين يقرأ المسلم عن عمر بن عبد العزيز أنه كان إذا فتر في الوقت من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس وارتفاعها قليلاً أخذ يدور في صحن بيته ، ويردد على نفسه :**

**وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدر أي المحلين تنزل**

**حين يقرأ المسلم ذلك تتحرك مشاعره وأحاسيسه فينشط ويجاهد نفسه ليكون ضمن قافلة العاملين المجاهدين .**

**13- تذكر الموت وما بعده من سؤال القبر وظلمته ووحشته ، و البعث و الحشر ... الخ فإن هذا مما يوقظ النفس من نومها ، ويوقفها من رقدتها ، وينبهها من غفلتها ، فتنشط وتتابع السير ، وخير وسيلة لتذكر الموت الذهاب إلى القبور - ولو مرة كل أسبوع - وزيارتها للاعتبار بأحوال أهلها :( كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها فإن فيها عبرة )**

**= وجاء عن ابن السماك الواعظ : أنه كان قد حفر حفرة في بيته كأنها قبر ، وكلما أحس من نفسه فتوراً أو كسلاً ، نزل إلى هذه الحفرة واستلقى كأنما قد مات ، ثم يتخيل أنه قد سئل ، وأن أعماله قد قصرت به ، ويأخذ في الاستغاثة و الصراخ وطلب العودة قائلاً :**

**{ رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت ..}**

**وبعد طول استغاثة وطلب يجيب نفسه ، ها أنت يا ابن السماك قد أعطيت فرصة أخرى ، ثم يقوم من قبره ، وكأنما نشط من عقال .**

**14- تذكر الجنة و النار ، وما فيهما من النعيم و العذاب ، فإن ذلك مما يذهب النوم عن الجفون ، ويحرك الهمم الساكنة و العزائم الفاترة ، جاء عن ابن هرم بن حيان أنه كان يخرج في بعض الليالي ، وينادى بأعلى صوته :( عجبت من الجنة كيف ينام طالبها ، وعجبت من النار كيف نام هاربها ، ثم يقول : { أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسناً بياتاً وهم نائمون } )[[33]](#footnote-34) .**

**15- حضور مجالس العلم ، إذ العلم حياة القلوب وربما سمع العامل كلمة من عالم صادق مخلص ، فنشطته سنة كاملة ، بل الدهر كله وصدق الله الذي يقول :**

**{ إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ } ، { وقل رب زدني علماً }**

**16- أخذ هذا الدين بعمومه وشموله ، دون التخلي عن شئ منه ، فإن ذلك يضمن الدوام والاستمرار ، حتى تنقضي الحياة ونلقى الله .**

**17- محاسبة النفس و التفتيش فيها دائماً ، فإن ذلك مما يبصر بالعيوب في بدايتها ، فتسهل معالجتها :**

**{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون .... }**

**الآفة الثانية**

**الإسراف**

**والآفة الثانية التي تصيب العالمين ولابد أن يتخلصوا منها وأن يتحصنوا ضدها إنما هي الإسراف ولكي يكون حديثنا عن إسراف العاملين واضحاً محدد المعلم سنجعله يدور على النحو التالي :**

**أولاً : معنى الإسراف**

**لغة : الإسراف في اللغة يطلق ويرد به :**

**(أ) ما نفق من غير طاعة .**

**(ب**) أو التبذير ومجاوزة الحد .[[34]](#footnote-35)

اصطلاحا : أما في اصطلاح الدعاة فيراد به مجاوزة حد الاعتدال في الطعام والشراب واللباس والسكنى ونحو ذلك من الغرائز الكامنة في النفس البشرية .

**ثانياً أسباب الإسراف :**

وللإسراف أسباب وبواعث توقع فيه وتؤدى إليه ونذكر منه :

**(1) النشأة الأولي :**

فقد يكون السبب في الإسراف إنما هي النشأة الأولي أي الحياة الأولي ذلك أن المسلم قد ينشأ في أسرة حالها الإسراف والبذخ فما يكون منه سوى الإقتداء والتأسي إلا من رحم الله على حد قول القائل :

وينشئ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

ولعلنا بهذا ندرك شيئا من أسرار دعوة الإسلام وتأكيده على ضرورة إنصاف الزوجين والتزامهم بشرع الله وهديه :

{ وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ....}

{ ولا تَنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ,......}

( تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك ).[[35]](#footnote-36)

**(2) السعة بعد الضيق :**

وقد يكون الإسراف سببه السعة بعد الضيق أو اليسر بعد العسر ذلك أن كثيرا من الناس قد يعيشون في ضيق أو حرمان أو شدة أو عسر وهم صابرون محتسبون بل وماضون في طريقهم إلى ربهم وقد يحدث أن تتغير الموازين وأن تتبدل الأحوال فتكون السعة بعد الضيق أو اليسر بعد العسر وحينئذ يصعب على هذا الصنف من الناس التوسط أو الاعتدال فينقلب على النقيض تماما فيكون الإسراف أو التبذير .

ولعلنا بهذا ندرك بعض الأسرار التي من أجلها حذر الشارع الحكيم من الدنيا وأوصى بأن يكون النيل منها بقدر .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم فأبشروا وأملوا ما يسركم فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها تهلككم كما أهلكتم ).[[36]](#footnote-37)

( إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعلمون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء ).[[37]](#footnote-38)

**(3) صحبة المسرفين :**

وقد يكون في الإسراف إنما هي صحبة المسرفين ومخالطتهم ذلك أن الإنسان غالبا ما يتخلق بأخلاق صاحبه وخليله لاسيما إذ طالت هذه الصحبة وكان هذا الصاحب قوى الشخصية شديد التأثير .

ولعلنا بذلك ندرك السر في تأكيد الإسلام وتشديده على ضرورة انتقاء الصحاب أو الخليل ولقد مرت بنا بعض النصوص الدالة على ذلك أثناء الكلام عن أسباب الفتور .

**(4) الغفلة عن زاد الطريق :**

وقد يكون السبب في الإسراف إنما هي الغفلة عن زاد الطريق ذلك أن الطريق الموصلة إلى رضوان الله والجنة ليست طريقاً مفروشة بالحرير والورود والرياحين بل بالأشواك والدموع والعرق والدماء والجماجم وولوج هذه الطريق لا يكون بالترف والنعومة والاسترخاء وإنما بالرجولة والشدة ذلك هو زاد الطريق والغفلة عن هذا الزاد توقع المسلم العامل في الإسراف .

ولعلنا بذلك ندرك سر حديث القرآن المتكرر المتنوع عن طبيعة الطريق : { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب }.

{ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين }.......إلى غير ذلك من الآيات.

**(5) الزوجة والولد :**

وقد يكون السبب في الإسراف إنما هي الزوجة والولد .

إذ قد يبتلى المسلم بزوج وولد دأبهم وديدنهم الإسراف وقد لا يكون حازما معهم فيؤثرون عليه وبمرور الأيام وطول المعاشرة ينقلب مسرفا مع المسرفين .

ولعلنا بذلك نفهم بعض الأسرار التي قصد إليها الإسلام حين أكد ضرورة انتقاء واختيار الزوجة وقد قدمت بعض النصوص الدالة على ذلك قريبا أثناء الحديث عن السبب الأول وحين أكد على ضرورة الاهتمام بتربية الولد والزوجة .

{ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون }

( ألا كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤل عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤل عن رعيته والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤلة عن عنهم ......الحديث ). [[38]](#footnote-39)

**(6) الغفلة عن طبيعة الحياة الدنيا وما ينبغي أن تكون :**

وقد يكون السبب في الإسراف إنما هي الغفلة عن طبيعة الحياة الدنيا وما ينبغي أن تكون ذلك أن طبيعة الحياة الدنيا أنها لا تثبت ولا تستقر على حال واحد بل هي متقلبة تكون لك اليوم وعليك غدا وصدق الله العظيم :{ وتلك الأيام نداولها بين الناس }.

والواجب يقتضي أن نكون منها على وجل وحذر : نضع النعمة في موضعها وندخر ما يفيض عن حاجتنا الضرورية اليوم من مال وصحة ووقت إلى الغد أو بعبارة أخرى : ندخر من يوم إقبالها ليوم إدبارها .

تلك طبيعة الحياة الدنيا وهذا ما ينبغي أن تكون والغفلة عن ذلك قد توقع في الإسراف .

**(7) التهاون مع النفس :**

وقد يكوون السبب في الإسراف التهاون مع النفس ذلك أن النفس البشرية تنقاد وتخضع ويسلس قيادها بالشدة والحزم وتتمرد وتتطلع إلى الشهوات وتلح في الانغماس فيها بالتهاون واللين وعليه فإن المسلم العامل إذا تهاون مع نفسه ولبى كل مطالبها أوقعته لا محالة في الإسراف .

ولعلنا بذلك نفهم السر في تأكيد الإسلام على ضرورة المجاهدة للنفس أولا وقبل كل شئ :

{ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم }.

{ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها }.

{ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين }.

**(8) الغفلة عن شدائد وأهوال يوم القيامة :**

وقد يكون السبب في الإسراف إنما هي الغفلة عن الشدائد وأهوال يوم القيامة ذلك أن يوم القيامة يوم فيه من الشدائد والأهوال ما ينعقد اللسان وتعجز الكلمات عن الوصف والتصوير وحسبنا ما جاء في كتاب الله عز وجل ـ وسنة النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا اليوم.

ومن ظل متذكرا ذلك متدبرا فيه قضى حياته غير ناعم بشيء في هذه الحياة الدنيا أما من غفل عن ذلك فإنه يصاب بالإسراف والترف بل ربما ما هو أبعد من ذلك .

ولعلنا بهذا ندرك شيئا من أسرار دوام خشيته صلى الله وعيه وسلم لربه وقلة تنعمه ونيله من الحياة الدنيا ,

يقول صلى الله عليه ويسلم :

( لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ).[[39]](#footnote-40)

وفي رواية أخرى :

( وما تلذذتم بالنساء على الفراش ).

**(9) نسيان الذي تحياه البشرية عموما والمسلمون على وجه الخصوص :**

وقد يكون السبب في الإسراف إنما هو نسيان الواقع الذي تحياه البشرية عموما والمسلمون على وجه الخصوص :

ذلك أن البشرية اليوم تقف على حافة الهاوية ويوشك أن تتزلزل الأرض من تحتها فتسقط أو تقع في تلك الهاوية وحينئذ يكون الهلاك أو الدمار أما المسلمون فقد صاروا إلى حال من الذل والهوان يرثى لها ويتحسر عليها ومن بقى مستحضرا هذا الواقع وكان متبلد الحس ميت العاطفة فإنه يمكن أن يصاب بالترف والإسراف والركون إلى زهرة الدنيا وزينتها .

ولعلنا بذلك ندرك شيئا من أسرار حزنه واهتمامه صلى الله عليه وسلم بأمر البشرية قبل البعثة وبعدها حتى عاتبه ربه ونهاه عن ذلك :

{ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا } .

{ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين }.

{ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات }.

**(10) الغفلة عن الآثار المترتبة على الإسراف :**

وقد يكون السبب في الإسراف إنما هي الغفلة عن الآثار المترتبة على الإسراف ذلك أن للإسراف آثاراً ضارة وعواقب مهلكة على نحو الذي سنعرض له بعد قليل .

ولقد عرف من طبيعة الإنسان :أنه غالبا ما يفعل الشيء أو يتركه إذا كان على ذكر من آثاره وعواقبه أما إذا غفل عن هذه الآثار فإن سلوكه يختل وأفعاله تضطرب فيقع أو يسقط فيما لا ينبغي ويهمل أو يترك ما ينبغي .

وعليه فإن المسلم العالم إذا غفل عن الآثار المترتبة على الإسراف يكون عرضة للوقوع في الإسراف .

ولعلنا بذلك نفهم السر في اهتمام الإسلام بذكر الحكم والمقاصد المنوطة بكثير من الأحكام والتشريعات .

**ثالثاً : آثار الإسراف :**

هذا وللإسراف آثار ضارة وعواقب مهلكة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي وإليك طرفا من هذه الآثار :

**على العاملين :**

فمن آثاره على العاملين :

**(1) علة البدن :**

أي أن الأثر الذي يتركه الإسراف : إنما يكمن في علة البدن ذلك أن هذا البدن محكوم بطائفة من السنن والقوانين الإلهية بحيث إذا تجاوزها الإنسان بالزيادة أو بالنقص تطرقت إليه العلة وحين تتطرق إليه العلة فإنه يقعد بالمسلم عن القيام بالواجبات والمسؤليات الملقاة على عاتقه أو المنوطة به

**( 2 ) قسوة القلب :**

والأثر الثاني الذي يترتب على الإسراف : إنما هو قسوة القلب ذلك أن هذا القلب يرق ويلين بالجوع أو بقلة الغذاء ويقسو ويجمد بالشبع أو بكثرة الغذاء سنة الله { ولن تجد لسنة الله تحويلا }وحين يقسو القلب أو يجمد فإن صاحبه ينقطع عن البر والطاعات ، والويل كل الويل لمن كانت هذه حالة { فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله } وحتى لو جاهد المسلم نفسه وقام بالبر والطاعات فإنه لا يجد لها لذة ولا حلاوة بل لا يجنى من ورائها سوى النصب والتعب (... ورب قائم حظه من قيامه السهر )

**( 3 ) خمول الفكر :**

والأثر الثالث الذي يترتب على الإسراف إنما هو خمول الفكر ذلك أن نشاط الفكر وخموله مرتبط بعدة عوامل ، البطنة أحدها ، فإذا خلت البطنة نشط الفكر ، وإذا امتلأت اعتراه الخمول حتى قالوا قديما : ( إذا امتلأت البطنة نامت الفطنة )

ويوم أن يصاب الفكر بالخمول يوم أن يحرم المسلم الفقه والحكمة وحينئذ يفقد أخص الخصائص التي تميزه عن باقي المخلوقات .

**(4) تحريك دواعي الشر والإثم :**

والأثر الرابع الذي يخلقه الإسراف إنما هو تحريك دواعي الشر والإثم ذلك أن الإسراف يولد في النفس طاقة ضخمة ووجود هذه الطاقة من شأنه أن يحرك الغرائز الساكنة أو الكامنة في هذه النفس وحينئذ لا يؤمن على المسلم العامل الوقوع في الإثم والمعصية إلا من رحم الله ولعل ذلك هو السر في تأكيد الإسلام على الصوم لمن لم يكن قادرا على مؤن النكاح إذ يقول صلى الله عليه وسلم : ( يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء )

**( 5 ) الانهيار في ساعات المحن والشدائد :**

والأثر الخامس الذي يتركه الإسراف إنما هو الانهيار في ساعات المحن والشدائد ذلك أن المسرف قضى حياته في الاسترخاء والترف فلم يألف المحن والشدائد ومثل هذا إذا وقع في شدة أو محنة لا يلقى من الله أدنى عون أو تأييد فيضعف وينهار لأن الله عز وجل لا يعين ولا يؤيد إلا من جاهد نفسه وكان صادقا مخلصا في هذه المجاهدة { لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم } .

**(6) عدم الرعاية أو الاهتمام بالآخرين :**

والأثر السادس الذي يتركه الإسراف إنما هو عدم الرعاية أو الاهتمام بالآخرين ذلك أن الإنسان لا يرعى الآخرين ولا يهتم غالبا إلا إذا أضناه التعب وعصبته الحاجة كما أثر عن يوسف عليه السلام : أنه لما صار على خزائن الأرض ما كان يشبع أبدا فلما سئل عن ذلك قال : أخاف أن شبعت أن أنسى الجياع .

والمسرف مغمور بالنعمة من كلا جانب فأنى له أن يفكر أو يهتم بالآخرين .

**( 7) المساءلة غدا بين يدي الله :**

والأثر السابع المترتب على الإسراف إنما هي المساءلة غدا بين يدي الله كما قال سبحانه { ثم لتسألن يومئذ عن النعيم }.

ومجرد الوقوف بين يدي الله للمساءلة والمناقشة عذاب كما قال صلى الله عليه وسلم :(... من نوقش الحساب يوم القيامة عذب ).

**( 8) الوقوع تحت وطأة الكسب الحرام :**

والأثر الثامن الذي يتركه الإسراف إنما هو الوقوف تحت وطأة الكسب الحرام ذلك أن المسرف قد تضيق به أو تنتهي موارده فيضطر تلبية وحفاظا على حياة الترف والنعيم التي ألفها إلى الواقع والعياذ الله في الكسب الحرام وقد جاء في الحديث :( كل جسد نبت من سحت أي من حرام فالنار أولى به ).

**(9) أخوة الشياطين :**

والأثر التاسع يتركه الإسراف هي أخوة الشياطين كما قال سبحانه وتعالى :{ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا }.

وأخوة الشياطين تعنى الصيرورة والانضمام إلى حزبهم وإن ذلك لهو الخسران المبين والضلال البعيد { ألا أن حزب الشيطان هم الخاسرون } .

**(10) الحرمان من محبة الله :**

والأثر العاشر الذي يتركه الإسراف إنما هو الحرمان من محبة الله كما قال سبحانه :{.........إنه لا يحب المسرفين }.

على العمل الإسلامي :

وأما آثاره على العمل الإسلامي فتنحصر في :

سهولة القضاء عليه أـو على الأقل تأخيره إلى الوراء عشرات السنين نظرا لأن السلاح الوحيد الذي يواجه به المسلمون أعداء الله ألا وهو الإيمان إنما يتأثر أشد ما يكون التأثير بالإسراف والترف والراحة والنعيم .

تلك هي آثار الإسراف على العاملين وعلى العمل الإسلامي وقد مرت بنا أثناء الحديث عن أسباب الفتور عدة نصوص من كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف تتضمن إجمالا لكل هذه الآثار .

**رابعاً : الطريق لعلاج الإسراف :**

ومادامت هذه آثار وعواقب الإسراف وتلك أسبابه وبواعثه فإن طريق العلاج تتخلص في :

(1) التفكر في الآثار والعواقب المترتبة على الإسراف فإن ذلك من شأنه أن يحمل على تدارك الأمر والتخلص من الإسراف قبل فوات الأوان .

(2) الحزم مع النفس وذلك بفطمها عن شهواتها ومطالبها وحملها على الأخذ بكل شاق وصعب من قيام ليل إلى صوم تطوع إلى صدقة إلى مشى على الأقدام إلى حمل الأثقال ....ونحو ذلك .

(3) دوام النظر في سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته فإنها مليئة بالتحذير من الإسراف بل ومجاهدة النفس والأهل والعيش على الخشونة والتقشف إذ يقول صلى الله عليه وسلم :

( والمؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبع أمعاء ) وفي رواية : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضافه ضيف وهو كافر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب حلابها ثم أخرى فشربه ثم أخرى فشربه حتى شرب حلاب سبع شياه ثم أنه أصبح فأسلم فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فشرب حلابها ثم أمر بأخرى فلم يستتمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( والمؤمن يشرب في معي واحد والكافر يشرب في سبع أمعاء ) .

ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ).

وإذ تحكى أم عائشة رضى الله تعالى عنها لعروة بن الزبير بن أختها فتقول ( إن كنا لننظر إلى الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقدت في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ، فيقول لها عروة ، ما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر و الماء ، إلا أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار ، كان لهم منائح ، وكانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانهم فيسقيناه ) .

وإذ تقول أيضاً : ( كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدم وحشوه من ليف )

( ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض ) [[40]](#footnote-41)

بل كان من دعائه صلى الله عليه وسلم :( اللهم ارزق آل محمد قوتاً )[[41]](#footnote-42)

وأن المسلم العامل لدين الله حين يقف على ذلك ، وعلى غيره تتحرك مشاعره ،وتتأجج عواطفه فيترسم خطاه صلى الله عليه وسلم ويسير على هديه اقتداء وتأسياً وطمعاً في معيته في الجنة :

ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، ذلك الفضل من الله وكفي بالله عليماً } .

4- دوام النظر في سيرة سلف هذه الأمة ، من الصحابة المجاهدين و العلماء العاملين فقد اقتدى هؤلاء به صلى الله عليه وسلم فكان عيشهم كفافاً ، ولا هم لهم من الدنيا إلا أنها معبر أو قنطرة توصل للآخرة .

دخل عمر بن الخطاب على ابنه عبد الله - رضى الله تعالى عنهما - فرأي عنده لحماً ، فقال : ما هذا اللحم ؟ قال : أشتهيه قال : وكلما اشتهيت شيئاً أكلته ؟ كفي بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتهاه )[[42]](#footnote-43)

وأتى سلمان الفارسي أبا بكر الصديق - رضى الله تعالى عنهما - في مرضه الذي مات فيه فقال : أوصيني يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو يكر : ( إن الله فاتح عليكم الدنيا فلا يأخذن منها أحد إلا بلاغاً )[[43]](#footnote-44)

وكتب سعد بن أبى وقاص إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - وهو على الكوفة يستأذنه في بناء بيت يسكنه فوقع في كتابه :

( ابن ما يسترك من الشمس ويكنك من الغيث ، فإن الدنيا دار بلغة )[[44]](#footnote-45)

وحكى ميمون أن رجلاً من بنى عبد الله بن عمر - رضى الله تعالى عنهما - استكساه إزاراً قائلاً : قد تخرق إزاري ، فقال له عبد الله :( اقطع إزارك ثم اكتسه ) فكره الفتى ذلك فقال له :0 ويحك اتق الله ولا تكونن من القوم الذين يجعلون ما رزقهم الله تعالى في بطونهم وعلى ظهورهم ) ......

إلى غير ذلك من الأخبار المودعة في بطون الكتب المنثورة هنا وهناك .

وأن المسلم العامل حين يقف على هذه الأخبار يتحرك من داخله فيتولد عنه حب السير على نفس المنهج فتراه يطرح الترف و السرف ويعيش على الخشونة و التقشف ليكون ناجياً مع الناجين .

5- الانقطاع عن صحبة المسرفين ، مع الارتماء في أحضان ذوى الهمم العالية و النفوس الكبيرة ، الذين طرحوا الدنيا وراء ظهورهم ، وكرسوا كل حياتهم من أجل اسئناف حياة إسلامية كريمة ، تصان فيها الدماء والأموال والأعراض ، ويقام فيها حكم الله عز وجل في الأرض ، غير مبالين بما أصابهم ويصيبهم في ذات الله ، فإن ذلك من شأنه أن يقضى على كل مظاهر السرف والدعة و الراحة ، بل ويجنبنا الوقوع فيها مرة أخرى ، لنكون ضمن قافلة المجاهدين وفي موكب السائرين .

6- الاهتمام ببناء شخصية الزوجة و الولد فإن ذلك من شأنه أن يقضى على كل مظاهر الترف ، وأن يحول دون التورط فيها مرة أخرى ، بل ويعين على سلوك طريق الجادة حين تنقضي هذه الحياة بأشواكها وآلامها ونرد إلى ربنا فنلقى حظنا هناك من الراحة و النعيم المقيم .

7- دوام التفكر في الواقع الذي تحياه البشرية عموماً و المسلمون على وجه الخصوص ، فإن ذلك يساعد على التخلص من كل مظاهر الإسراف بل ويحول دون التلذذ أو التنعم بشيء من هذه الحياة ، حتى يمكن لمنهج الله وترفع الراية الإسلامية من جديد .

8- دوام التفكر في الموت ، وما بعده من شدائد وأهوال ، فإن ذلك أيضاً يعين على نبذ كل مظاهر الإسراف و الترف ، ويحول دون الوقوع فيها مرة أخرى استعداداً لساعة الرحيل ويوم اللقاء .

9- تذكر طبيعة الطريق ، وما فيها من متاعب وآلام ، وأن زادها ما يكون بالإسراف والاسترخاء و الترف بل بالخشونة و الحزم و التقشف ، فإن ذلك له دور كبير في علاج الإسراف ومجاهدة النفس و القدرة على اجتياز وتخطى المعوقات و العقبات .

**الآفة الثالثة**

**الاستعجال**

والآفة الثالثة التي يصاب بها بعض العاملين ولابد أن يحذروها وأن يتخلصوا منها إنما هي(الاستعجال) ولكي يكون لدنيا التصور الدقيق عن هذه الآفة سنتناولها على النحو التالي :

**أولاً : معنى الاستعجال :**

**لغة :** الاستعجال والإعجال كلها بمعنى واحد وهو : الاستحثاث وطلب العجلة أي السرعة أو استعجل الرجل الرجل حثه ، وأمره أن يعجل في الأمر ومنه قوله تعالى { ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم } .

أي لو عجل الله للناس الشر إذا دعوا به على أنفسهم عند الغضب وعلى أهليهم وأولادهم واستعجلوا به كما يستعجلون بالخير فيسألونه الخير والرحمة لقضى إليهم أجلهم فماتوا ).

**اصطلاحا :**

ومعناه في اصطلاح الدعاة إرادة تغيير الواقع الذي يحياه المسلمون اليوم في لمحة أو في أقل من طرفة عين دون نظر في العواقب ودون فهم للظروف والملابسات المحيطة بهذا الواقع ، ودون إعداد جيد للمقدمات أو للأساليب و الوسائل .

بحيث يغمض الناس عيونهم ثم يفتحونها أو ينامون ليلة ثم يستيقظون فإذا بهم يرون كل شئ عاد إلى وضعه الطبيعي في حياتهم : زالت الجاهلية من طريقهم ، ورفعت الراية الإسلامية من جديد ، ووجد كل إنسان إنسانيته ، وخلصت الفطرة من كل ما يكدرها ويعكر صفوها.

**ثانياً : نظرة الإسلام إلى الاستعجال :**

ولما كانت العجلة والاستعجال من طبيعة الإنسان بشهادة خالقه وصانعه ، ومدبر أمره { ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً } ، { خلق الإنسان من عجل ... } فإن الإسلام ينظر إلى الاستعجال نظرة عدالة وإنصاف ، فلا يحمده بالمرة ، ولا يذمه بالمرة ، وإنما يحمد بعضه ، ويذم البعض الآخر :

فالمحمود منه : ما كان ناشئاً عن تقدير دقيق للآثار و العواقب ، وعن إدراك تام للظروف و الملابسات ، وعن حسن إعداد وجودة ترتيب .

ولعل هذا النوع من الاستعجال هو المعنى في قوله تعالى حكاية عن موسى - عليه السلام - { وما أعجلك عن قومك يا موسى ؟ قال هم أولاء على أثرى وعجلت إليك رب لترضى } إذ الظروف مناسبة و الفرصة مواتية و العاقبة محمودة و النفس صافية مشرقة فما الذي يحمل موسى على التواني والتأخير ؟ .

المذموم منه : ما كان مجرد ثورة نفسية خالية من تقدير العاقبة ومن الإحاطة بالظروف و الملابسات ، ومن أخذ الأهبة والاستعداد .

وهذا النوع الأخير هو الذي عناه رسولنا الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم - حين قال لخباب بن الأرت - رضى الله تعالى عنه- وقد جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يشكو ما يلقاه هو وإخوانه من الأذى والاضطهاد ، ويطلب منه أن يستنصر ربه ، وأن يدعوه قال له :( كان الرجل فيمن كان قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق اثنتين ، وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله و الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون )[[45]](#footnote-46) وهو الذي نعنيه هنا أيضاً .

**ثالثاً : مظاهر الاستعجال :**

والاستعجال له مظاهر عديدة منها :

1- ضم أشخاص إلى قافلة الدعاة قبل الاستيثاق، و التأكد من مواهبهم وقدراتهم واستعداداتهم .

2- الارتقاء ببعض الدعاة إلى مستوى رفيع قبل اكتمال نضجهم واستواء شخصيتهم .

3- القيام بتصرفات طائشة صغيرة تضر بالدعوة ولا تفيدها .

**رابعاً : آثار الاستعجال**

وكل هذه المظاهر المذكورة آنفاً ، وغيرها تكون لها آثار ، وعواقب

1- فهي قد تؤدى إلى الفتور على النحو الذي شرحنا في الآفة الأولي ، وقليل دائم خير من كثير منقطع :( .... وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قلّ ) .

2- وقد تؤدى إلى موتة غير كريمة ، وذلك حين لا يكون من ورائها عائد أو ثمرة ، وهنالك تكون المسئولية و المعاتبة بين يدي الجبار الأعلى ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذٍ لله و القصة التالية برهان عملي لما نقول :

( كانت الحركة الإسلامية بمصر في نهاية الثلاثينات تعيش أزهي أيامها فها هي : تشق طريقها بين جميع البيئات ، والأوساط كما تشق السفينة البحر الهادئ و الريح رخاء وها هو صوتها مسموعاً في جميع القضايا سواء على المستوى المحلى أو على المستوى العالمي ، في هذه الأثناء وقف أحد أبنائها هو :( أحمد رفعت ) يعترض على كل ما تتخذه الحركة من أساليب ويدعو إلى أساليب أخرى .

ولم يكن في هذا ما يلفت النظر ابتداء ، فلكل عضو في الحركة الحق في نقد ما يرى أنه يستحق النقد ، ثم تكون مناقشة بين الأطراف تنتهي إلى الأصوب و الطريق الأقوم بيد أن الذي استرعى الانتباه ، ولفت النظر هو أن هذه الدعوة لقيت آذاناً صاغية واستجابة سريعة لدى كثير من شباب الحركة ، ولا نريد أن نخوض الآن في البحث عن أسباب ذلك ، وإنما الذي يعنينا هو أنه عقد لقاء لمعرفة اعتراضات ، ومطالب أحمد رفعت وانحصرت في ثلاثة :

الأول : أنه يرى أن الحركة تجامل الحكومة وتتبع سياسة اللف و الدوران ، و الواجب يقتضي مواجهة الحكومة بالحقيقة التي قررها القرآن الكريم :{ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } .

الثاني : أنه يرى أن الحركة لم تتخذ أي إجراء عملي في موضوع سفور المرأة وتبرجها ، مكتفية بالنصيحة و الكلام ، و الواجب يقتضي أن توزع الحركة نفسها في شوارع القاهرة ومع كل واحد من أبنائها زجاجة حبر ، وكلما مرت أمامه فتاة أو امرأة متبرجة ، ألقى عليها من هذا الحبر ، حتى يلطخ ملابسها ، فيكون هذا رادعاًً لها .

الثالث : أنه يرى أن وقوف الحركة في مساعدة مجاهدي فلسطين عند حد الدعاية لهم وجمع المال إنما هو تقصير في حق هذه القضية ، وقعود عن الجهاد ، وتخلف عن المعركة ، وعلى جميع أبناء الحركة أن يتركوا أعمالهم ويتطوعوا في صفوفهم وإلا كانوا من المخالفين.

وتصدى بعض الحاضرين للرد على ( أحمد ) بشأن المطلبين الأولين فقال :

- إن مواجهة الحكومة يجب ألا يكون إلا بعد توفر عاملين :

أ- توعية الشعب بالحقائق الإسلامية التي لا زال حتى اليوم خالي الذهن منها لا سيما علاقة الإسلام بالحكم وعلاقة الإسلام بالتشريع .

ب- اكتساب الحركة قوة شعبية تستند إلى مواجهة أي ظروف تتعرض لها ولا زالت الحركة حتى اليوم حركة وليدة في حاجة إلى تثبيت دعائمها وبسط لرواقها .

- أما موضوع المرأة فكان ردهم عليه هو أننا لو أخذنا باقتراح ( أحمد ) لكانت النتيجة في اليوم الأول للأخذ بهذا الأسلوب أن يلقى القبض على جميع أبناء الحركة ، ويجرى معهم التحقيق ، ويودعوا السجون حتى يحاكموا أمام القضاء الذي يقضى بالسجن و الغرامة ، وإذا قضوا العقوبة وعادوا إلى نفس الأسلوب ، فإن العقوبة تضاعف ، وما دامت التي لطخت ثيابها ستعوض ثمن هذا الثياب مضاعفاً من جيوب أبناء الحركة ، ثم ترى الذي لطخ ثيابها قد أودع السجن ، فما الذي يمنعها من لبس ما كانت تلبسه ، وإذن فلا جدوى من وراء هذا الأسلوب في ردع المتبرجات السافرات .

- وأما موضوع فلسطين ، فقد أجاب عنه كتاب سماحة مفتى فلسطين السيد أمين الحسيني ردّ به على الحركة الإسلامية في مصر ، ومضمونه :" أن المجهود الذي تبذله الحركة في الدعاية لقضية فلسطين في مصر هو القدر المطلوب و الذي نحن في أمس الحاجة إليه ، ولا يستطيعه غيرها ، ولسنا في حاجة إلى متطوعين " .

ورغم وضوح الجواب فقد أصرَّ ( أحمد ) على موقفه ، وزاد عدد مؤيديه ، ووصلت بهم الحال إلى أن صاروا يسبون في الحركة الإسلامية و القائمين عليها دونما حياء أو خجل ، ولما قاطعه أبناء الحركة ، وانفض من كانوا حوله ورأي في نفسه عزلة تامة قرر السفر إلى فلسطين لينضم إلى المجاهدين في محاربة الإنجليز و اليهود .

وهنا أشفقت عليه الحركة وأرسلت له تطلب منه الحضور لتجهزه بالمال و السلاح ثم تسلمه إلى مجموعة من المجاهدين الفلسطينيين الذين كانوا يتصلون بهم حتى يؤمنوا له الطريق ، لأن المجاهدين يشكون في كل من يرونه في طريقهم - ما داموا لا يعرفونه - ويعدونه جاسوساً عليهم ويقتلونه ، فرفض وأصر على الذهاب وحده ، وذهب فعلاً ولقي مصرعه كما كانت الحركة تتوقع - على أيدي المجاهدين ) .

إن هذه القصة تبين لنا عاقبة الحماس مع السطحية في فهم كتاب الله ،وتاريخ الدعوة الإسلامية ، واقع الحياة ، إن عاقبة ذلك إنما هي الاستعجال وآثار الاستعجال قد تكون موتاً غير كريم ، كما وقع لأحمد رفعت .

فإنه لم يكن له - قبل الانضمام إلى الحركة - أدنى معرفة بالإسلام ولا بالقرآن ولا بالسيرة ولا بالتاريخ الإسلامي ، وحين اقتنع بالفكرة الإسلامية انقض عليها بحماس بالغ ، وقبل أن يتزود بكل معالم الطريق اندفع اندفاعاً غير بصير ، فاصطدم وتحطم ، وكاد يحطم الحركة معه لولا العناية الإلهية ثم حكمة القائمين عليها وإخلاصهم .

3- تعطيل العمل ، أو على الأقل الرجوع به إلى الوراء عشرات السنين وذلك فيه ما فيه من استمرار تدنيس الحياة و المضي في الاعتداء على الدماء والأموال والأعراض وزيادة وضع الأحجار و العقبات على الطريق .

**خامساً أسباب الاستعجال :**

وإذا كانت هذه آثار الاستعجال ، فلابد من معرفة الأسباب التي تؤدى إليه لتكون خطوة على طريق العلاج ، فما هي إذن الأسباب التي توقع في الاستعجال ؟ حقيقة هنالك أسباب كثيرة توقع في الاستعجال نخص منها :

**1- الدافع النفسي :**

فقد يكون الدافع النفسي هو السبب في الاستعجال ، ذلك أن الاستعجال طبيعة مركوزة في فطرة الإنسان كما قال المولى تبارك وتعالى :{ خلق الإنسان من عجل ... } ، { ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً } ، { ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم .... } وإذا لم يعمل الداعية على ضبط نفسه وإلجامها بلجام العقل و التخفيف من غلوائها فإنها تدفعه لا محالة إلى الاستعجال .

**2- الحماسة أو الحرارة الإيمانية :**

وقد يكون الحماس أو الحرارة الإيمانية هي السبب في الاستعجال ، ذلك أن الإيمان إذا قوى ، وتمكن من النفس ، ولَّد طاقة ضخمة ، تندفع - ما لم يتم السيطرة عليها وتوجيهها - إلى أعمال تؤذى أكثر مما تفيد وتضر أكثر مما تنفع .

ولعل هذا هو السر في أن الله سبحانه وتعالى تولى توجيه النبي صلى الله عليه وسلم و المؤمنين في المرحلة المكية إلى الصبر و الجلد ، وقوة التحمل فقال { واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً } ، { فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون } ، { وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً } ... إلى غير ذلك من الآيات .

**3- طبيعة العصر :**

وقد تكون طبيعة العصر هي الباعث على الاستعجال ، ذلك أننا نعيش في عصر يمض بسرعة ويتحرك فيه كل شئ بسرعة ، فالإنسان يكون هنا وبعد ساعات يكون في أقصى أطراف الأرض ، بسبب التقدم في وسائل المواصلات ، والإنسان يضع أساس بيت اليوم ويسكنه غداً بسبب التمكن من وسائل العمارة الحديثة ، وقس على ذلك أشياء كثيرة في حياة الإنسان ، فلعل ذلك مما يحمل بعض العاملين على الاستعجال لمواكبة ظروف العصر و التمشي معه .

**4- واقع الأعداء :**

وقد يكون واقع الأعداء هو السبب في الاستعجال ، ذلك أنه ما يمر من يوم الآن إلا وأعداء الله يحكمون القبضة ويمسكون بزمام العالم الإسلامي ، ويلاحقون العمل الإسلامي في كل مكان لإسكات كل صوت حر نزيه ، وحسبنا أن إسرائيل كانت بالأمس فكرة في الأذهان فإذا بها اليوم واقع يحكم القبضة على جزء غال عزيز من ديار الإسلام هو فلسطين ، وينطلق منه إلى لبنان ، وسائر بلدان العالم العربي ليحقق حلم اليهود :( إسرائيل من النيل إلى الفرات ) فلعل ذلك مما يحمل بعض العاملين على الاستعجال ، قبل أن يتفاقم الخطر ويصعب الخلاص .

**5- الجهل بأساليب الأعداء :**

وقد يكون الجهل بأساليب الأعداء هو السبب في الاستعجال ، ذلك أن أعداء الله لهم أساليبهم الخبيثة ، و المتنوعة في الوصول إلى قلب العالم الإسلامي ، وإحكام القبضة عليه ، وأخطر هذه الوسائل وأشدها دهاء ومكراً أن يواجه المسلمين نفر من بينهم يعلنون الإسلام ويبطنون الكفر ، و الحقد و الضلال ، إن مثل هذا الأسلوب من الكيد يحول دون التعبئة العامة في الأمة ، وما أكثر هؤلاء ، لمواجهة الشر أو الباطل وإزاحته من الطريق ، بل إنه ليجعل العامة معهم وفي صفهم ولقد لجأ أعداء الله لمثل هذا الأسلوب ، بعد أن جربوا زماناً طويلاً ، ومرات عديدة ، أسلوب المواجهة الصريحة السافرة ، ورأوا أنه لن يغنى عنهم من الله شيئاً ، وأنه يحمل المسلمين حتى المفرطين و المستهترين منهم على التصدي وبذل الغالي و الرخيص ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

فلعل الجهل بمثل هذا الأسلوب وغيره من الكيد يكون سبباً من الأسباب التي توقع في الاستعجال .

**6- شيوع المنكرات مع الجهل بأسلوب تغييرها :**

قد يكون شيوع المنكرات مع الجهل بأسلوب تغييرها هو السبب في الاستعجال ، ذلك أن الإنسان لا يتحرك حركة الآن إلا وقد أحاطت به المنكرات ، ولفته من كل جانب ، وواجب المسلم حين يرى ذلك أن يعمل على تغيير المنكر وإزالته ما في ذلك شك ، لئلا تتحول الأرض إلى بؤرة من الشر و الفساد ، قال تعالى :{ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ... } ، { ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز }.

وقال - صلى الله عليه وسلم - :

( من رأي منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ) [[46]](#footnote-47)

( مثل القائم على حدود الله و الواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً ) بيد أنه ليس كل منكر تجب إزالته أو تغييره على الفور ، وإنما ذلك مشروط بألا يؤدى إلى منكر أكبر منه فإن أدى إلى منكر أكبر منه وجب التوقف بشأنه ، مع الكراهة القلبية له ، ومع مقاطعته ، ومع البحث عن أنجح الوسائل لإزالته ، والأخذ بها ، ومع العزم الصادق على الوقوف في أول الصف حين تتاح فرصة التغيير .

**وفي السنة و السيرة شواهد على ذلك :**

فهاهو رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث والأصنام تملأ جوف الكعبة ، وتحيط بها وتعلوها من كل جانب ، ثم لا يقبل على إزالتها بالفعل إلا يوم فتح مكة في العام الثامن من الهجرة ، أي أنها بقيت منذ بعث إلى يوم تحطيمها إحدى وعشرين سنة .

ليقينه صلى الله عليه وسلم بأنه لو قام بتحطيمها من أول يوم ، قبل أن يحطمها من داخل النفوس لأقبلوا على تشييدها وزخرفتها بصورة أبشع ، وأشنع فيعظم الإثم ، ويتفاقم الضرر ، لذلك تركها ، وأقبل يُعِد الرجال ، ويزكى النفوس ، ويطهر القلوب حتى إذا تم له ذلك أقبل بهم يفتح مكة ، ويزيل الأصنام مردداً :{ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً } .

وها هو - صلى الله عليه وسلم يخاطب أم المؤمنين عائشة قائلاً :

( ألم ترى أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم ؟ فقلت يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم ؟ ، قال : لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت )[[47]](#footnote-48)

فالنبي - صلى الله عليه وسلم - هنا توقف في شأن تجديد الكعبة ، وإعادتها إلى قواعد إبراهيم خوفاً من أن يؤدى ذلك إلى منكر أكبر ، وهو الفرقة و الشقاق ، بدليل قوله في رواية أخرى :( .... ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم ... )

بل إن المسلم حين يسكت عن منكر خوفاً من أن يؤدى إلى منكر أكبر ، مع الرفض القلبي و المقاطعة ومع البحث عن الأفضل السبل للتغيير ، ومع العزم الصادق على أنه حين تتاح الفرصة لن يكون هناك توان ولا تباطؤ ، لا يكون آثماً بذلك وصدق الله الذي يقول :

{ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ... } ، { فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا ، وأنفقوا خيراً لأنفسكم } .

فإذا نسى العامل أو الداعية فقه أسلوب تغيير المنكر وإزالته وقع - لا محالة - في الاستعجال لظنه ، أو لتصوره أن الأمر يجب تنفيذه فوراً ، وأنه آثم ومذنب إن لم يقم بذلك .

**7- العجز عن تحمل المشاق ، ومتاعب الطريق :**

وقد يكون العجز عن تحمل المشاق ومتاعب الطريق هو السبب في الاستعجال ، ذلك أن بعضاً من العاملين يملك جرأة وشجاعة وحماساً لعمل وقتي ، ولو أدى به إلى الموت ، لكنه لا يملك القدرة على تحمل مشاقّ ومتاعب الطريق لزمن طويل ، مع أن الرجولة الحقة هي التي يكون معها صبر ، وجلد ، وتحمل ، ومثابرة ، وجد ، واجتهاد حتى تنتهي الحياة .

لذلك تراه دائماً مستعجلاً ليجنب نفسه المشاق و المتاعب ، وإن تزرَّع بغير ذلك .

وقد أفرزت الحركة الإسلامية في العصر الحاضر صنفاً من هذا ، عجز عن التحمل والاستمرار فاستعجل وانتهي ، وصنفاً آخر أوذي في الله عشرات السنين فصبر ، وتحمل واحتسب لأن الظروف غير ملائمة ، و الفرص غير مواتية ، و العواقب غير محمودة و المقدمات ناقصة أو قاصرة ، وكانت العاقبة أن وفقهم الله وأعانهم فثبتت أقدام على الطريق ولا تزال .

**8- الظفر ببعض المقدمات ، أو ببعض الوسائل مع عدم تقدير العواقب :**

وقد يكون الظفر ببعض المقدمات أو ببعض الوسائل مثل العدد البشرى ، ومثل الأدوات مع عدم تقدير العواقب ، من زيادة تسلط أعداء الله ومن حدوث فتنة وردة فعل ، لدى جماهير الناس قد يكون كل ذلك هو السبب في الاستعجال .

ولعل هذا هو السر في أمر الإسلام بالصبر على جور الأئمة ، ما لم يصل الأمر إلى الكفر الصريح و الخروج السافر عن الإسلام .

يقول - صلى الله عليه وسلم - :

( من رأي من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية )[[48]](#footnote-49)

ويقول عبادة بن الصامت - رضى الله تعالى عنه -دعانا النبي - صلى الله عليه وسلم - فبايعناه ، فقال فيما أخذ علينا :( أن بايعنا على السمع و الطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان )[[49]](#footnote-50) .

بل حتى الكفر البواح لا يكون معه خروج إلا إذا أمنت الفتنة ، وتوفرت القدرات والإمكانات وهذا لا يمنع أن ننكر عليهم باللسان وبالقلب.

يقول الإمام النووي - رحمه الله - في شرح حديث عبادة :

" معنى الحديث : لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام ، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم ، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين ، وإن كانوا فسقة ظالمين).

ونقل ابن التين عن الداودى قال :

( الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب ، وإلا فالواجب الصبر ) [[50]](#footnote-51) .

**9-عدم وجود برنامج أو منهاج يمتص الطاقات ، ويخفف من حدتها وغلوائها :**

وقد يكون عدم وجود برنامج أو منهاج يمتص الطاقات ويخفف من حدتها وغلوائها هو السبب في الاستعجال ، ذلك أن نفس الإنسان التي بين جنبيه إن لم يشغلها بالحق شغلته بالباطل .

ولعل ذلك هو السر في أن الإسلام غمر المسلم ببرنامج عمل في اليوم و الليلة ، وفي الأسبوع وفي الشهر و في السنة وفي العمر كله بحيث إذا حافظ عليه كانت خطوته دقيقة وكانت جهوده مثمرة .

ولعله السر أيضاً في تشديد الإسلام على الأئمة أن يستفرغوا كل ما في وسعهم وكل ما في طاقتهم لاستنباط ما يملأ حياة المسلمين بالعمل الجاد المثمر الخالي من الضر و الشرر وإلا حرموا الجنة .

يقول - صلى الله عليه وسلم - “ ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة "[[51]](#footnote-52)

**10- العمل بعيداً عن ذوى الخبرة و التجربة :**

وقد يكون العمل بعيداً عن ذوى الخبرة و التجربة هو السبب في الاستعجال ، ذلك أن الإنسان يولد ولا علم له بشيء في هذه الحياة كما قال سبحانه : { والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً .... }

ثم يبدأ - عن طريق ما وهبه الله من السمع والأبصار والأفئدة - التعلم ، و التعلم لا يكون من الكتب وحدها ، بل يتم أيضاً بواسطة التجربة ، و الممارسة ، و العامل الواعي هو الذي ينتفع بخيرات وتجارب من سبقوه على الطريق ليوفر على نفسه الجهد ، و الوقت و التكاليف ، أما إذا شمخ بأنفه ونأي بنفسه وبدأ العمل بعيداً عن ذوى الخبرة و التجربة فستكون له أخطاء ، وقد يكون الاستعجال واحداً منها .

ولعل السر في وصية الإسلام باحترام العلماء وكبار السن الصالحين وذوى الفضل حيث يقول - صلى الله عليه وسلم - :" يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلماً ولا يؤمَّن الرجل الرجل في سلطانه ، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه "[[52]](#footnote-53)

**11- الغفلة عن سنن الله في الكون وفي النفس وفي التشريع :**

وقد تكون الغفلة عن سنن الله في الكون وفي النفس وفي التشريع هي السبب في الاستعجال ، ذلك :

أن من سنن الله في الكون : خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وخلق الإنسان و الحيوان و النبات على مراحل مع أنه قادر على خلق كل ذلك وغيره بكلمة " كن " { إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون } .

ومن سنن الله في النفس : أنها لا تضحي ولا تبذل ولا تعطى إلا إذا عولجت من داخلها ، واقتلعت منها كل الحظوظ ، وأدركت قيمة وفائدة التضحية و البذل و العطاء { قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها } وذلك لا يتم بسهولة ويسر ، وإنما لابد له من جهد ووقت وتكاليف .

ومن سنن الله في التشريع : أن الخمر حرمت على مراحل وكذلك الربا ، وإذا نسى العامل أو الداعية هذه السنن كانت السرعة و العجلة ، أما حين تظل ماثلة أمام عينيه ، حاضرة في ذهنه وفؤاده ، فإنها تهدئ من نفسه ، وتضبط حركته ، وتبصره بموضع قدميه .

**12- نسيان الغاية التي يسعى إليها المسلم :**

وقد يكون نسيان الغاية التي يسعى إليها المسلم هي السبب في الاستعجال ، ذلك أن المسلم يسعى أساساً لتحقيق مرضات الله ، وهذا إنما يتحقق بالتزام منهجه ، وعدم التفريط فيه ، و الثبات على عليه إلى يوم اللقاء قدر الطاقة مع الإخلاص { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً } ، { فاتقوا الله ما استطعتم ... }

وتلك مقدمات يسأل عنها المسلم بين يدي الله يوم القيامة وعليها تكون النجاة أو عدم النجاة أما النتائج من التمكين أو عدم التمكين فلا يسأل عنها ، لأنها بيد الله يأتي بها حيث يشاء وكما يشاء .

فإن حدث ونسى العامل أو الداعية هذه الحقيقة فإنه يقع لا محالة في الاستعجال .

**13- الغفلة عن سنة الله مع العصاة و المكذبين :**

وقد تكون الغفلة عن سنة الله مع العصاة و المكذبين هي السبب في الاستعجال .

ذلك أن من سنة الله مع العصاة و المكذبين ، الإمهال ، وعدم الاستعجال { وأملي لهم إن كيدي متين } ، { وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً } .

ومن سننه كذلك معهم : أنه إذا أخذهم لم يفلتهم { وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة \* إن أخذه أليم شديد } ، { ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون } .

ومن سنته أيضاً : أن أيامه ليست كأيامنا هذه {ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ، وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون }.

وإذا غفل العامل أو الداعية عن هذه السنن استعجل قائلاً: نناجزهم قبل أن يستفحل شأنهم، وقبل أن يمسكوا بزمام الأمور، فتستحيل إزاحتهم بعد ذلك من طريق الناس .

**14- صحبة نفر من ذوى العجلة وعدم التأني :**

وقد تكون صحبة نفر من ذوى العجلة وعدم التأني هي السبب في الاستعجال ، ذلك أن الطبع يعدى ، و المرء على دين خليله ، وإذا لم يحسن المسلم اختيار صاحبه ، فإنه يقتدي به لا محالة في ما يعتنق وفي كل ما يسلك - سيما إذا كان هذا الصاحب قوى الشخصية - وقد يكون من بين ذلك الاستعجال ، ولعل هذا هو سر تأكيد الإسلام على ضرورة مراعاة الدقة والأمانة في اختيار الصديق و الصاحب ، وقد قدمنا طرفاً من الأحاديث الدالة على ذلك أثناء الحديث عن " الفتور" .

تلك هي الأسباب التي توقع في الاستعجال .

**سادساً : طريق علاج الاستعجال :**

وما دمنا قد وقفنا على أهم الأسباب التي تؤدى إلى الاستعجال ، فإنه صار من السهل علينا أن ندرك طريق العلاج وتتلخص في :

1- إمعان النظر في الآثار و العواقب المترتبة على الاستعجال ، فإن ذلك مما يهدئ النفس ويحمل على التريث و التأني .

2- دوام النظر في كتاب الله عز وجل ، فإن ذلك يبصرنا بسنن الله في الكون وفي النفس ، وفي التشريع ومع العصاة و المكذبين و البصيرة بهذه السنن تهدئ النفس وتساعد على التأني و التروي ، قال الله تعالى :{ ... سأريكم آياتي فلا تستعجلون } ، { ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين } ، { إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم } .

3- دوام المطالعة في السنة و السيرة النبوية ، فإن ذلك مما يوقعنا على مقدار ما لاقى النبي - صلى الله عليه وسلم - من الشدائد و المحن ، وكيف أنه تحمل ، وصبر ولم يستعجل ، حتى كانت العاقبة له ، وللمنهج الذي جاء به .

ومعلوم أن الوقوف على ذلك مما يضبط حركة المسلم ، إقتداء وتأسياً به - صلى الله عليه وسلم -{ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر وذكر الله كثيراً }

4- مطالعة كتب التراجم و التاريخ ، فإن ذلك مما يعرفنا بمنهج أصحاب الدعوات و السلف في مجابهة الباطل ، وكيف أنهم تأنوا وتريثوا حتى مكن لهم ، وهذا بدوره يحمل على الإقتداء و التأسي ، أو على الأقل المحاكاة و المشابهة على حد قول القائل :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

وقد مرت بنا قصة عمر بن عبد العزيز مع ولده في هذا الشأن ، ونحن نتحدث عن علاج " الفتور "

5- العمل في أحضان وفي ظل ذوى الخبرة والتجربة ممن سبقوا علي الطريق فإن ذلك من شأنه أن يجعل خطوات العاملين دقيقة محسوبة وأن يوفر عليهم الكثير من الجهد والوقت وباقي التكاليف :

وقد لفت النبي صلى الله عليه وسلم - النظر إلى ذلك حين قال : ( لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين )[[53]](#footnote-54)

6- العمل من خلال منهاج و برنامج واضح الأركان محدد المعالم يستوعب الحياة كلها ويأخذ بيد العامل من طور إلى طور ومن مرحلة إلى مرحلة فيشبع تطلعاته ويجيب على تساؤلاته ويرفع من مستواه.

7- الفهم الدقيق لأساليب ومخططات الأعداء فإن ذلك من شأنه أن يحمل العامل على النظر في عواقب الأمور وعلى التريث والتأني والتصرف بحكمة وعلى بينة .

8- عدم الرهبة أو الخوف من تسلط الأعداء وإحكامهم القبضة على العالم الإسلامي لأن ذلك يمكن أن يزول في لحظات وما هو على لله بعزيز : { لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد }. { الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم }. { إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون }.

بيد أن هذا الشرط بأن تقيم الإسلام في أنفسنا وفيمن حولنا بكل ما نملك وبكل ما نستطيع : { إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم}. { وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا }.

9- مجاهدة النفس وتدريبها على ضرورة التريث والتأني والتروي فإنما الحلم بالتحلم ومن يتصبر يصبره الله والرجولة لا تكون إلا بذلك.

10- الانتباه إلى الغاية أو الهدف الذي من أجله يحيا المسلم فإن ذلك يحول دون الاستعجال ويحمل على إتقان المقدمات والوقوف عندها وعدم تجاوزها إلى النتائج .

11-الانتباه إلى موقف المسلم من المنكرات وأسلوب تغييرها فإن ذلك يبصره بمعالم الطريق ويحول بينه وبين الاستعجال .

تلك خطوات لابد منها على الطريق العلاج .

**سابعا : الاستعجال ومنهج الحركة الإسلامية المعاصرة :**

وجدير بالذكر أن نشير إلى أن الاستعجال على النحو الذي ذكرنا غير وارد في منهج الحركة الإسلامية المعاصرة بالمرة بل أنه مرفوض صراحة والنص التالي - وهو جزء من منهج هذه الحركة يصدق ذلك :

( أيها المسلمون وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم :

اسمعوها منى كلمة عالية داوية من فوق هذا المنبر في مؤتمركم هذا الجامع إن طريقكم هذا مرسومة خطواته موضوعة حدوده ولست مخالفا هذه الحدود التي اقتنعت كل اقتناع بأنها أسلم طريق للوصول .

أجل قد تكون طريقا طويلة ولكن ليس هناك غيرها إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات ومن صبر معي حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطاف فأجره في ذلك على الله ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين : إما النصر والسيادة وإما الشهادة والسعادة .

أيها المسلمون :

ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة ولا تميلوا كل ميل فتذروها كالمعلقة ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض وتراقبوا ساعة النصر وما هي منكم ببعيد .

**أيها المسلمون :**

إنكم تبتغون وجه الله وتحصيل مثوبته ورضوانه ذلك مكفول لكم مادمتم مخلصين ولم يكلفكم الله نتائج الأعمال ولكن كلفكم صدق التوجه وحسن الاستعداد ونحن بعد ذلك : إما مخطئون فلنا أجر العاملين المجتهدين وإما مصيبون فلنا مع ذلك ضعف أجر الفائزين المصيبين على أن التجارب في الماضي والحاضر أثبتت أنه لا خير إلا في طريقكم ولا إنتاج إلا مع خطتكم ولا صواب إلا فيما تعلمون فلا تغامروا بجهودكم ولا تقامروا بشعار نجاحكم واعملوا والله معكم ولن يتركم أعمالك والفوز للعاملين -{ وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم }.

**ثامنا : الداعية بين الفتور والاستعجال :**

ويظهر من حديثنا عن الفتور والاستعجال : تحديد موقع الداعية إن موقعه يجب أن يكون وسطا بين الفتور والاستعجال عل معنى أنه مع المقدمات كخلية النحل دائب النشاط والحركة لا يقصر ولا يتوانى لحظة من ليل أو من نهار ولا يضيع فرصة تتاح له أما أوانه مع النتائج فهو هادئ متريث متأن غير متهور لا يستعجل شيئا قبل أوانه وإلا عوقب بحرمانه .

هذا ولم يفت الحركة الإسلامية المعاصرة أن تحدد هذا الموقع وتلك كلماتها أحرف من نور ومشاعل على الطريق :( إن ميدان القول غير ميدان الخيال ، وميدان العمل غير ميدان القول ، وميدان الجهاد غير ميدان العمل ، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطئ .

يسهل على كثيرين أن يتخيلوا ، ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطاع تصويره أقوال باللسان ، وإن كثيرين يستطيعون أن يقولوا ولكن قليلاً من هذا الكثير يثبت عند العمل ، وكثير من هذا القليل يستطيع أن يعمل ، ولكن قليلاً منهم يقدر على حمل أعباء الجهاد الشاق و العمل المضني ، وهؤلاء المجاهدون وهم الصفوة القلائل من الأنصار قد يخطئون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله ، وفي قصة طالوت بيان لما أقول ، فأعدوا أنفسكم وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة والاختبار الدقيق وامتحنوها بالعمل ، العمل القوى البغيض لديها الشاق عليها ، وافطموها عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها ..... ولا تضيعوا دقيقة بغير عمل وعند ذلك يكون عون الله وتأييده ، ونصره ).

**الآفة الرابعة**

**العزلة**

و الآفة الرابعة التي يصاب بها بعض العاملين ، وعليهم أن يعملوا جاهدين على التطهر منها : إنما هي العزلة أو التفرد ، ولكي يكون لدينا إلمام دقيق بأبعاد ومعالم هذه الآفة سنتناولها على النحو التالي :

**أولاً : معنى العزلة أو التفرد :**

**لغة :** العزلة أو التفرد في اللغة تعنى الابتعاد أو التنحي جانباً ، قال صاحب لسان العرب :( عزل الشيء يعزله عزلاً ، وعزّله فاعتزل وانعزل وتعزّل : نحَّاه جانباً فتنحى ، وقوله تعالى :{ إنهم عن السمع لمعزولون } معناه : أنهم لما رموا بالنجوم - كما في قوله تعالى { وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً } منعوا من السمع ) .[[54]](#footnote-55)

**اصطلاحاً :** أما في اصطلاح الدعاة فيراد بها إيثار حياة التفرد على حياة الجماعة ، وذلك بأن يكتفي العامل بإقامة الإسلام في نفسه ، غير مبال بالآخرين ، وبما هم فيه من ضياع وهلكة ، أو أن يقيم الإسلام في نفسه ، ويسعى جاهداً لإقامته في الناس ، ولكن بجهود فردية بعيدة عن التعاون و التآزر من بقية العاملين في الميدان .

**ثانياً : أسباب العزلة أو التفرد :**

وهناك أسباب تؤدى إلى هذه العزلة أو التفرد نذكر منها :

1- الوقوف عند بعض النصوص الشرعية المرغبة في العزلة ، مع الغفلة عن موقعها من النصوص الأخرى الداعية إلى حياة الجماعة:

فقد جاءت بعض النصوص الشرعية مادحة للعزلة ، ومرغبة فيها كقوله صلى الله عليه وسلم :( يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال ، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن) [[55]](#footnote-56)

وكإجابته للذي سأل : أي الناس أفضل ؟ قائلاً :( رجل يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه ، قال : ثم من ؟ قال : مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ربه ويدع الناس من شره )[[56]](#footnote-57)

وكقوله في حديث حذيفة بن اليمان :(.. فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة ، حتى يدركك الموت ، وأنت على ذلك ) [[57]](#footnote-58)

وكقوله :( من خير معاش الناس لهم : رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه ، كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه ، يبتغى القتل و الموت مظانة أو رجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف ، أو بطن واد من هذه الأودية ، يقيم الصلاة ، ويؤتى الزكاة ، ويعبد ربه ، حتى يأتيه اليقين ، ليس من الناس إلا في خير )[[58]](#footnote-59)

وكذلك جاءت بعض النصوص الشرعية الأخرى داعية إلى السير تحت لواء الجماعة ، و العيش في كنفها كقوله تعالى :

{ وتعاونوا على البر و التقوى ، ولا تعاونوا على الإثم و العدوان }

{ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ... }

{ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص }

وكقوله صلى الله عليه وسلم :( ... إياكم و الفرقة ، وعليكم بالجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة )[[59]](#footnote-60)

( .... وأنا آمركم بخمس : الله أمرني بهن : بالجماعة و السمع و الطاعة و الهجرة و الجهاد في سبيل الله ، فإن من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلى أن يرجع ، قالوا : يا رسول الله وإن صلى وصام ؟ قال : وإن صام و صلى وزعم أنه مسلم )[[60]](#footnote-61)

( يد الله مع الجماعة )

و العامل الذي يقف عند النصوص الأولي المرغبة في العزلة ناسياً أو متناسياً صلتها بالنصوص الأخرى الداعية إلى مخاطبة الجماعة ، و العيش في رحابها ، يبتلى أو يصاب لا محالة بآفة العزلة أو التفرد .

2- الوقوف عند ظاهرة العزلة التي أثرت عن بعض السلف مع الغفلة عن الظروف التي دعت إلى ذلك :

وقد يكون الحامل على العزلة ما أثر عن بعض السلف : أنهم آثروا العزلة على مخالطة الجماعة ، ومعايشتها ، فها هو نبي الله إبراهيم - عليه السلام - يقول لقومه كما حكى القرآن الكريم :

{ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ... }

وقد كان الحامل له على ذلك استنفاذ وسائل التغيير والإصلاح ، ثم إصرار قومه على الكفر ، الأمر الذي خشي معه الفتنة في الدين ، ففر منهم واعتزلهم .

وها هو أبو ذر ، وابن عمر ، ومعهما جمع من الصحابة يعتزلون جماعة المسلمين ، ويعيشون وحدهم لما وقعت الفتنة ، وقد كان الباعث لهم على ذلك ، صيانة أيديهم أن تغمس في دماء زاكية ، طهرها الله - عز وجل - ولا يعرف : من المصيب ومن غير المصيب.

وهذا هو الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة ، يقضى أخريات أيام حياته في عزلة بعيداً عن الناس ، وقد كان عذره ، تجنب مصادمة السلطات حقناً لدماء المسلمين .

وإن العامل الذي يقرا عن هذه العزلة ، التي عاشها هؤلاء وينسى ظروفها وملابساتها يتولد في نفسه معنى الإقتداء و التأسي ، أو على الأقل المحاكاة و التشبه ، فيلجأ إلى حياة العزلة ، بعيداً عن جو الجماعة حتى وإن لم يكن لهذه العزلة ما يبررها وما يدعو غليها .

3- الظن أن حياة الجماعة تلغى دائماً ذاتية المنتمى إليها ، وتؤثر على شخصيته مع الغفلة عن منهج الإسلام في التوفيق بين الفردية والجماعة :

وقد يكون الحامل على العزلة ظن بعض العاملين أنه يعيش مع الجماعة وانتمائه إليها يلغى ذاتيته ، وتذوب شخصيته فيبقى إمعة ، إن أحسن الناس أحسن ، وإن أساءوا أساء ، مع الغفلة عن منهج الإسلام في التوفيق بين الفردية و الجماعية ، إذ يقول هذا المنهج على دعوة الفرد إلى أن يعيش في كنف الجماعة ، ويستظل بظلها على النحو الذي قدمنا في الوقت الذي يؤكد فيه أنه مسئول مسئولية كاملة عن كل تصرف يقع منه فيقول له :

{ ولا تزر وازرة وزر أخرى }

{ كل نفس بما كسبت رهينة }

{ لا تجزى نفس عن نفس شيئاً }

{ بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره }

{ وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى }

وأن عليه أن يبذل النصيحة بشروطها وآدابها لكل واحد في الجماعة مهما علا كعبه ، ومهما عظمت مكانته ( الدين النصيحة قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم )[[61]](#footnote-62)

( المؤمن مرآة أخيه و المؤمن أخو المؤمن يكف عن ضيعته ويحوطه من ورائه ) وفي رواية :( المؤمن مرآة أخيه إن رأي فيه عيباً قومه ) .

ولقد عاش الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم وعاش المسلمون بعضهم مع بعض فما رأينا فرداً ذابت شخصيته أو تلاشت فرديته في الجماعة وإنما رأينا النصيحة و الشورى والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، وما قول بعضهم لعمر :( لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا ) عنا ببعيد .

وبهذه الدعوة ينشأ ويبنى في نفس المسلم كيان داخلي متميز واضح المعالم و الحدود ، وتبقى أعصابه صاحية منتبهة لكل ما يمسه ، ولو من بعيد .

إن هذا الظن ، وهذه الغفلة ينتهيان بالعامل لا محالة إلى أن يلجأ إلى العزلة ، فيصاب بآفة من أخطر الآفات .

4- الغفلة عن طبيعة تكاليف مخالطة الجماعة و العيش بين الناس :

وقد يكون الحامل على العزلة الغفلة عن طبيعة تكاليف مخالطة الجماعة و العيش بين الناس ، إذ أن طبيعة هذه التكاليف : أنها كثيرة ضخمة ، تستوعب حياة الإنسان من أول يوم إلى آخر يوم ، وقد لا تنتهي ، وغالباً ما تكون على خلاف ما تهوى الأنفس ، وما لم يكن العامل منتبهاً إلى ذلك ، فإنه يعمل نفسه من التزكية و التربية ، و المجاهدة وتسيطر عليه الأهواء و الشهوات وبمرور الأيام يضعف ويعجز عن القيام بهذه التكاليف ، وحينئذٍ يبحث عن مخرج أو ملجأ فلا يجد سوى العزلة أو التفرد

5- التذرع بأن مخالطة الناس تشغل عن التفرغ للعبادة مع الغفلة عن المفهوم الصحيح للعبادة :

وقد يكون الحامل على العزلة التذرع بأن مخالطة الناس تشغل عن التفرغ للعبادة من صلاة إلى صيام إلى قراءة القرآن إلى ذكر إلى دعاء ، إلى استغفار إلى تفكر .... الخ مع الغفلة عن المفهوم الصحيح للعبادة ، إذ المفهوم الصحيح للعبادة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -

( أنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من القوال والأعمال الظاهرة و الباطنة ، فالصلاة و الزكاة و الصيام و الحج عبادة ، و الدعاء والاستغفار و الذكر وتلاوة القرآن عبادة ، وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام عبادة و الوفاء بالعهود عبادة و الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الجهاد للكفار و المنافقين عبادة ، والإحسان للجار و اليتيم و المسكين وابن السبيل و الخادم و الرحمة بالضعيف و الرفق بالحيوان عبادة ، وكذلك حب اله ورسوله ، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له ، و الصبر لحكمه و الرضا بقضائه و التوكل عليه و الرجاء في رحمته و الخوف من عذابه وأمثال ذلك كله عبادة ) ...

و القرآن الكريم و السنة النبوية يصدقان هذا المفهوم الذي قاله شيخ الإسلام .

على أن مخالطة الناس لا تمنع أن يكون للمسلم أوقات يخلو فيها بنفسه ليؤدى واجباً ، أو يتقرب إلى الله بنفل أو يحفظ علماً ، أو يحقق مسألة ، أو يتلو قرآناً ، أو يذكر ويتفكر ، أو يحاسب نفسه ، وذلك هو معنى قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه :( خذوا حظكم من العزلة )

كأن غياب المفهوم الصحيح للعبادة عن بال المسلم العامل ، وحصره العبادة في دائرة الشعائر التعبدية ، متوهماً أن حياة الجماعة تحول بينه وبين التفرغ الكامل لأداء هذه الشعائر ، كل هذا يوقع لا محالة في آفة العزلة أو التفرد .

6- الاعتذار بانتشار الشر و الفساد مع الغفلة عن دور المسلم حين ينتشر الشر و الفساد :

وقد يكون الحامل على العزلة الاعتذار بانتشار الشر و الفساد مع الغفلة عن دور المسلم حين ينتشر الشر و الفساد ، إذ أن دور المسلم في هذه الحال أن ينشط للمقاومة بكل الأساليب المتاحة ، و الوسائل الممكنة ولا يلجأ إلى العزلة إلا عند تمكن الداء وعجز الوسائل وخوف الفتنة .

وإذا ما غفل المسلم العامل عن حقيقة هذا الدور فإنه يفر لأول وهلة إلى العزلة أو التفرد ، وتتحول الأرض إلى بؤرة من الشر و الفساد، وصدق الله العظيم القائل :

{ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض } .

{ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً } :

وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - الناصح : ( مثل القائم على حدود الله و الواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً )[[62]](#footnote-63)

7- الاطلاع على صور من المحن والشدائد ابتلى ويبتلى بها العاملون لدين الله على مدار التاريخ ، مع الغفلة عن موقف هؤلاء العاملين من هذه الصور :

وقد يكون الحامل على العزلة الاطلاع على صور من المحن والشدائد ابتلى ويبتلى بها العاملون لدين الله على مدار التاريخ ، مع الغفلة عن موقف هؤلاء العاملين من هذه الصور، إذ أن موقف هؤلاء إنما كان اليقين التام بأن الابتلاء سنة من سنن الله في الدعوات ، ثم الاعتراف بالتقصير و اللجوء إلى الله أن يثبت أقدامهم على الطريق ، وأن ينصرهم وقد قبل الله منهم فثبتهم ونصرهم { وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين \*وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين }

نعم إن العامل إذا اطلع على هذه الصور ، وكان في غفلة عن موقف أولئك الممتحنين يسيطر عليه الخوف و الهلع ، ويحاول أن يجد مخرجاً ، وحينئذٍ تسول له نفسه ، ويزين له الشيطان أن المخرج إنما يكون في العزلة أو التفرد فيركن إلى ذلك .

8- صحبته نفر من المسلمين منهجهم العزلة ، وسيرتهم التفرد :

وقد يكون الحامل على العزلة صحبته نفر من المسلمين منهجهم العزلة ، وسيرتهم التفرد نظراً لأن المرء شديد التأثر بقرينه ، لاسيما إذا كان هذا القرين ذا شخصية مؤثرة وممن يقتدي أو يتأسى به .

يقول صلى الله عليه وسلم : ( الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ) .

9- تعدد الهيئات و الجماعات العاملة لدين الله :

وقد يؤدى تعدد الهيئات و الجماعات العاملة لدين الله إلى أن يقع المسلم العامل في حيرة من أمره ، مع أي من هذه الهيئات وتلك الجماعات يعمل ، وعن أي منها يبتعد ؟ وتنتهي به هذه الحيرة إلى العزلة أو التفرد ، لاسيما إذا لم يكن يعرف حقيقة هذه الهيئات و تلك الجماعات وموقفه منها ، غذ أن حقيقة هذه الهيئات وتلك الجماعات أنها جميعاً على خير بيد أن هذا الخير متفاوت ، فمنها ما هو على جزء يسير من الخير ، ومنها ما هو على كثير من الخير ، ومنها ما هو على الخير كله ، وأن موقفه منها يفرض عليه أن يتعرف عليها جميعاً :( أهدافاً ووسائل ، ثم يسير مع من كانت على الخير كله )

- بأن يكون هدفها تطبيق شرع الله ، ومنهجه في الأرض { إن الحكم إلا لله } ، { وأن احكم بينهم بما أنزل الله } .

-وأن تقصد بكل ما يصدر عنها من أقوال وأفعال وجه الله { قل إن صلاتي ونسكى ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين }

- وأن تخلعه كل ولاء إلا ولاء الله ورسوله ، و المؤمنين المتمسكين بهدى الله :{ إنما وليكم الله ورسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله و الذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون }

- وأن تفهم الإسلام فهماً وسطاً دون غلو أو تشدد ودون تفريط أو إسراف ثم تعمل به كله من السواك إلى الجهاد { يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة } .

- وأن تعمل ابتداء على إيجاد الشخصية المسلمة الجامعة لكل خصال الخير ، المتأبية على كل خصال الشر المستأهلة لعون الله وتأييده نصره { إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم }

{ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها }

- وأن تتوسع في تحقيق هذه الشخصية المسلمة بحيث تنتشر وتعم المجتمع كله ، بل العالم كله :{ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين }

- وأن تجتهد في الربط بين هذه الشخصيات المسلمة بحيث تصدر عن رأي واحد وتصير فكراً واحداً وقلباً واحداً وروحاً واحدة ومشاعر واحدة وإن تعددت الأجساد { واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا }

- وأن تنطلق من ترتيب واع دقيق مبنى على دراسة وفهم الواقع باستمرار ثم التعامل معه بناء على هذه الدراسة ، وهذا الفهم { وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنون ... } .

{ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون .

- وأن تراعى الأولويات في العمل بحيث إذا أصيبت بضيق ذات اليد وقصرت بها إمكانياتها ووسائلها قدمت بعض الأصول على بعض ، بل والأصول على الفروع ، و الفرائض على النوافل ، و المجمع عليه على المختلف فيه ، كما صنع - رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين سعى إلى تحطيم الأصنام الموجودة بداخل النفس البشرية قبل تحطيم الأصنام التي كانت في جوف الكعبة وعلى سطحها .

- وألا تتساهل أو تتهاون في الأصول المجمع عليها ، مع التماس الأعذار في الفروع المختلف فيها وبذلك تفتح الباب للتعاون مع جميع العاملين .

- وأن يكون لها منهاج واضح الأركان ، محدد المعالم ، يأخذ بيد الفرد من طور إلى طور ، ومن مرحلة إلى مرحلة ، فيشبع تطلعاته ، ويجيب على تساؤلاته ويرفع من مستواه .

- وأن يكون قد ظهر ثباتها أو صبرها على مشاق ومتاعب الطريق فصمدت أمام الإرهاب ، واستعلت على المحن و الشدائد وبذلك استحقت أن تكون إماماً ورائداً لباقي العاملين :

{ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم و الصابرين ونبلوا أخباركم } .

- وأن تكون قد قطعت شوطاً طويلاً في العمل ، بحيث صارت ذا دراية وخبرة بالطريق ، وبهذا توفر على من يسير معها جهداً ووقتاً ومالاً .

- وأن يكون دأبها التأني ، و التروي ، وعدم الاستعجال :{ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم .

- وأن يكون معها من يوجهها ويرشدها بحيث يرتب العمل وتوضع الأمور في نصابها .

- وأن ينزل جميع أبنائها على رأي من يوجههم مادام في المعروف .

- وأن يكون هناك التناصح بشروطه وآدابه ، وقبول هذا التناصح و الرضا به .

- وأن تكون هناك الدقة والأمانة في اختيار العاملين ليقطع الطريق على المتربصين { ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة }

- وأن يكون هناك الاتباع لا الابتداع { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً } .

10- الغفلة عن الآثار المترتبة على العزلة سواء منها ما يتصل بالعاملين أو بالعمل الإسلامي :

وأخيراً قد يكون الحامل على العزلة الغفلة عن الآثار المترتبة على العزلة سواء منها ما يتصل بالعاملين أو بالعمل الإسلامي ، على النحو الذي سنعرض له بعد قليل ، إذ أن من غفل عن الآثار الضارة المترتبة على أمر ما وقع لا محالة في هذا الأمر .

**ثالثاً : آثار العزلة أو التفرد :**

هذا وللعزلة أو التفرد آثار ضارة ، وعواقب سيئة ، سواء على العاملين ، أو على العمل الإسلامي ودونك هذه الآثار :

**= على العاملين :**

فمن آثارهم على العاملين :

**1- جهلهم بأبعاد ومعالم شخصيتهم :**

ذلك أن الإنسان - مهما يكن ذكاؤه ، ومهما تكن فطنته - لا يمكنه وحده أن يعرف أبعاد ومعالم شخصيته معرفة دقيقة ، بل لابد من آخرين يعينونه على ذلك ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، لا يستطيع الإنسان أن يكتشف ما في شخصيته من أثرة وأنانية أو إيثار ، وتعاون ، إلا إذا عاش بين الناس وخالطهم ، ورأي أصحاب الحاجات منهم ، ثم تأمل في نفسه ، هل تقسو وتجمد ، فتشح وتبخل ؟ وحينئذٍ تكون الثرة والأنانية ، أو ترق وتلين فتجود وتعطى ؟ وحينئذٍ يكون الإيثار و التعاون ، وكذلك لا يمكنه أن يقف على ما في شخصيته من حلم وأناة ، أو حمق وعجلة ، إلا إذا خالط الناس وصادف طبقات من غير أولى الكياسة ، ونظر : هل يقابل خشونة ألسنتهم باللين ، وغلظة قلوبهم بالرفق ؟ وهنا يكون الحلم والأناة ، أو يقابلها بمثلها أو أشد ؟ وهنا يكون الحمق و العجلة .

وأيضاً لا يعرف الإنسان ما لديه من الشجاعة الأدبية أو الجبن و الخور إلا إذا لزم الجماعة ، ورأي من يخطئ ثم تبصر في نفسه :

هل يهون عليها أن تقول لهذا المخطئ : إن الصواب في غير ما نطقت ، والحق في غير ما رأيت ، و الخير في غير ما أتيت ؟ وهنالك تكون الشجاعة الأدبية ، أو يعز عليها أن تقول ذلك فتصمت وتخرس ؟ وهناك يكون الجبن و الخور .

وبالمثل لا يدرك الإنسان ما تنطوي عليه شخصيته من صدق وكذب ، من أمانة وخيانة ، من نظام أو فوضى ، إلا إذا عاش في وسط الجماعة ، وحدَّث أفرادها ، أو ائتمنوه على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، أو ضرب لهم موعداً ، أو أعطى من نفسه عهداً لهم ، ثم نظر:

هل يحدثهم بما يوافق الحقيقة و الواقع ؟ فيكون صدوقاً ، أو بما يخالفها فيكون كذوباً .

وهل يحافظ على دمائهم وأموالهم وأعراضهم فيكون أميناً ، أو يعتدي عليها ويهدرها ؟ فيكون خائناً .

وهل يحافظ على عهده ، ويفي بوعده ؟ فيكون دقيقاً منضبطاً منظماً أو يهمل ويخلف ؟ فيكون فوضوياً غير دقيق ولا منظم ولا منضبط .

كأن المسلم إذا عاش في عزلة أو منفرداً فإن شخصيته تبقى مجهولة لديه ، وذلك هو الخسران بعينه ، إذ ربما يفعل الشر ظاناً أنه الخير ، وربما يترك الخير ، معتقداً أنه الشر { قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً } .

ولعل هذا الأثر هو المفهوم من قوله - صلى الله عليه وسلم - ( المؤمن مرآة المؤمن ... )

ومن قول عمر - رضى الله عنه - :( أهديت إلينا عيوبنا )[[63]](#footnote-64)

أي أن الطريق التي يعرف بها المسلم أبعاد ومعالم شخصيته من كمال أو نقص ، قوة أو ضعف - فينمى نواحي الكمال و القوة ، ويستكمل ويقوى نواحي النقص و الضعف - إنما هي الجماعة ، وبغيرها يعيش المسلم في عماية وعلى غير هدى .

**2- حرمانهم من المعين الذي يمكن أن يأخذ بأيديهم ،** ويساعدهم على إصلاح عيوبهم ، ذلك أن الإنسان قد يهدى إلى عيوبه ، لكنه قد يكون من ضعف الإرادة ، وخور العزيمة بحيث يعجز بمفرده عن إصلاح وتقويم هذه العيوب ، ولابد له من معين ، يعينه على نفسه ، وحين يختار العزلة أو التفرد يحرم هذا المعين ، ويبقى طوال حياته غارقاً في المعاصي و السيئات .

ولعل هذا الأثر هو المفهوم مما جاء :( المؤمن مرآة أخيه إذا رأي فيه عيباً أصلحه )[[64]](#footnote-65)

( من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً ، إن نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه ) [[65]](#footnote-66)

**3- تعطيل بعض طاقاتهم وإمكاناتهم** ، الأمر الذي يجعلهم فريسة لإغواء الشيطان وإضلاله ، ووسوسته ، فضلاً عما يلحق شخصيتهم من الانفصام أو الخلل ، ذلك أن الإنسان - كما هو معلوم - مؤلف من جسد وعقل وروح ،أو بعبارة أخرى من مادة وروح ، و الروح مزود بطاقة من الغرائز تشبه الخيوط الدقيقة المتقابلة المتوازية ، كل غريزتين منهما متجاورتين في النفس ، وهما في الوقت ذاته مختلفتان في الاتجاه ، الخوف و الرجاء ، الحب و الكره ، الاتجاه إلى الواقع والاتجاه إلى الخيال ، الطاقة الحسية والطاقة المعنوية ، الإيمان بما تدركه الحواس والإيمان بما لا تدركه الحواس ، حب الالتزام و الميول إلى التطوع ، الفردية و الجماعية ، السلبية والإيجابية ....الخ كلها غرائز متوازية ، ومتقابلة - كما ترى - وهي بتوازيها وتقابلها - تؤدى مهمتها في ربط الكائن البشرى بالحياة ، كأنما هي أوتاد متفرقة ، متقابلة تشد الكيان كله ، وتربطه من كل جانب يصلح للارتباط ، وهي في الوقت ذاته توسع أفقه وتفسح مجال حياته ، فلا ينحصر في نطاق واحد ، ولا في مستوى واحد ، بيد أن تحقيق التوازن و التكامل في حياة الإنسان مرهون بإعطاء كل غريزة من هذه الغرائز حقها ، دون زيادة أو نقص .

و الجماعة هي المجال الوحيد الذي يوظف سائر طاقات المسلم ويعمل كل الغرائز بدرجات متساوية ومتوازية في نفس الوقت ، فتتكون الشخصية السوية المتكاملة ، الخالية من أي انفصام أو اعوجاج و المحصنة ضد كيد الشيطان وإغوائه .

وإذا حدث أن ابتعد المسلم عن الجماعة وآثر حياة العزلة أو التفرد فإنه تتعطل - لا محالة - بعض طاقاته وإمكاناته ، وحينئذٍ يكون الخلل أو الانفصام في شخصيته ، فضلاً عن وجود الفراغ الذي يمكن أن يستغله شياطين الإنس و الجن في إغوائه وإضلاله ، ولعل هذا الثر هو ما لفت النبي - صلى الله عليه وسلم - النظر إليه بقوله :

( ... فمن أحب منكم بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد .. )

**4- قلة رصيدهم من الخبرات و التجارب التي تعينهم على مواجهة كل ما يعترض طريقهم من صعاب وعقبات :**

ذلك أن العمل لدين الله طريق مليئة بالأشواك محفوفة بالمخاطر ، و المسلم الحصيف الذكي هو الذي تكون لديه الخبرة أو التجربة التي تمكنه من التغلب على هذه المخاطر ، و النجاة من تلك الأشواك .

وليس هناك مجال أرحب وأوسع - يكتسب فيه المسلم الخبرات ويتعلم التجارب - سوى العيش مع الناس ومخالطتهم .

وحين ينأى المسلم العامل بنفسه عن الجماعة ، ويرضى بالعزلة أو التفرد فإنه يحرم هذه الخيرات ، وتلك التجارب ، ويبقى طول حياته ضيق الأفق قاصر النظر ، لا يعرف كيف يواجه أبسط المشكلات ، فضلاً عن أمهاتها وعظائمها .

ولعل هذا الثر هو ما نفهمه من قوله صلى الله عليه وسلم :

(إنما مثل الجليس الصالح و الجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك : إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير ، إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة ) .

**5- سيطرة اليأس و القنوط على نفوسهم ،** الأمر الذي قد ينتهي بهم إلى الفتور ، ذلك أن المسلم العامل لدين الله - لاسيما في هذا العصر - يأتيه الشيطان بين الحين و الحين ويلقى عليه هذه التساؤلات :

ما المخرج وأعداء الله - في داخل الأمة الإسلامية وفي خارجها - كثير ؟ وهم الآن ممسكون بخناق العالم الإسلامي ، ولديهم خطط ماكرة وأساليب خبيثة ؟

ويستطيع المسلم المخالط للناس و العامل من خلال جماعة دفع هذه التساؤلات ، بأنه ليس وحيداً في هذا الميدان ، وإنما هناك آخرون سواه يسيرون في نفس الطريق ، وأولئك لهم من الأساليب والإمكانات ما يعينهم على مواجهة أعدائهم ، وإحباط مكائدهم ومخططاتهم .

أما إذا كان في عزلة أو يعمل وحده ، فإن هذه التساؤلات تظل تلح عليه وليس هناك ما يدفعها به ، حينئذٍ يدب اليأس في قلبه و القنوط إلى نفسه فيفتر وربما ترك العمل لدين الله .

**6- قلة رصيدهم من الأجر و الثواب :**

ذلك أن الذي يعيش مع الناس ويخالطهم يجد أمامه مجالات رحبة ، وميادين واسعة لتحصيل الأجر و الثواب ، فهناك مجالس العلم للإفادة أو الاستفادة ، وهناك عيادة المرضى وزيارة الإخوان تأكيداً لمودتهم أو تهنئة بنعمة ، أو تعزية على مصيبة ، وهناك إرشاد للناس وتوجيههم إلى الخير ، ومد يد المعونة على ما يسد حاجاتهم ، أو تقوى به شوكتهم .... وهكذا .

أما الذي يعيش منفرداً أو منعزلاً فإنه يحرم من هذه الميادين وتلك المجالات ، وبالتالي يقل رصيده من الأجر و الثواب .

**7- عدم تمكنهم من إقامة دين الله في أنفسهم اليوم أو غداً :**

ذلك أن الباطل لا يفتأ لحظة عن العمل بهدف أن تتحول الأرض إلى بؤرة من الشر و الفساد ، فلا يستطيع المسلم العامل أن يؤدى دوراً أو أن يقوم بواجب ، وما يمكن أن يتحقق للباطل مثل ذلك ، إلا إذا فرَّ أهل الحق من الميدان ، أو عملوا متفرقين ، و المعتزل واحد فرَّ من الميدان ، أو آثر أن يعمل وحده ، ومن كان كذلك فإنه سيضيق عليه حتماً اليوم أو غداً .

ولعل ذلك هو ما أشارت إليه تلك النصوص التي ذكرناها آنفاً في أسباب العزلة أو التفرد :

:{ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ... } ، { ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز }.

( مثل القائم على حدود الله و الواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً )

**8- تعريضهم أنفسهم للإثم و الغضب الإلهي - بسبب اعتزالهم الناس ومفارقتهم الجماعة** ، وأنى للمسلم أن يطيق ذلك أو يتحمله ؟ ولعل هذا الأثر هو ما تفهمه من قوله صلى الله عليه وسلم :

( من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية ... )

تلكم أهم آثار العزلة أو التفرد على العاملين وهي في جملتها مستفادة من قوله صلى الله عليه وسلم :

( من فارق الجماعة شبراً ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه )[[66]](#footnote-67)

وكأنه يعنى بذلك أن من خرج عن الجماعة وفارقها في الأمر المجمع عليه .

فقد عرَّض نفسه للهلاك والضياع إذ لا يؤمن عليه حينئذ الوقوع في جميع الآثار المذكورة آنفا أو على الأقل في بعضها ، تماما كما يحدث للدابة إذا جعلت الربقة أو الطوق الذي يجعل في عنقها لئلا تشرد فإنه لا يؤمن عليها الهلاك والضياع .

**على العمل الإسلامي :**

أما آثارها على العمل الإسلامي فتدور حول :

**(1) سهولة ضربه والقضاء عليه** أو على الأقل إجهاضه فلا يؤتى ثماره إلا بعد تكاليف كثيرة وزمن طويل نظرا لضعفه بسبب تفرق العاملين وعدم تضامنهم ولعل ذلك هو السر في حرص أعداء الله على أن يظل المسلمون منقسمين على أنفسهم تحت شعار : ( فرق تسد ).

ولعله السر أيضا في الأمر بالوحدة ونبذ الفرقة والتنازع :

{ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا } .

{ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم } .

{ وتعاونوا على البر وتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان } .

**(2) الحرمان من العون أو المدد الإلهي :**

ذلك أن العمل الإسلامي مهما تكن طاقاته وإمكاناته فهو بحاجة إلى عون وتأييد من الله عز وجل وقد وعد الله أنه لا يعطى هذا العون وذلك التأييد إلا إذ كان القائمون على العمل الإسلامي متضامنين متكاتفين ,

يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

(يد الله مع الجماعة )

ولئن ترتب على هذا الحرمان امتحان أو ابتلاء فإنه يكون رحمة وبركة على العاملين المتضامنين ونقمة وعذابا على القاعدين وكذلك على العاملين المتفرقين :

{والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعماله سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم}.  
( إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم )[[67]](#footnote-68).

**رابعاً : الطريق للخلاص والوقاية من العزلة :**

ومادمنا قد وقفنا على أسباب العزلة وآثارها فإن من السهل أن ندرك طريق الخلاص والوقاية منها وتتلخص في :

(1) الفهم التام للعلاقة أو الصلة القائمة بين النصوص الشرعية المرغبة في العزلة والأخرى الداعية إلى مخالطة الناس ولزوم الجماعة:

فإن ذلك الفهم كفيل بانتزاع المسلم إن كان صادقا مع نفسه من حياة العزلة وإلقائه في أحضان الجماعة نظرا لأن مخالطة الجماعة هي الأصل والعزلة أمر طارئ لا يكون إلا عند الضرورة التي لا يبقى معها دين ولا حياة .

(2) الفهم التام للظروف أو الأسباب التي دعت بعض السلف إلى العزلة أو التفرد :

فإن ذلك الفهم كثيرا ما يحول بيننا وبين الاقتداء بهم في هذا الشأن لا سيما إذ عرفنا أن عزلة هؤلاء لم يكن من ورائها ضرر فقد كانت دولة الإسلام قائمة والراية مرفوعة والدين كله لله أما عزلتنا الآن فمن ورائها ضرر كثير نظرا لغياب دولة الإسلام وإمساك أعداء الله بخناقنا وصدهم عن سبيل الله كثيرا وحاجتنا إلى سواد كثير وجهود ضخمة متعاونة متآزرة لإعادة السلطان لله.

(3) الإلمام الدقيق بمنهج الإسلام في التوفيق بين الفردية والجماعية :

فإن ذلك كفيل بدفع السلم إلى أن يعيش في أحضان الجماعة في الوقت الذي يحافظ فيه على ذاتيته أو فرديته .

(4) الوقوف على المفهوم الصحيح للعبادة :

فإنه كاف في القضاء على العزلة والحمل على ملازمة الجماعة ومخالطة الناس دون أن يكون هناك أدنى حرج في أن الأوقات تنفق في غير الطاعة والعبادة .

(5) مجاهدة النفس وأخذها دوما بالشدة والحزم :

لئلا تسيطر عليها الأهواء وتستبد بها الشهوات فتدفعها إلى العزلة والفرار من تكاليف مخالطة الجماعة والعيش بين الناس .

(6) فهم الدور الواجب على المسلم حين ينتشر الشر ويعم الفساد :

فإن ذلك كاف في إخراج أي عامل من عزلته وحمله على مخالطة الناس واقتحام الخطوب من أجل القضاء على الشر ومقاومة الفساد أو على الأقل تحجيمهما .

(7) اللجوء التام إلى الله عز وجل والاستعانة الصادقة به فإن من يستعين بالله يعينه الله :

{ وإذا سألك عبادي عنى فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون } .

(8) التخلص من صحبة من كان منهجهم العزلة وسيرتهم التفرد مع ملازمة صف العاملين : فإن ذلك له دور كبير في القضاء على العزلة .

(9) الإلمام التام بحقيقة الهيئات والجماعات العاملة لدين الله : فإن ذلك سينتهي به حتما إلى نبذ حياة العزلة والسير مع من كانت على الخير كله وقائمة بالحق جميعه.

(10) الوقوف على حقيقة المنهج الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم في تشييد صرح ودولة الإسلام الأولي فإن ذلك يعين على التخلص من العزلة ويحمل على الانحياز للجماعة اقتداء وتأسيا به صلى الله عليه وسلم :

{ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا }.

(11) إدراك أن أعداء الله من الكافرين والمنافقين يتعاونون فيما بينهم ويعملون لضرب الإسلام مجتمعين لا متفرقين في شكل أحلاف عسكرية : ( حلف وارسو - حلف الأطلنطي ) وفي شكل أسواق تجارية : ( السوق الأوروبية المشتركة ) وفي شكل برلمانات وهيئات سياسية : ( البرلمان الأوروبي ) وفي شكل اتحادات جمهورية وولاياته ( جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، والولايات المتحدة الأمريكية ).

وإذا كان هذا شأن أعداء الله وهم على الباطل وبينهم من خلافات جوهرية فأولى بنا نحن المسلمين لا سيما أننا على الحق وليست لدينا خلافات جوهرية أن نواجههم بنفس الأسلوب أي مجتمعين لا متفرقين :

{ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير }.

(12) التأمل في حياة المخلوقات المحيطة بنا الموجودة حولنا فإن ذلك التأمل سيقودنا حتما إلى أن هذه المخلوقات ما تعيش في عزلة وإنما تعيش مجتمعة متعاونة لتؤدى دورها فها هي المجموعة الشمسية تتعاون لتوفير الضياء والدفء لسائر الكائنات الحية وها هي جماعة النحل تتعاون في بناء بيوتها وتنظيفها وتوفير الحماية لها ثم تسرح لتمتص رحيق الأزهار ولتخرجه في النهاية عسلا مصفي فيه شفاء للناس ومثل ذلك يحدث لجماعة النمل وباقي المخلوقات مما حدا بالشاعر أن يقول :

النمل تبنى قراها في تماسكها والنحل تجنى رحيق الشهد أعوانا

وإذا كان هذا شأن المخلوقات التي لا عقل لها فكيف بنا نحن بني آدم الذين ميزنا الله بالعقل والحرية والإرادة وجعلنا سادة في هذا الكون وهكذا يمكن أن يؤدى مثل هذا التأمل إلى نبذ حياة العزلة والعيش مع الجماعة وبين الناس .

(13) الوقوف على حقيقة الآثار المترتبة على العزلة أو التفرد وقد ذكرناها آنفا فإن ذلك يقود من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد إلى العيش بين الناس ومخالطتهم حذرا من الوقوع في هذه الآثار أو تلك العواقب .

**الآفة الخامسة**

**الإعجاب بالنفس**

والآفة الخامسة التي يصاب بها بعض العاملين وعليهم أن يعملوا جاهدين على مداواة أنفسهم وتحريرها بل والاحتراز والتوقي منها : إنما هي الإعجاب بالنفس .

ولكي يكون حديثنا عن هذه الآفة واضح الأبعاد محدد المعالم سنجعله يدور على النحو التالي :

**أولاً : معنى الإعجاب بالنفس :**

**لغة :** يطلق الإعجاب بالنفس في اللغة ويراد به :

(أ) السرور والاستحسان تقول : أعجبه الأمر : سره وأعجب به : سر به ومنه قوله تعالى: {ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم}.

{ قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث }.

{ كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا }.

(ب) الزهو أو الإعظام والإكبار تقول : أعجبه الأمر أي زها به وعظم عنده وكبر لديه ، ورجل معجب أي مزهر أو معظم ومكبر لما يكون منه حسنا أو قبيحا ومنه قوله تعالى : { ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا }.

**اصطلاحا :** أما في اصطلاح الدعاة أو العاملين فإن الإعجاب بالنفس هو : السرور أو الفرح بالنفس وبما يصدر عنها من أقوال أو أعمال من غير تعد أو تجاوز إلى الآخرين من الناس سواء أكانت هذه الأقوال وتلك الأعمال خيراً أو شراً محمودة أو غير محمودة فإن كان هناك تعد أو تجاوز إلى الآخرين من الناس باحتقار واستصغار ما يصدر عنهم فهو الغرور أو شدة الإعجاب وإن كان هناك تعد أو تجاوز إلى الآخرين من الناس باحتقارهم في أشخاصهم وذواتهم والترفع عليهم فهو التكبر أو شدة الإعجاب [[68]](#footnote-69).

**ثانياً : أسباب الإعجاب بالنفس**

للإعجاب بالنفس أسباب تؤدى إليه وبواعث توقع فيه نذكر منها :

**1- النشأة الأولى :**

فقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس إنما هي النشأة الأولى .

ذلك أن الإنسان قد ينشأ بين أبوين يلمس منهما أو من أحدهما : حب المحمدة ودوام تزكية النفس أن بالحق وإن بالباطل والاستعصاء على النصح والإرشاد ونحو ذلك من مظاهر الإعجاب بالنفس فيحاكيهما

وبمرور الزمن يتأثر بهما ويصبح الإعجاب بالنفس جزء من شخصيته إلا من رحم الله .

ولعل ذلك السر في تأكيد الإسلام على التزام الأبوين بمنهج الله على النحو الذي قدمنا الآفة الثانية ((آفة الإسراف )).‎

إذ منهج الله وحده هو الذي يحمى الأبوين من أي انحراف وبذلك يصلحان أن يكونا قدوة للأولاد.

**2- الإطراء والمدح في الوجه دون مراعاة للآداب الشرعية المتعلقة بذلك :**

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس إنما هو الإطراء والمدح في الوجه دون مراعاة للآداب الشرعية المتعلقة بذلك :

ذلك أن هناك فريقا من الناس إذا أطرى أو مدح في وجهة دون تقيد بالآداب الشرعية في هذا الإطراء وذلك المدح اعتراه أو ساوره لجهله بمكائد الشيطان خاطر : أنه ما مدح وما أطرى أي أنه يملك من المواهب ما ليس لغيره وما يزال هذا الخاطر يلاحقه ويلح عليه حتى يصاب والعياذ بالله بالإعجاب بالنفس ولعل ذلك هو السر في ذمه صلى الله عليه وسلم للثناء والمدح في الوجه بل وتأكيده على ضرورة مراعاة الآداب الشرعية إن كان ولابد من ذلك [[69]](#footnote-70).

جاء عن مجاهد عن أبى معمر أنه قال : قام رجل يثنى على الأمير من الأمار فجعل المقداد بن السود في وجهة التراب وقال :(( أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحثى في وجوه المداحين التراب))[[70]](#footnote-71)

وجاء عن عبد الرحمن بن أبى بكر عن أبيه قال : مدح رجل رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال :(( ويحك قطعت عنق صاحبك قطعت عنق صاحبك)) مرارا (( إذا كان أحدكم مادحا لا محالة فليقل : أحسب فلانا والله حسيبه ولا ـزكى على الله أحدا أحسبه إن كان يعلم ذلك كذا وكذا ))[[71]](#footnote-72).

**3-صحبة نفر من ذوى الإعجاب بأنفسهم :**

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس إنما هي الصحبة والملازمة لنفر من ذوى الإعجاب بأنفسهم

ذلك أن الإنسان شديد المحاكاة والتأثر بصاحبه لا سيما إذا كان هذا الصاحب قوى الشخصية ذا خبرة ودارية بالحياة وكان المصحوب غافلا على سجيته يتأثر بكل ما يلقى عليه وعليه فإذا كان الصاحب مصابا بداء الإعجاب فإن عدواه تصل إلى قرينه فيصير مثله ولعل هذا هو السر في تأكيد الإسلام على ضرورة انتقاء واختيار الصاحب لتكون الثمرة طيبة والعواقب حميدة وقد قدمنا طرفا من النصوص الشرعية المتعلقة بذلك أثناء الحديث عن آفة (( الفتور )).

**4- الوقوف عند النعمة ونسيان المنعم :**

وقد يكون السب في الإعجاب : إنما هو الوقوف عند النعمة ونسيان المنعم : كذلك أن هناك صنفا في العاملين إذا حباه الله نعمة من المال أو علم أو قوة أو جاه أو نحوه وقف عند نعمة ونسى المنعم وتحت تأثير بريق المواهب وسلطانها تحدثه نفسه أنه ما أصابته هذه النعمة إلا لما لديه من ولا يزال هذا الحديث على حد قول قارون :(( إنما أوتيته على علم عندي )) ولا يزال هذا الحديث يلح عليه حتى يرى أنه بلغ الغابة أو المنتهي ويسر ويفرح بنفسه وبما يصدر عنها ولو كان باطلا وذلك هو الإعجاب بالنفس .

ولعل هذا هو السر في تأكيد الإسلام على أن مصدر النعمة أي نعمة إنما هو الله عز وجل : { وما بكم من نعمة فمن الله .....} .

{ والله أخرجكم منبطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم سمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون }. {ألم ترو أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنه}.

{يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم }.بل وعلى أن يناجى المسلم ربه كل صباح ومساء قائلا ثلاث مرات:

اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك ‎الشكر)) [[72]](#footnote-73)

**5- الصدارة للعمل قبل النضج وكمال التربية :**

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس إنما هي الصدارة للعمل قبل النضج وكمال التربية : ذلك أن ظروف العمل الإسلامي قد تفرض أن يتصدر بعض العاملين للعمل قبل أن يستوي عودهم وقبل أن تكتمل شخصيتهم وحينئذ يأتي الشيطان فيلقى في روعهم أنهم ما تصدروا للعمل وما وضعوا في الموقع الذي هم فيه الآن إلا لما يحملون من مؤهلات ما لديهم من مواهب وإمكانات وقد ينطلي عليهم لجهلهم بمكائد الشيطان وحيله مثل هذا الإلقاء فيصورونه حقيقة ويرفعون من قدر نفوسهم فوق ما تستحق حتى يكون الإعجاب بها والعياذ بالله........

ولعل هذا هو السر حرص الإسلام على الفقه فقه وعلى أن يكون هذا الفقه قبل الصدارة أو القيادة إذ يقول الله تعالى :{ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون }.

{ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا }.

وإذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم -:

(( من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين )) [[73]](#footnote-74).

وإذ يقول عمر رضى الله تعالى عنه -:(( تفقهوا قبيل تسودوا )) يعنى : تعلموا العلم قبل أن تصيروا سادة أو أصحاب مسئولية لتدركوا ما في السيادة أو ما في المسئولية من آفات فتتقوها .

**6- الغفلة أو الجهل بحقيقة النفس :**

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس إنما هي الغفلة و الجهل بحقيقة النفس : ذلك أن الإنسان إذا غفل أو جهل حقيقة نفسه ، وأنها من ماء مهين خرج من مخرج البول ، وأن النقص دائماً طبيعتها وسمتها ، وأن مردها أن تلقى في التراب ، فتصير جيفة منتنة ، تنفر من رائحتها جميع الكائنات ، إذا غفل الإنسان أو جهل ذلك كله ربما خطر بباله أنه شئ ، ويقوى الشيطان فيه هذا الخاطر حتى يصير معجباً بنفسه .

ولعل هذا هو السر في حديث القرآن و السنة المتكرر عن حقيقة النفس الإنسانية بدءاً ، ونهاية .

إذ يقول الحق سبحانه { الذي أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين } ، { ألم نخلقكم من ماء مهين } ، { ثم أماته فأقبره } .

**7- عراقة النسب أو شرف الأصل :**

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس إنما هي عراقة النسب ، أو شرف الأصل ، ذلك أن بعض العاملين قد يكون سليل بيت عريق النسب ، أو شريف الأصل ، وربما حمله ذلك على استحسان نفسه وما يصدر عنها ، ناسياً أو متناسياً أن النسب أو الأصل لا يقدم ولا يؤخر ، بل المعول عليه إنما هو العمل المقرون بالجهد و العرق ، وهكذا تنتهي به عراقة نسبه أو شرف أصله إلى الإعجاب بنفسه ، ولعل ذلك هو سر تأكيد الإسلام على العمل و العمل وحده :

إذ يقول الحق سبحانه { فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون } { ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً \* ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً } .

وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه { وأنذر عشيرتك الأقربين } ، ( يا معشر قريش : اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا بنى عبد المطلب : لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت رسول الله : سليني ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئاً ) [[74]](#footnote-75)

**8- الإفراط أو المبالغة في التوقير والاحترام :**

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس ، إنما هو الإفراط أو المبالغة في التوقير والاحترام ، ذلك أن بعض العاملين قد يحظى من الآخرين بتوقير واحترام فيهما مبالغة أو إفراط يتعارض مع هدى الإسلام ، ويأباها شرع الله الحنيف ، كدوام الوقوف طالما أنه قائم أو قاعد ، وكتقبيل يده والانحناء له و السير خلفه ... الخ .

وإزاء هذا السلوك قد تحدثه نفسه أنه ما حظي بهذا التوقير والاحترام إلا لأن لديه من المواهب ، و الخصائص ما ليس لغيره ، ويظل هذا الحديث يقوى ويشتد إلى أن يكون الإعجاب بالنفس - و العياذ بالله - ولعل هذا هو سر نهيه - صلى الله عليه وسلم - أصحابه : أن يقوموا له ، وأن يعظموه كما يعظم الأعاجم ملوكهم فيقول :( من أحب أن يتمثل له الناس فليتبوأ مقعده من النار )[[75]](#footnote-76)

ويخرج صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه يوماً متوكئاً على عصا فيقومون له فيقول :( لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً)[[76]](#footnote-77)

**9- الإفراط أو المبالغة في الانقياد ، و الطاعة :**

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس إنما هو الإفراط أو المبالغة في الانقياد ، و الطاعة ، ذلك أن بعض العاملين قد يلقى من الآخرين انقياداً وطاعة فيهما إفراط أو مبالغة لا تتفق ومنهج الله ، كأن يكون هذا الانقياد وهذه الطاعة في كل شئ سواء كان معروفاً أو منكراً ، خيراً أو شراً .

وتبعاً لذلك قد تسول له نفسه أنه ما كان الانقياد ، وما كانت الطاعة إلا لأنه يملك من الخصائص ، و المزايا ما لا يملك غيره ، وربما صدق فكان الإعجاب بالنفس .

ولعل ذلك هو بعض السر في تأكيد الإسلام على أن يكون الانقياد و الطاعة في المعروف ، وليس في المعصية .

يقول - صلى الله عليه وسلم - :( على المرء المسلم السمع و الطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة )[[77]](#footnote-78)

**10- الغفلة عن الآثار المترتبة على الإعجاب بالنفس :**

وأخيراً قد يكون السبب في الإعجاب بالنفس ، إنما هي الغفلة عن الآثار و العواقب ، ذلك أن سلوك الإنسان في الحياة غالباً ما يكون نابعاً من إدراكه أو عدم إدراكه لعواقب وآثار هذا السلوك .

وعليه فإن العامل أو الداعية إذا لم يدرك العواقب المترتبة على الإعجاب بالنفس فإنه قد يصاب به ، ولا يراه إلا أمراً بسيطاً هيناً ، لا يحتاج منه أن يقف عنده ، أو أن يضيع فيه وقته .

ولعل ذلك السر في حرص هذا الدين على عرض مبادئه ومقاصده مقرونة بآثارها وعواقبها .

**ثالثاً : آثار الإعجاب بالنفس :**

هذا وللإعجاب بالنفس آثار سيئة ، وعواقب وخيمة ، سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي ، ودونك طرفاً من هذه الآثار ، وتلك العواقب :

**على العاملين :**

فمن آثاره على العاملين :

**1- الوقوع في شراك الغرور بل والتكبر :**

أي أن الأثر الأول للإعجاب بالنفس ، إنما هو الوقوع في شراك الغرور بل والتكبر ، ذلك أن المعجب بنفسه كثيراً ما يؤدى به الإعجاب إلى أن يهمل نفسه ، ويلغيها من التفتيش و المحاسبة ، وبمرور الزمن يستفحل الداء ، ويتحول إلى احتقار واستصغار ما يصدر عن الآخرين ، وذلك هو الغرور ، أو يتحول إلى الترفع عن الآخرين ، واحتقارهم في ذواتهم وأشخاصهم وذلك هو التكبر.

وللغرور و التكبر آثارهما الخطيرة ، وعواقبهما المهلكة التي سنقف عليها بالتفصيل عند الحديث عن هاتين الآفتين إن شاء الله تعالى .

**2- الحرمان من التوفيق الإلهي :**

أي أن الأثر الثاني للإعجاب بالنفس ، إنما هو الحرمان من التوفيق الإلهي :

ذلك أن المعجب بنفسه كثيراً ما ينتهي به الإعجاب إلى أن يقف عند ذاته ، ويعتمد عليها في كل شئ ناسياً أو متناسياً خالقه وصانعه ، ومدبر أمره ، و المنعم عليه بسائر النعم الظاهرة و الباطنة .

ومثل هذا يكون مآله الخذلان ، وعدم التوفيق في ظل ما يأتي وفي كل ما يدع ، لأن الحق - سبحانه - مضت سنته في خلقه ، أنه لا يمنح التوفيق إلا لمن تجردوا من ذواتهم ، واستخرجوا منها حظ الشيطان ، بل ولجأوا بكليتهم إليه ، تبارك اسمه ، وتعاظمت آلاؤه ، وقضوا حياتهم في طاعته وخدمته ، كما قال في كتابه { و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا } .

وكما قال في الحديث القدسي :( .... وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشى بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه ) .

**3- الانهيار في أوقات المحن و الشدائد :**

أي أن الأثر الثالث للإعجاب بالنفس ، إنما هو الانهيار في أوقات المحن و الشدائد :ذلك أن المعجب بنفسه كثيراً ما يهمل نفسه من التزكية ، و التزود بزاد الطريق ، ومثل هذا ينهار ويضعف مع أول شدة أو محنة يتعرض لها ، لأنه لم يتعرف على الله في الرخاء حتى يعرفه في الشدة ، وصدق الله إذ يقول :{ إن الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون } ، { وإن الله لمع المحسنين } .

وصدق النبي صلى الله عليه وسلم إذ ينصح عبد الله بن عباس فيقول :

( ... احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ... )[[78]](#footnote-79)

**4- النفور و الكراهية من الآخرين :**

أي أن الأثر الرابع للإعجاب بالنفس ، إنما هو النفور و الكراهية من الآخرين ، ذلك أن المعجب بنفسه قد عرَّض نفسه بصنيعه هذا لبغض الله له ، ومن ابغضه الله أبغضه أهل السموات ، و بالتالي يوضع له البغض في الأرض ، فترى الناس ينفرون منه ، ويكرهونه ولا يطيقون رؤيته بل ولا سماع صوته جاء في الحديث :( إن الله إذا أحب عبداً ، دعا جبريل فقال : إني أحب فلاناً فأحبَّه ، قال: فيحبه جبريل ، ثم ينادى في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ، قال : ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلاناً فأبغضْه ، قال فيبغضه جبريل ، ثم ينادى في أهل السماء ، إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه ، قال : فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض ) [[79]](#footnote-80).

**5- العقاب أو الانتقام الإلهي عاجلاً أو آجلاً :**

أي أن الأثر الخامس للإعجاب بالنفس ، إنما هو العقاب أو الانتقام الإلهي عاجلاً أو آجلاً : ذلك أن المعجب بنفسه قد عرَّض نفسه بهذا الخلق إلى العقاب والانتقام الإلهي عاجلاً بأن يخسف به كما كان في الأمم الماضية ، أو على الأقل يصاب بالقلق ، و التمزق والاضطراب النفسي ، كما في هذه الأمة ، أو آجلاً بأن يعذب في النار مع المعذبين وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول :( بينما رجل يمشى في حلة تعجبه نفسه ، مرجِّل جمَّته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة )[[80]](#footnote-81)

**على العمل الإسلامي :**

وأما آثاره على العمل الإسلامي فتدور حول :

**1- سهولة اختراقه وبالتالي ضربه ،** أو على الأقل إجهاضه ، فلا يؤتى ثماره إلا بعد تكاليف كثيرة ، وزمن طويل ، نظراً لانهيار العاملين المعجبين بأنفسهم في أوقات المحن و الشدائد ، بل وحرمانهم من خاصية نفاذ البصيرة ، تلك التي تساعد على معرفة الأدعياء ، وتمييز الدخلاء من غيرهم .

**2- توقف أو على الأقل بطء كسب الأنصار والأصدقاء ،** نظراً لنفور الناس وكراهيتهم للعاملين المعجبين بأنفسهم وهذا فيه ما فيه من طول الطريق وكثرة التكاليف ، تلكم هي آثار الإعجاب بالنفس على العاملين ، وعلى العمل الإسلامي .

**رابعاً : مظاهر الإعجاب بالنفس :**

ويمكن اكتشاف هذا الداء من خلال المظاهر التالية :

**1- تزكية النفس :**

أي أن المظهر الأول للإعجاب بالنفس ، إنما هو دوام التزكية للنفس و الثناء عليها ، و العرف من قيمتها ، مع نسيان أو تناسى قول الله عز وجل { فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى } .

**2- الاستعصاء على النصيحة :**

و المظهر الثاني للإعجاب بالنفس ، إنما هو الاستعصاء على النصيحة بل و النفور منها ، مع أنه لا خير في قوم لا يتناصحون ولا يقبلون النصيحة .

**3- الفرح بسماع عيوب الآخرين لاسيما أقرانه :**

و المظهر الثالث للإعجاب بالنفس إنما هو الفرح بسماع عيوب الآخرين لاسيما أقرانه ، حتى قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - ( إن من علامة المنافق : أن يفرح إذا سمع بعيب أحد من أقرانه )[[81]](#footnote-82)

**خامساً : الطريق لعلاج الإعجاب بالنفس :**

وما دمنا قد وقفنا على أسباب وباعث الإعجاب بالنفس ، فإن من السهل معرفة طريق علاج واقتلاع هذا الداء ، بل الوقاية منه ، وتتلخص في :

1- التذكير دائماً بحقيقة النفس الإنسانية ، وذلك بأن يفهم المعجب بنفسه أن نفسه التي بين جنبيه لولا ما فيها من النفخة الإلهية ما كانت تساوى شيئاً ، فقد خلقت من تراب تدوسه القدام ، ثم من ماء مهين يأنف الناظر إليه من رؤيته ، وسترد إلى هذا التراب مرة أخرى ، فتصير جيفة منتنة ، يفر الخلق كلهم من رائحتها ، وهي بين البدء والإعادة تحمل في بطنها العذرة أي الفضلات ذات الروائح الكريهة ، ولا تستريح ولا تهدأ إلا إذا تخلصت من هذه الفضلات .

إذ أن مثل هذا التذكير يساعد كثيراً في ردع النفس ، وردها عن غيها ، واقتلاع داء الإعجاب منها ، بل وحمايتها من التورط فيه مرة أخرى .

وقد لفت أحد السلف النظر إلى هذه الوسيلة حين سمع معجباً بنفسه قائلاً :( أتعرف من أنا ؟ فرد عليه بقوله : نعم : أعرف من أنت ، لقد كنت نطفة قذرة وستصير جيفة قذرة ، وأنت بين هذا وذاك تحمل العذرة ) .

2- التذكير دائما بحقيقة الدنيا والآخرة ، وذلك بأن يعرف المعجب بنفسه أن الدنيا مزرعة للآخرة ، وأنه مهما طال عمرها فإنها إلى زوال ، وأن الآخرة إنما هي الباقية ، وأنها هي دار القرار ، إذ أن مثل هذا التذكير يحمل الإنسان على أن يعدل من سلكوه ، أو يقوم عوج نفسه ، قبل أن تنتهي الحياة ، وقبل أن تضيع الفرصة ، ويفوت الأوان .

3- التذكير بنعم الله التي تغمر الإنسان ، وتحيط به من أعلى إلى أدنى كما قال سبحانه { وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها } ، { وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة } ، فإن هذا التذكير من شأنه أن يشعر الإنسان بضعفه وفقره ، وحاجته إلى الله دائماً ، وبالتالي يطهر نفسه من داء الإعجاب ، بل ويقيه أن يبتلى به مرة أخرى .

4- التفكر في الموت : وما بعده من منازل ، من شدائد وأهوال ، فإن ذلك كفيل باقتلاع الإعجاب من النفس ، بل وتحصينها ضده ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

5-دوام الاستماع أو النظر في كتاب الله عز وجل وسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - فإن فيهما البيان الشافي ، و التحليل الدقيق لكل ما يتصل بالوسائل الأربع المذكورة آنفاً ، وبهما يتخلص الإنسان - إن كان موضوعياً وصادقاً مع نفسه - من كل داء .

6-دوام حضور مجالس العلم ، لاسيما تلك التي تدور حول علل النفس وطريق الخلاص منها ، فإن أمثال هذه المجالس كثيراً ما تعين على تطهير النفس ،بل وصيانتها من داء الإعجاب .

7- الإطلاع على أحوال المرضى وأصحاب العاهات بل و الموتى ، لاسيما في وقت غسلهم وتكفينهم ودفنهم ، ثم زيارة القبور بين الحين و الحين و التفكر في أحوال أهلها ومصيرهم ، فإن ذلك يحرك الإنسان من داخله ، ويحمله على اقتلاع العجب ونحوه من كل العلل والأمراض النفسية أو القلبية .

8- وصية الأبوين أن يتحررا من داء الإعجاب بالنفس ونحوه ، وأن يكوناً قدوة صالحة أمام الولد ، وأن يفهماه بأن ما وقع منهما كان خطأ وأنهما قد أقلعا عن هذا الخطأ ، وعليه أن يقلع عنه مثلهما ويتوب إلى الله عز وجل .

9- الانقطاع عن صحبة المعجبين بأنفسهم مع الارتماء في أحضان المتواضعين العارفين أقدارهم ، ومكانتهم ، فإن ذلك يساعد في التخلص بل وفي التوقي من الإعجاب بالنفس .

10- التوصية و التأكيد على ضرورة اتباع الآداب الشرعية في الثناء و المدح في التوقير والاحترام ، في الانقياد و الطاعة ، مع الإعراض والزجر الشديد لكل من يخرجون على هذه الآداب ، فإن ذلك له دور كبير في مداواة النفس وتحريرها من الإعجاب .

11- التأخير عن المواقع الأمامية بعض الوقت ، إلى أن تستقيم النفس ويصلب عودها ، وتستعصي على الشيطان فإن ذلك يسهل طريق العلاج .

12- دوام النظر في سير السلف ، وكيف كانوا يتعاملون مع أنفسهم حين يرون منها مثل هذا الخلق ، فإن ذلك يحمل على الإقتداء و التأسي ، أو على الأقل المحاكاة ، و المشابهة في استئصال هذا الداء ، وقطع الطريق عليه أن يعود إلى النفس مرة أخرى .

13- تعريض النفس بين الحين و الحين لبعض المواقف التي تقتل كبرياءها وتضعها في موضعها الصحيح ، كأن يقوم صاحبها بخدمة إخوانه الذين هم أدنى منه في المرتبة ، أو أن يقوم بشراء طعامه من السوق ، وحمل أمتعته بنفسه ، على نحو ما أثر عن كثير من السلف .

فقد روى عن عمر - رضى الله تعالى عنه - أنه لما قدم الشام عرضت له مخاضة ، فنزل عن بعيره ونزع خفيه وخاض الماء ومعه بعيره ، فقال له أبو عبيدة عامر بن الجراح : لقد صنعت اليوم صنعاً عظيماً عند أهل الأرض ، فصك صدره وقال : أوَّه ، لو غيرك قال هذا يا أبا عبيدة ، إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس فأعزكم الله برسوله فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله ) .

وجاء في رواية أخرى :( أنه لما قدم الشام استقبله الناس ، وهو على بعيره ، فقيل له ، لو ركبت برذوناً تلقى بع عظماء الناس ووجوههم ؟ فقال عمر - رضى الله تعالى عنه - لا أراكم ههنا ، إنما الأمر من ههنا - و أشار بيده إلى السماء - خلوا سبيل جملي ) .

14- متابعة الآخرين له ، ووقوفهم بجانبه حتى يتمكن من التخلص من هذه الآفة .

15- محاسبة النفس أولاً بأول ، حتى يمكن الوقوف على العيوب وهي لا تزال في بداياتها فيسهل علاجها و الوقاية منها .

16- إدراك العواقب والآثار المترتبة على الإعجاب بالنفس ، فإنها ذات أثر فعال في علاج هذه الآفة و التحصن ضدها .

17- الاستعانة بالله - عز وجل - وذلك بواسطة الدعاء والاستغاثة و اللجوء إليه ، أن يأخذ الله بيده ، وأن يطهره من هذه الآفة ، وأن يقيه شر الوقوع فيها مرة أخرى ، إذ أن من استعان بالله أعانه الله ، وهداه لصراطه المستقيم .

18- التأكيد على المسئولية الفردية ، بغض النظر عن الأحساب والأنساب ، فإن ذلك له دور كبير في علاج النفس ، بل وحفظها من أن تقع مرة أخرى في آفة الإعجاب .

**الآفة السادسة**

**الغرور**

والآفة السادسة التي يبتلى بها بعض العاملين ، وعليهم أن يعملوا جاهدين على التحرر منها ، وعدم الوقوع فيها مرة أخرى إنما هي : الغرور ، ولكي يكون حديثنا عن هذه الآفة واضح الأبعاد ، محدد الملامح و المعالم سنجعله يدور على النحو التالي :

**أولاً : معنى الغرور :**

**لغة :** يطلق الغرور في اللغة على عدة معان أهمها :

أ- الخداع سواء أكان للنفس أو للغير ، أو للنفس وللغير معاً ، تقول : غرّه ، يغرّه ، غروراً أي خدعه ، وغرّ نفسه يغرها غروراً تعنى خدعها .

ومنه قوله تعالى { وما يعدهم الشيطان إلا غروراً }

ب- ما يؤدى إلى الغرور ، وما يوقع فيه ، قال الجوهري ، و الغرور بالضم ما اغتر به من متاع الدنيا .

ومنه قوله سبحانه { يا أيها الناس إن وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور } .

**اصطلاحاً :** أما في اصطلاح الدعاة أو العاملين فإن الغرور : هو إعجاب العامل بنفسه إعجاباً يصل إلى حد احتقار أو استصغار كل ما يصدر عن الآخرين بجنب ما يصدر عنه ، ولكن دون النيل من ذواتهم أو الترفع على أشخاصهم .

ولا شك أن من كان بهذه المثابة فهو مخدوع ، وتبعاً لذلك فإننا يمكن أن نفهم مدى التلاقي بين المعنى الاصطلاحي و المعنى اللغوي .

**ثانياً : أسباب الغرور**

ولما كان الغرور شدة الإعجاب بالنفس ، فإن أسبابه التي تؤدى إليه وبواعثه التي توقع فيه هي في جملتها أسباب الإعجاب بالنفس ويزاد عليها :

**( 1 ) إهمال النفس من التفتيش والمحاسبة :**

إذ قد يكون السبب في الغرور إنما هو إهمال النفس من التفتيش والمحاسبة ذلك أن بعض العاملين قد يبتلى بالإعجاب بالنفس ولإهماله نفسه من التفتيش والمحاسبة يتمكن الداء منه ويتحول إلى احتقار أو استصغار ما يقع من الآخرين بالإضافة إلى ما يقع منه وبذلك يصير مغرورا ولعل هذا هو السر في وصية الإسلام بالتفتيش في النفس ومحاسبتها أولا بأول :

{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون }

**(2) الإهمال أو عدم المتابعة والأخذ باليد من الآخرين :**

وقد يكون السبب في الغرور إنما هو الإهمال أو عدم المتابعة والأخذ باليد من الآخرين :

ذلك أن بعض العاملين قد يصاب بآفة الإعجاب بالنفس ويكون من ضعف الإرادة وخور العزيمة وفتور الهمة بحيث لا يستطع التطهر بذاته من هذه الآفة وإ نما لابد له من متابعة الآخرين ووقوفهم بجواره وأخذهم بيده وقد لا يلتفت الآخرين إلى ذلك فيقعدون عن أداء دورهم وواجبهم وحينئذ تتمكن هذه الآفة من النفس وتتحول بمرور الزمن إلى غرور والعياذ بالله 0

ولعل ذلك هو السر في تأكيد الإسلام على النصيحة حتى جعل الدين كله منحصرا فيها وراجعا إليها : إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ( الدين النصيحة ) قلنا : لمن ؟ قال : الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسمين وعامتهم )[[82]](#footnote-83) ولعله السر أيضا في دعوته إلى التضامن والتعاون بين المسلمين :إذ يقول الله تعالى { وتعاونوا على البر والتقوى } ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : ( المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه )

**(3) الغلو أو التشدد في الدين :**

وقد يكون السبب في الغرور إنما هو الغلو أو التشدد في الدين ذلك أن بعض العاملين قد يقبل على منهج الله في غلو وتشدد وبعد فترة من الزمان ينظر حوله فيرى غيره من العاملين يسلكون المنهج الوسط فيظن لغفلته أو عدم إدراكه طبيعة هذا الدين أن ذلك منهم تفريط أو تضيع ويتمادى به هذا الظن إلى جد الاحتقار والاستصغار لكل ما يصدر عنهم بالإضافة إلى ما يقع منه وذلك هو الغرور

ولعل ذلك هو بعض السر في دعوة الإسلام إلى الوسطية بل وتحذيره من الغلو أو التشدد في الدين :

إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم للرهط الذين عزموا على التبتل واعتزال الحياة: ( أنتم قلتم كذا وكذا : أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس منى )[[83]](#footnote-84) ويقول : ( هلك المتنطعون )[[84]](#footnote-85) قالها ثلاثا يعنى : المتعمقين المجاوزين الحدود في أقوالهم ( إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين ) ( إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا 000 الحديث )[[85]](#footnote-86)

(4) التعمق في العلم لاسيما غرائب وشواذ المسائل مع إهمال العمل :

وقد يكون السبب في الغرور إنما هو التعمق في العلم لاسيما غرائب وشواذ المسائل مع إهمال العمل :ذلك أن بعض العاملين قد يكون كل همه التعمق في العلم لاسيما غرائب وشواذ المسائل مع إهماله العمل وربما لاحظ أثناء طرح هذه المسائل غفلة بعض العاملين عنها وعدم إلمامهم بها إنما لأنها ثانوية لا يضر الجهل بها وإما لأنه لا يترتب عليها عمل فيخطر بباله أن هؤلاء لا يتقنون من مسائل العلم شيئا وإن أتقنوا فإنما هو قليل في جانب ما لديه من الغرائب والشواذ وما يزال هذا الخاطر يتردد في نفسه ويلح عليه حتى يتحول إلى احتقار واستصغار ما لدى الآخرين بالإضافة إلى ما عنده وذلك هو داء الغرور 0

ولعل ذلك هو السر في دعوة الإسلام إلى أن يكون السعي في طلب العلم دائما حول النافع والمفيد إذ كان من دعائه صلى الله عليه وسلم( اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها )[[86]](#footnote-87) بل وفي تأكيده على أن يكون هذا العلم مقرونا بالعمل وإلا كان الهلاك والبوار إذ يقول الله سبحانه وتعالى : { يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون }

{ أتأمرون الناس بالير وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون }

وإذ يقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم :( يجئ بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه )[[87]](#footnote-88)

**(5) الوقوف عند الطاعات مع نسيان المعاصي والسيئات :**

وقد يكون السبب في الغرور إنما هو الوقوف عند الطاعات مع نسيان المعاصي والسيئات ذلك أننا جميعا بشر وشأن البشر سوى النبيين الصواب والخطأ وإذا غفل العامل عن ذلك فإنه كثيرا ما يقف عند الطاعة أو الصواب في الوقت الذي ينسى فيه المعصية أو الخطأ وتكون العاقبة الإعجاب بالنفس المقرون باحتقار ما يقع فيه الآخرون إلى جانب ما يصدر عنه وهذا هو الغرور

ولقد لفت المولى سبحانه وتعالى النظر إلى هذا السبب أو إلى هذا الباعث وهو يمدح صنفا من المؤمنين يؤدى الطاعة ويخاف أن يكون قد وقع منه ما يحول بينه وبين قبولها فقال : { إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون } تقول عائشة رضى الله تعالى عنها قلت يا رسول الله : ( والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ) هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل ؟ قال : ( لا يا بنت الصديق ولكنه الذي يصلى ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل )[[88]](#footnote-89)

كما لفت النبي صلى الله عليه وسلم النظر إلى ذلك حين دعا إلى أن يكون التعويل بعد الفراغ من العمل على فضل الله ورحمته لا على العمل نفسه وإلا كان الغرور والضياع فقال : ( لن ينجى أحدا منكم عمله ) قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ( ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشئ من الدلجة والقصد تبلغوا )[[89]](#footnote-90) وقد عبر عن ذلك كله بوضوح سيدنا عبد الله بن مسعود حين بين أثر تذكر الذنب ونسيانه على سلوك الإنسان فقال ( إن المؤمن من يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا أي نحاه بيده ودفعه عنه )[[90]](#footnote-91) .

**(6) الركون إلى الدنيا :**

وقد يكون السبب في الغرور هو الركون إلى الدنيا : ذلك أن بعض العاملين قد يفطن إلى أنه مبتلى بآفة الإعجاب بالنفس بيد أنه لركونه إلى الدنيا وانغماسه فيها ربما يعتريه الكسل فلا يستطيع أن يجمع همته لمداواة نفسه بل قد يأخذ في التسويف وتأخير التوبة وبمرور الزمن يتحول الإعجاب بالنفس إلى داء أكبر وأبعد ألا وهو الغرور

وقد لفت القرآن الكريم النظر إلى هذا السبب أو إلى هذا الباعث من خلال ذم الدنيا والتحذير منها إذا اتخذها الناس هدفا أو غاية فقال { اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما }

{ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا } { إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون }

وقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ( تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة : إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله وأشعت رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة إن استأذن لم يؤذى له وإن شفع لم يشفع )[[91]](#footnote-92) وقلما كان صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه :

( اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منها واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا )[[92]](#footnote-93) .

ولقد وعى سلف الأمة ما يجره الركون إلى الدنيا والاطمئنان إليها على المرء من وبال فأعرضوا عنها إلا بمقدار ما يتزودون منه للآخرة وجرى ذلك كثيرا على ألسنتهم يقول على رضى الله تعالى عنه :\_

( ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهم بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل )[[93]](#footnote-94).

ويقول الحسن رحمه الله :-

( من نافسك في دينك فنافسه فيه ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره )[[94]](#footnote-95).

ويصور بعضهم هذا الوعي وذلك الإحساس قائلا :

إن لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا

جعلوه لجة واتخذوا صالح العمال منها سفنا [[95]](#footnote-96)

**7- رؤية بعض ذوى الأسوة والقدوة على حال دون الحال التي ينبغي أن يكونوا عليها :-**

وقد يكون السبب في الغرور إنما هي رؤية بعض ذوى الأسوة والقدوة على حال دون الحال التي ينبغي أن يكونوا عليها .

ذلك أن بعض ذوى الأسوة والقدوة قد ينزلون لسبب أو لآخر عن الحال التي ينبغي أن يكونوا عليها من أخذ أنفسهم بالعزيمة في غالب الأحيان إلى حال أقل منها من أخذ أنفسهم بالرخص في بعض الأوقات .

وربما رأي ذلك من يحاول الإقتداء والتأسي بهم ولقلة رصيده من الفقه أو لعدم اكتمال تربيته يتوهم أو يظن أنهم بذلك دونه في العمل بمراحل ويظل هذا الوهم أو هذا الظن يلاحقه ويلح عليه حتى يتحول والعياذ بالله إلى الإعجاب بالنفس ثم الغرور .

ولعل ذلك هو بعض السر في دعوة الإسلام إلى البعد عن مواطن التهم من خلال بيان وجه حق في سائر التصرفات المباحة التي ربما تؤدى إلى سوء الظن :

عن صفية بنت حيى زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها أنها جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب فقام النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ( على رسلكما : إنما هي صفية بنت حيى )فقالا: سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم \_( إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا )[[96]](#footnote-97).

وصلى يزيد الأسود مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام شاب فلما صلى إذا رجلان لم يصليا في ناحية المسجد فدعا بهما فجئ بهما ترعد فرائصهما فقال : ( ما منعكما أن تصليا معنا )؟ قالا : قد صلينا في رحالنا فقال: لا تفعلوا إذا صلى أحدكم في رحله ثم أدرك الإمام ولم يصلى فليصل معه فإنها له نافلة )[[97]](#footnote-98).

ولذا قال ابن دقيق العيد .

(وهذا أي التحرز من كل ما يوقع في التهم متأكد في حق العلماء ومن يقتدي بهم فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلا يوجب سوء الظن بهم وإن كان لهم فيه مخلص لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم وقد قالوا : أنه ينبغي للحاكم أن يبين وجه الحق للمحكوم عليه إذا خفي عليه وهو من باب نفي التهمة بالنسبة إلى الجور في الحكم ).

**8- مبالغة بعض العاملين في إخفاء ما يصدر عنهم من أعمال :**

وقد يكون السبب في الغرور إنما هي مبالغة بعض العاملين في الإخفاء ما يصدر عنهم من أعمال :

ذلك أن بعض العاملين قد يحمله الحرص على تحقيق معنى الإخلاص إلى أن يبالغ في إخفاء ما يصدر عنه من عمل فلا يظهر منه إلا أقل القليل وربما لا حظ أو رأي بعض من لم تتضح تربيتهم بعد هذا الذي يظهر فقط فيتوهم أن عمل هؤلاء قليل في جنب عمله ويظل هذا الوهم يساوره ويلح عليه حتى يقع في أحبولة الإعجاب بالنفس ثم الغرور .

ولعل دعوة الإسلام إلى إبراز الأعمال الطيبة والتعرض بها للناس فوق كونها تحريضا لهم على الإقتداء والتأسي فيها إشارة إلى هذه السبب أو إلى هذا الباعث مع بيان طريق الخلاص منه : إذ يقول الله تعالى:

{ إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم.... .....}.

وإذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم \_:

( صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ).

( من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ .... الحديث )[[98]](#footnote-99)

**9- تفرقة بعض ذوى الأسوة والقدوة في معاملة المتأسين أو المقتدين :**

وقد يكون السبب في الغرور إنما هي : تفرقة بعض ذوى الأسوة والقدوة في معاملة المتأسين أو المقتدين :

ذلك أن بعض ذووا الأسوة والقدوة قد تغيب عن بالهم الأسلوب الأمثل في معاملة المتأسين أو المقتدين فتراهم يقربون البعض ويفسحون صدورهم له ويتغاضون عن هفواته وأخطائه في الوقت الذي يعرضون فيه عن البعض الآخر ويضيقون به ذرعا ويفتحون عيونهم على أدنى الهفوات والزلات التي تقع منه وربما كان في الصنف الأول من لم تكتمل تربيتهم ولم تنضج شخصايتهم بعد ويشاهد هذه الفرقة في المعاملة فيخطر بباله أنها نابعة مما لديه من إمكانيات ومواهب لا توجد عند الآخرين ويظل هذا الخاطر يلح عليه حتى يكون الإعجاب بالنفس ثم الغرور .

ولقد سد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الباب من خلال حرصه على معاملة أصحابه بالسوية إذ كان من هديه صلى الله عله وسلم كما يقول واصفوه :

( أن يعطى كل جلسائه نصيبه ولا يحسب جليسه أن أحد أكرم عليه منه )[[99]](#footnote-100).

ويوم أن كانت الحاجة تلجؤه صلى الله عليه وسلم إلى التفرقة في المعاملة ولا يفهم جليسه الحكمة من وراء ذلك يبين صراحة إذ يروى سعد بن أبى وقاص فيقول :

( أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وأنا جالس فترك رجلا هو أعجبهم إلى فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فو الله إني لأراه مؤمنا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : ( أو مسلما ) فسكتّ قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي فقلت : مالك عن فلان فو الله إني لأراه مؤمنا وعاد صلى الله عليه وسلم ثم قال : ( يا سعد إني لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكبه الله في النار )[[100]](#footnote-101)

**الآفة السابعة**

**التكبر**

والآفة السابعة التي تصيب بعض العاملين وهى ذات أثر خطير في حياتهم وعليهم أن يجاهدوا أنفسهم للتطهر منها بل وأن تصير لديهم حصانة ضدها إنما هي : آفة التكبر ، وحتى يكون حديثنا عن هذه الآفة واضحا محدد الأبعاد والمعالم فإننا سنتناولها على النحو التالي :

**أولا معنى التكبر :**

لغة : التكبر في اللغة هو التعظم أي إظهار العظمة قال صاحب اللسان : ( والتكبر والاستكبار : التعظم ومنه قوله تعالى { سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق }

أي : أنهم يرون أنهم أفضل الخلق وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم)[[101]](#footnote-102)

اصطلاحا : أما في اصطلاح الدعاة أو العاملين فإن التكبر هو إظهار العامل إعجابه بنفسه بصورة تجعله يحتقر الآخرين في أنفسهم وينال من ذواتهم ويترفع عن قبول الحق منهم جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :( لا يدجل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال : أن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس)[[102]](#footnote-103).

**ثانيا : الفرق بين التكبر وبين العزة :**

والفرق بين التكبر والعزة واضح إذ التكبر ترفع بالباطل والعزة ترفع بالحق أو أن التكبر : كران النعمة وجحودها والترفع : اعتراف بالنعمة وتحدث بها على نحو ما تضمنه الحديث المذكور آنفا 0

**ثالثا : أسباب التكبر :**

ولما كان التكبر شدة الإعجاب بالنفس المؤدية إلى احتقار الناس والترفع عليهم فإن أسبابه التي تؤدى عليه وبواعثه التي ينشأ منها هي بعينها : أسباب وبواعث الإعجاب بالنفس والغرور إذا أهملت ولم تعالج وهى لا تزال في مهدها أو في أوائلها ويزاد عليها :

**(1) مبالغة الآخرين في التواضع :**

فقد يكون السبب أو الباعث على التكبر : إنما هي مبالغة الآخرين في التواضع وهضم النفس ذلك بعض الناس قد تحملهم المبالغة في التواضع على ترك التجمل والزينة في اللباس ونحوه وعلى عدم المشاركة بفكر أو برأي في أي أمر من الأمور بل والعزوف عن التقدم للقيام بمسؤلية أو تحمل أمانة وقد يرى ذلك من لم يدرك الأمور على حقيقتها فيوسوس له الشيطان وتزين له نفسه أن عزوف الآخرين عن كل ما تقدم إنما هو للفقر أو لذات اليد ، وإلا لما تأخروا أو توانوا لحظة ،وتظل مثل هذه الوساوس وتلك التزيينات تلح عليه وتحيط به من هنا وهناك حتى ينظر إلى الآخرين نظرة ازدراء وسخرية في الوقت الذي ينظر فيه إلى نفسه نظرة إكبار وإعظام وقد لا يكتفي بذلك ، بل يحاول إبراز هفي كل فرصة تتاح له أو في كل مناسبة تواتيه وهذا هو التكبر .

وقد لفت القرآن الكريم والسنة النظر إلى هذه السبب أو إلى هذا الباعث من خلال دعوتهما إلى التحدث بنعمة الله تعالى إذ يقول سبحانه:

{ وأما بنعمة ربك فحدث }.

وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم -:

( إن الله جميل يحب الجمال )

(واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا ).

وعن مالك بن نضلة الجشمى قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في ثوب دون فقال : ألك مال ؟ قال : نعم قال : من أي المال ؟ قال: قد أتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق قال : فإذا أتاك اله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته ) [[103]](#footnote-104)

وقد فهم السلف ذلك فحرصوا على التحدث بما يفيض الله عليهم من نعم وعابوا على من يغفل هذا الأمر من حسابه قال الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما : ( إذا أصبت خيرا أو عملت خيرا فحدث به الثقة من إخوانك )[[104]](#footnote-105) وقال بكر بن عبد الله المزني : ( من أعطى خيرا فلم ير عليه سمى بغيض الله معاديا لنعم الله )

**2- اختلال القيم أو معايير التفاضل عند الناس :**

وقد يكون السبب أو الباعث على التكبر غنما هو اختلال القيم أو معايير التفاضل عند الناس ، ذلك أن الجهل قد يسود في الناس إلى حد اختلال القيم أو معايير التفاضل عندهم ، فتراهم يفضلون صاحب الدنيا ، ويقدمونه حتى لو كان عاصياً أو بعيداً عن منهج الله ، في الوقت الذي يحتقرون فيه البائس المسكين الذي أدارت الدنيا ظهرها له حتى وإن كان طائعاً ملتزماً بهدى

الله ، ومن يحيا في هذا الجو يتأثر به لا محالة - إلا من رحم الله - ويتجلى هذا التأثر في احتقار الآخرين و الترفع عليهم .

وقد ألمح القرآن و السنة إلى هذا السبب أو إلى هذا الباعث من خلال رفض هذا المعيار ، ووضع المعيار الصحيح مكانه ، إذ يقول الله سبحانه وتعالى - :

{ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون } .

{ وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين ، قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ، إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون }.

وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، وقد مرّ عليه رجل : ما تقولون في هذا الرجل ؟ قالوا: رأيك في هذا ، نقول هو من أشرف الناس ، هذا حري إن خطب أن يخطب ، وإن شفع أن يشفع ، وإن قال أن يسمع لقوله ، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ، ومرَّ رجل آخر فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هذا ؟ قالوا : نقول والله يا رسول الله ، هذا من فقراء المسلمين ، هذا حري إن خطب لم ينكح ، وإن شفع لا يشفع ، وإن قال لا يسمع لقوله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:(لهذا خير من ملء الأرض مثل هذا )[[105]](#footnote-106)

**3- مقارنة نعمته بنعمة الآخرين ونسيان المنعم :**

وقد يكون السبب في التكبر إنما هو مقارنة نعمته بنعمة الآخرين ونسيان المنعم ، ذلك أن من الناس من يحبوه الله - لحكمة يعلمها - بنعم يحرم منها الآخرين ، كالصحة أو الزوجة أو الولد أو المال أو الجاه أو المركز أو العلم أو حسن الحديث أو الكتابة أو التأليف أو القدرة على التأثير ، أو كثرة الأنصار والأتباع ... الخ ، وتحت بريق وتأثير هذه النعم ينسى المنعم ، ويأخذ في الموازنة أو المقارنة بين نعمته ونعمة الآخرين فيراهم دونه فيها ، وحينئذٍ يحتقرهم ويزدريهم ويضع من شأنهم وهذا هو التكبر .

وقد لفت القرآن الكريم النظر إلى هذا السبب ، أو إلى هذا الباعث من خلال حديثه عن قصة صاحب الجنتين فقال :

{ واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً \* كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً \* وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً .... }

**4- ظن دوام النعمة وعدم التحول عنها :**

وقد يكون السبب في التكبر إنما هو ظن دوام النعمة وعدم التحول عنها ، ذلك أن بعض الناس قد تأتيه النعمة من الدنيا ، وتحت تأثيرها وبريقها يظن دوامها أو عدم التحول عنها ، وينتهي به هذا الظن إلى التكبر أو الترفع أو التعالي على عباد الله ، كما قال صاحب الجنتين لصاحبه :

{ ... ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلباً } ، وكما قال الله عن الإنسان :

{ ... ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رجعت إلى ربى إن لي عنده للحسنى } .

**5- السبق بفضيلة أو أكثر من الفضائل :**

وقد يكون السبب في التكبر إنما هو السبق بفضيلة أو أكثر من الفضائل ، كالعلم أو الدعوة أو الجهاد أو التربية أو نحو ذلك .

ذلك أن بعض الناس قد يحبوهم القدر بفضيلة السبق في بعض خصال الخير ، وإذا بهم ينظرون إلى اللاحق نظرة ازدراء واحتقار ، ولسان حالهم أو مقالهم ينطق في استكبار : ومن هؤلاء الذين يعملون الآن ؟ لقد كانوا عدماً أو في حكم العدم يوم أن مشينا على الأشواك ، وتحملنا مشاق ومتاعب الطريق ، حتى عبَّدناها لهم ولغيرهم من الناس .

وقد لفت المولى سبحانه إلى هذا السبب أو إلى هذا الباعث حين بين : أن السبق لا يعتبر ، ولا قيمة له إلا إذا كان معه الصدق ، فقال :

{ و السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم } .

{ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ..... } إلى قوله { ربنا إنك رءوف رحيم } .

ولم ينظر المولى سبحانه إلى سبق هؤلاء إلا من خلال ما قدموه من الأدلة على صدقهم وثباتهم على الحق ، مثل : الهجرة و النصرة واتباع سبيل المؤمنين ، وحسن الصلة بالله ومعرفة الفضل لذويه ... وهلم جراً .

وهكذا صار مبدأ الإسلام :( ليس الفضل لمن سبق ، بل لمن صدق ) وصدق الله :

{ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً }

**6- الغفلة عن الآثار المترتبة على التكبر :**

وقد يكون السبب في التكبر ، إنما هو الغفلة عن الآثار الخطيرة و العواقب المهلكة المترتبة على التكبر في الأرض بغير الحق ، ذلك أن من غفل عن الآثار الضارة لعلة من العلل ، أو آفة من الآفات ، فإنه يصاب بها

وتتمكن من نفسه ، ولا يشعر بذلك إلا بعد فوات الأوان، وبعد الاستعصاء على القلع و العلاج.

**رابعا : مظاهر التكبر :**

هذا وهناك مظاهر للتكبر يعرف أو يستدل عليه بها ، نذكر منها :

1- الاختيال في المشية مع لي صفحة العنق وتصعير الخد ، قال تعالى { ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله } ، { والله لا يحب كل مختال فخور } ، { ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور .

2- الإفساد في الأرض عندما تتاح الفرصة مع رفض النصيحة ، والاستنكاف عن الحق ، قال تعالى :{ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام \* وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث و النسل والله لا يحب الفساد \* وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ... }

3- التقعر في الحديث ، يقول النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - :

( إن الله عز وجل يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه ، كما

تخلل البقرة بلسانها )[[106]](#footnote-107) ، ( ألا أنبئكم بشراركم ؟ فقال : هم الثرثارون المتشدقون .... ) [[107]](#footnote-108)

4- إسبال الإزار بنية الاختيال و التكبر ن يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - :

( من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر صلى الله عليه وسلم إليه يوم القيامة ) قال أبو بكر : إن أحد جانبي إزاري يسترخي ، إني لأتعاهد ذلك منه ، قال : لست ممن يفعله خيلاً )[[108]](#footnote-109)

5- محبة أن يسعى الناس إليه ، ولا يسعى هو إليهم ، وأن يمثلوا له قياماً

إذا قدم أو مر بهم ، وقد جاء في الحديث :( من أحب أن يمتثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار )[[109]](#footnote-110)

6- محبة التقدم على الغير في المشي أو في المجلس أو في الحديث أو نحو ذلك .

**خامساً آثار التكبر :**

وللتكبر في الأرض بغير الحق آثار ضارة ، وعواقب مهلكة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي :

**على العاملين :**

**1- الحرمان من النظر والاعتبار :**

أي أن الأثر الأول الذي يتركه التكبر على العاملين : إنما هو الحرمان من النظر والاعتبار ، ذلك أن المتكبر - بترفعه وتعاليه على عباد الله - قد اعتدى من حيث يدرى أو لا يدرى على مقام الألوهية ، ومثل هذا لابد له من عقوبات ، وأول هذه العقوبات : الحرمان من النظر والاعتبار فتراه يمر على آيات الله المبثوثة في النفس وفي الكون ، وهو في إعراض تام عنها { وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون } ، ومن حرم النظر والاعتبار ، كانت عاقبته البوار و الخسران المبين ، لأنه سيبقى مقيماً على عيوبه وأخطائه ، غارقاً في أوحاله ، حتى

تنتهي الحياة ، كما عقب النبي - صلى الله عليه وسلم حين قرأ الآيات الأخيرة من سورة آل عمران { إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل و النهار لآيات لأولى الألباب ... } إلى قوله سبحانك فقنا عذاب النار } عقب بقوله :( ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها )[[110]](#footnote-111) وقد صرح المولى - سبحانه وتعالى - بهذا الأثر في قوله :{ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ... } .

**2- القلق والاضطراب النفسي :**

وأما الأثر الثاني الذي يتركه التكبر على العاملين ، فإنما هو القلق

والاضطراب النفسي ، ذلك أن المتكبر يحب - إشباعاً لرغبة الترفع و التعالي أن يحنى الناس رؤوسهم له ، وأن يكونوا دوماً في ركابه ، ولأن أعزة الناس وكرامهم يأبون ذلك ، بل ليسوا مستعدين له أصلاً ، فإنه يصاب بخيبة أمل ، تكون عاقبتها القلق والاضطراب النفسي ، هذا فضلاً عن أن اشتغال هذا المتكبر بنفسه يجعله في إعراض تام عن معرفة الله وذكره ، وذلك له عواقب أدناها في هذه الدنيا القلق و الاضطراب النفسي .

وصدق الله إذ يقول :

{ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ... }

{ ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعدا ... }

**3- الملازمة للعيوب و النقائص :**

وأما الأثر الثالث الذي يتركه التكبر على العاملين ، فإنما هي ملازمة العيوب و النقائص ، ذلك أن التكبر لظنه أنه بلغ الكمال في كل شئ لا يفتش في نفسه ، حتى يعرف أبعادها ومعالمها ، فيصلح ما هو في حاجة منها إلى إصلاح ، ولا يقبل كذلك نصحاً أو توجيهاً أو إرشاداً من الآخرين ، ومثل هذا يبقى غارقاً في عيوبه ونقائصه ، ملازماً لها إلى أن تنقضي الحياة ، ويدخل النار مع الداخلين :

{قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً}

{ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون }

**4- الحرمان من الجنة :**

وأما الأثر الرابع الذي يتركه التكبر على العاملين ، فإنما هو الحرمان من الجنة ، وذلك أمر بدهى ، فإن من يعتدي على مقام الألوهية ، ويظل مقيماً على عيوبه ورذائله ، ستنتهي به الحياة حتماً وما حصل خيراً يستحق به ثواباً أو مكافأة فيحرم الجنة مؤبداً أو مؤقتاً ، وصدق الله ورسوله إذ يقول الحق في الحديث القدسي :

( الكبرياء ردائي و العظمة إزاري من نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم )[[111]](#footnote-112) ، وإذ يقول النبي - صلى الله عليه وسلم :

( لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثال ذرة من كبر ..) [[112]](#footnote-113)

( ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جوَّاظ متكبر ) [[113]](#footnote-114).

**على العمل الإسلامي :**

ومن آثاره على العمل الإسلامي :

**1- قلة كسب الأنصار بل و الفرقة و التمزق :**

ذلك أن القلوب جبلت على حب من ألان لها الجانب ، وخفض لها الجناح ، ونظر إليها من دون لا من علٍ ، أما من ترفع عليها واحتقرها أو ازدراها ونال منها ، فإنها تبغضه وتنفر منه ، بل وتحاول الابتعاد عنه ، وتكون العاقبة خواء ذات اليد من الأنصار من ناحية ، ووقوع الفرقة و التمزق بين من هو نصير وظهير بالفعل من ناحية أخرى .

ويوم ينتهي الأمر بالعمل الإسلامي إلى انعدام النصير من الخارج ووقوع الفرقة و التمزق من الداخل ، فإنه يسهل ضربه ، أو على الأقل إجهاضه فلا يؤتى ثمره إلا بعد تكاليف كثيرة وزمن طويل .

وقد لفت القرآن الكريم النظر إلى هذا الأثر ، وهو يتحدث عن المنافقين فقال :{ ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون } .

وكذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول :( وإن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد[[114]](#footnote-115).

**2- الحرمان من العون و التأييد الإلهي :**

ذلك أن الحق سبحانه مضت سنته أنه لا يعطى عونه وتأييده ، إلا لمن هضموا نفوسهم حتى استخرجوا حظ الشيطان من نفوسهم بل حظ نفوسهم من نفوسهم ، و المتكبرون قوم كبرت نفوسهم ، ومن كانت هذه

صفته ، فلا حق له في عون أو تأييد إلهي ، ولعل ذلك هو المفهوم من قوله تعالى { ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ...} حيث ربط نصره لهم بحالهم التي كانوا عليها من المسكنة و التواضع وهضم النفس ، وكأن هذه الحال إذا انعدمت أو غابت غاب معها العون والتأييد سادساً .

**علاج التكبر :**

هذا وعلاج التكبر - بحيث تطهر منه النفس ، ولا يعود إليها مرة أخرى - إنما يكون باتباع الأساليب و الوسائل التالية :

1- تذكير النفس بالعواقب والآثار المترتبة على التكبر ،سواء كانت عواقب ذاتية أو متصلة بالعمل الإسلامي ، وسواء كانت دنيوية أو أخروية على النحو الذي قدمنا ، فلعل هذا التذكير يحرك النفس من داخلها ، ويحملها على أن تتوب ، وتتدارك أمرها قبل ضياع العمر وفوات الأوان .

2- عيادة المرضى ، ومشاهدة المحتضرين وأهل البلاء وتشييع الجنائز ، وزيارة القبور ، فلعل ذلك أيضاً يحركه من داخله ، ويجعله يرجع إلى ربه بالإخبات ، و التواضع .

3- الانسلاخ من صحبة المتكبرين ، والارتماء في أحضان المتواضعين المخبتين ، فربما تعكس هذه الصحبة بمرور الأيام شعاعها عليه ، فيعود له سناؤه ، وضياؤه الفطري كما كان عند ولادته .

4- مجالسة ضعاف الناس وفقرائهم ، وذوى العاهات منهم ، بل ومؤاكلتهم ومشاربتهم ، كما كان يصنع النبي - صلى الله عليه وسلم – وصحبه الكرام ، وكثير من السلف ، فإن هذا مما يهذب النفس ويجعلها تقلع عن غيها ، وتعود إلى رشدها .

5- التفكر في النفس ، وفي الكون ، بل وفي كل النعم التي تحيط به من أعلاه إلى أدناه ، مَن مصدر ذلك كله ؟ ومن ممسكه ؟ وبأي شئ استحقه العباد ؟ وكيف تكون حاله لو سلبت منه نعمة واحدة فضلاً عن باقي النعم ؟؟؟ فإن ذلك التفكر لو كانت معه جدية ، يحرك النفس ويجعلها تشعر بخطر ما هي فيه ، إن لم تبادر بالتوبة و الرجوع إلى ربها .

6-النظر في سير وأخبار المتكبرين ، كيف كانوا ؟ وإلى أي شئ صاروا ؟ من إبليس و النمرود إلى فرعون ، إلى هامان ، إلى قارون ، إلى أبى جهل ، إلى أبى بن خلف ، إلى سائر الطغاة و الجبارين و المجرمين ، في كل العصور و البيئات فإن ذلك مما يخوف النفس ويحملها على التوبة والإقلاع ، خشية أن تصير إلى نفس المصير ، وكتاب الله - عز وجل - وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وكتب التراجم و التاريخ خير ما يعين على ذلك .

7- حضور مجالس العلم التي يقوم عليها علماء ثقات نابهون ، لاسيما مجالس التذكير و التزكية ، فإن هذه المجالس لا تزال بالقلوب حتى ترق وتلين وتعود إليها الحياة من جديد .

8- حمل النفس على ممارسة بعض الأعمال التي يتأفف منها كثير من الناس ممارسة ذاتية ما دامت مشروعة ، كأن يقوم هذا المتكبر بشراء طعامه وشرابه وسائر ما يلزمه بنفسه ، ويحرص على حمله

و المشي به بين الناس ، حتى لو كان له خادم ، على نحو ما كان يصنع النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحبه و السلف ، فإن هذا يساعد كثيراً في تهذيب النفس وتأديبها ، و الرجوع بها إلى سيرتها الأولى الفطرية ، بعيداً عن أي التواء أو اعوجاج .

9- الاعتذار لمن تعالى وتطاول عليهم بسخرية أو استهزاء ، بل ووضع الخد على التراب وإلصاقه به ، وتمكينه من القصاص على نحو ما صنع أبو ذر مع بلال لما عاب عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - تعييره بسواد أمه .

10- إظهار الآخرين بنعمة الله عليهم ، وتحدثهم بها - لاسيما أمام المستكبرين - علهم يثوبون إلى رشدهم وصوابهم ، ويتوبون ويرجعون إلى ربهم ، قبل أن يأتيهم أمر الله .

11- التذكير دوماً بمعايير التفاضل و التقدم في الإسلام :

{ إن أكرمكم عند الله أتقاكم }

( كلكم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب ، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم ، أو ليكونن أهون على الله - تعالى - من الجعلان )[[115]](#footnote-116)

12- المواظبة على الطاعات : فإنها إذا واظب عليها ، وكانت متقنة لا يراد بها إلا وجه الله ، طهرت النفس من كل الرذائل ، بل زكتها

**الجزء الثاني**

**الآفة الثامنة الرياء أو السمعة**

**الآفة التاسعة : اتباع الهوى**

**الآفة العاشرة: الآفة العاشرة : التطلّع إلى الصدارة وطلب الريادة**

**الآفة الحادية عشرة : ضيق الأفق أو قصر النظر**

**الآفة الثانية عشرة : ضعف أو تلاشي الالتزام**

**الآفة الثالثة عشرة: عدم التثبت أو التبّين**

**الآفة الرابعة عشرة: التفريط في عمل اليوم والليلة**

**آفات على الطريق**

بسم لله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـوعلى آله وأصحابه والسالكين سبيله والداعين بدعوته إلى يوم الدين بعد ......

فإن توضيح معالم الطريق أمام العاملين الفارين بدينهم إلى ربهم كي يعدوا لكل أمر عدته ويأخذوا لكل شئ أهبته فلا ينقطعوا ولا يتوانوا ولا يتأخروا عن ركب النجاة ضرورة لا مفر منها ولا محيص عنها توجبها الدعوة إلى الله والجهاد من أجل التمكين لدينه في الأرض .

ولعل من أهم هذه المعالم :أن هناك آفات يمكن أن يصاب بها بعض العاملين بل قد تصيبهم بالفعل فتقعد بهم عن أداء دورهم والقيام بواجبهم .

وقد استعرضنا في الجزء الأول من الكتاب سبعاً من هذه الآفات وهي :

- الفتور - الإسراف - الاستعجال - العزلة - الإعجاب بالنفس - الغرور - التكبر

ونستعرض في هذا الجزء ( الثاني ) من الكتاب سبعاً أخر من الآفات هي :

الرياء أو السمعة - واتباع الهوى - و التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة - وضيق الأفق أو قصر النظر ، وضعف أو تلاشى الالتزام - وعدم التثبت أو التبين ، و التفريط في عمل اليوم و الليلة .

ويطيب لنا في هذا المقام : أن نعرض لهذه الآفات بشيء من التحليل و البيان كي يحذرها العاملون ويتطهروا منها .

وعلى الله قصد السبيل

**أبو عبد الرحمن**

**الآفة الثامنة**

**الرياء أو السمعة**

والآفة الثامنة التي يبتلى بها بعض العاملين والتي تعد من أخطر الآفات وأشدها فتكا بهم وعليهم أن يجاهدوا أنفسهم فورا للتخلص والتطهر منها وإلا ضل سعيهم في الدنيا والآخرة إنما هي : الرياء أو السمعة .

ولكي يكون لدينا تصور واضح أو قريب من الواضح عن هذه الآفة وآثارها وسبيل الخلاص منها فإننا سنتناولها على النحو التالي:

أولا : مفهوم الرياء أو السمعة :

الرياء والسمعة لغة : الرياء في اللغة مشتق من الرؤية تقول : أ رأي الرجل : إذا أظهر عملا صالحا ليراه الناس ومنه قوله تعالى: { يراءون ويمنعون الماعون } { بطرا ورئاء الناس }

والسمعة مشتقة من سمّع يقول : سمّع الناس بعمله أي أظهره لهم بعد أن كان سرا .

الرياء والسمع اصطلاحا : أما مفهوم الرياء أو السمعة في اصطلاح الدعاة وعلماء السلوك والأخلاق : فهو إطلاع المسلم الناس على ما يصدر منه من الصالحات طلبا للمنزلة والمكانة عندهم أو طمعا في دنياهم فإن وقعت أمامهم ورأوها فذلك هو الرياء وإن لم تقع أمامهم لكنه حدثهم بها فتلك هي السمعة ، وفرق العلامة عز الدين بن عبد السلام بين الرياء والسمعة قائلا :

الرياء :( أن يعمل لغير الله والسمعة أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس ) وكأنه يرى أن الرياء كله مذموم أما السمعة فقد تكون مذمومة إذا قصد بالحديث عن عمله وجه الناس ، ومحمودة إذا قصد بذلك وجه الله وابتغاء مرضاته وذلك الذي قاله ابن عبد السلام هو ما تصدقه النصوص الشرعية إذ يقول الله عز وجل :{ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس } وإذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ( من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به ) ، ( إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذي كنتم تراءون في الدنيا فانظروا : هل تجدون عندهم الجزاء ؟ ) وإذ يسمع الرسول صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ ويرفع صوته بالذكر فيقول : ( إنه أواب ) فإذا هو المقداد بن الأسود .

# هذا وللرياء أو السمعة أسباب أو بواعث توقع فيه وتؤدى إليه نذكر منها :

# (1) النشأة الأولى :

# إذ قد ينشأ الولد في أحضان بيت دأبه وديدنه الرياء أو السمعة فما يكون منه إلا التقليد والمحاكاة وبمرور الزمن تتأصل هذه الآفة في نفسه وتصبح وكأنما هي جزء لا يتجزأ من شخصيته ولعل هذا هو السر في وصية الإسلام بأن يكون الدين هو أساس اقتران الرجل بالمرأة إذ يقول صلى الله عليه وسلم ( فاظفر بذات الدين تربت يداك ) ( وإذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ).

# (2) الصحبة أو الرفقة السيئة :

وقد تحتويه صحبة أو رفقة سيئة لا هم لها إلا الرياء أو السمعة فيقلدهم ويحاكيهم لاسيما إذا كان ضعيف الشخصية شديد التأثر بغيره وبتوالي الأيام يتمكن هذا الداء من نفسه ويطبعها بطابعه وذلك هو سر ما قدمناه فيما مر من آفات من ضرورة أن تكون الصحبة طيبة تحترم شرع الله وتعمل به .

# (3) عدم المعرفة الحقيقة بالله عز وجل :-

وقد يكون عدم المعرفة الحقيقة بالله عز وجل هو السبب أو الباعث على الرياء أو السمعة إذ أن الجهل بالله أو نقصان المعرفة به يؤدى إلى عدم تقديره حق قدره : ومن ثم يظن هذا الجاهل بالله الذي لم يعرفه حق المعرفة ولم يقدره أن العباد يملكون شيئا من الضر أو النفع فيحرص على مراءاتهم وتسميعهم كل ما يصدر عنه من الصالحات ليمنحوه شيئا مما يتصور أنهم مالكوه ولعل ذلك هو السر في دعوة الإسلام إلى المعرفة بالله أولا : { فاعلم أنه لا إله إلا الله } بل وتطبيقه ذلك حيث دار القرآن المكي وعمل الرسول صلى الله عليه وسلم طوال المرحلة المكية حول التعريف بأصول العقيدة وتأكيدها وترسيخها في النفس .

# (4) الرغبة في الصدارة أو المنصب :

وقد تدفع الرغبة في الصدارة أو في المنصب إلى الرياء أو السمعة حتى يثق به من بيدهم هذا الأمر فيجعلوه في الصدارة أو يبوئوه المنصب ولعل ذلك هو السر في تأكيد الإسلام على اختيار أو ابتلاء الناس قبل الوثوق بهم أو الركون إليهم لا سيما إذا كانوا على حال تدعو إلى ذلك إذ يقول الله عز وجل : { وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم } { يا أيها الذين أمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن }

# (5) الطمع فيما في أيدي الناس :

وقد يحمله الطمع فيما بين أيدي الناس والحرص على الدنيا على الرياء أو السمعة ليثق به الناس وترق قلوبهم له فيعطونه ما يملأ جيبه ويشبع بطنه وفي سؤال الأعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم ( والرجل

يقاتل للمغنم ) وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر ( من غزا لا يبغي إلا عقالاً فله ما نوى ) ما يشير إلى هذا السبب.

# (6) إشباع غريزة حب المحمدة أو الثناء من الناس :

وقد يدعوه حب المحمدة أو الثناء من الناس إلى الرياء أو السمعة حتى يكون حديث كل لسان وذكر كل مجلس فتنتفش نفسه وتنتفخ بذلك والعياذ بالله وإلى هذا السبب يشير بقية الحديث المتقدم : ( .... والرجل يقاتل ليذكر ويقاتل ليرى مكانه من في سبيل الله ؟ ...)

# (7) شدة ذوى المسؤلية في المحاسبة :

وقد تكون شدة ذوى المسئولية في المحاسبة هي السبب في الرياء أو السمعة لاسيما إذا كان هناك ضعف في الإرادة وفتور في العزيمة وكأنه يحاول بهذا الرياء أو بهذه السمعة ستر ضعفه وفتوره وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إذ يقول لعائشة ( إن الرفق لا يكون في شئ إلا زانه ولا ينزع من شئ إلا شانه ).

# (8) إظهار الآخرين إعجابهم به وبما يصدر عنه من أعمال :

وقد يكون إظهار الآخرين إعجابهم به وبما يصدر عنه من أعمال هو الباعث على الرياء أو السمعة كي يكون هناك مزيد من هذا الإعجاب .

وحتى يحمى الإسلام البشر من هذا الداء منع إبراز هذا الإعجاب فإن كان ولا بد فليكن معه الاحتراز والحيطة بان

يقول : (( أحسب فلانا كذا والله حسيبه ولا أزكى على الله أحدا )).

# (9) الخوف من قالة الناس لا سيما الأقران :

وقد يكون الخوف من قلة الناس لا سيما الأقران هو الباعث على الرياء أو السمعة حتى يظهر أمامهم بالصورة التي ترضيهم وتسكت ألسنتهم عنه وإذا ما خلا بنفسه انتهك محارم الله { يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا }.

# (10) الجهل أو الغفلة عن العواقب أو الآثار الناجمة عن الرياء أو السمعة :

وأخيرا قد يكون الجهل أو الغفلة عن العواقب أو الآثار الناجمة عن الرياء أو السمعة هي السبب في مراءاة الناس أو تسميعهم فإن من جهل أو غفل عن عاقبة شئ ما لاسيما إذا كانت هذه العاقبة ضارة تعاطى هذا الشيء ولازمه حتى يصير خلقا له .

ثالثاً : سمات أو علامات الرياء أو السمعة :

وحتى يدرك المسلم موقعه من الرياء أو السمعة فإن هناك سمات أو علامات يعرف بها وهذه السمات أو تلك العلامات هي :

(1) النشاط في العمل ومضاعفة الجهد إذا كان هناك ثناء أو مدح والكسل والتقصير إذا كان هناك عيب أو ذم .

(2) النشاط في العمل ومضاعفة الجهد إذا كان مع الناس والكسل والتقصير حال التفرد أو البعد عن الناس وإلى هاتين السمتين أو يشير سيدنا على رضى الله تعالى عنه : فيقول :

(( للمرائي علامات : كسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أثنى عليه وينقص إذا ذم )).

(3) الحفاظ على محارم الله ورعايتها إذا كان مع الناس وانتهاك هذه المحارم والتطاول عليها إذا كان وحد أو بعيدا عن الناس وإلى هذه السمة أو العلامة يشير النبي صلى الله عليه وسلم قائلا :

(( لأعملن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباء منثورا إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها)) .

**رابعاً : آثار الرياء أو السمعة**

وللرياء أو للسمعة آثار ضارة وعواقب مهلكة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي وإليك طرفا من هذه الآثار وتلك العواقب:

**أ- آثار الرياء على العاملين :**

فمن آثاره على العاملين :

**1 - الحرمان من الهداية والتوفيق :**

ذلك أن الله عز وجل هو وحده الذي يملك الهداية والتوفيق وهو وحده الذي يمن بهما على من يشاء ويمنعها ممن يشاء لا راد لقضائه ولا معقب لحكمة وقد مضت سنته وجرى قضاؤه أنه لا يمنحهما إلا لمن علم منه الإخلاص وصدق التوجه إليه { ويهدى إليه من أناب }. { ويهدى إليه من ينيب } والمرائي أو السمع بدد هذا الإخلاص وضيع ذلك الصدق فأنى له الهداية والتوفيق ؟ وصدق الله الذي يقول : { فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ولله لا يهدى القوم الفاسقين }.

**2 - الضيق أو الاضطراب النفسي :**

ذلك أن المرائي أو المسمع إنما يفعل طلبا لمرضاة لناس وطمعا فيما بأيديهم وقد يحول قضاء الله وقدره دون تحقيق ذلك نظرا لأن الأمور عنده سبحانه تجرى بالمقادير : { وكل شئ عنده بمقدار }. وحينئذ يعتريه الضيق والاضطراب النفسي فلا هو الذي ظفر برضا الله عز وجل ولا هو بالذي حصل ما كان يؤلمة ويرجوه من الناس : { ومن أعرض عن ذكرى الله فإن له معيشة ضنكا } { ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا } .

**3 - نزع الهيبة من قلوب الناس :**

ذلك أن الله وحده هو الذي يملك غرس هذه الهيبة في قلوب من يشاء من عباده بيد أن ذلك مرهون بتقديم الإخلاص بين يدي كل سلوك أو تصرف والمرائي أو المسمع أضاع هذه الرهينة فيضيع الله عليه الهيبة ونزعها من قلوب الناس فصار هينا عليهم:{ ومن يهن الله فما له من مكرم }.

ولقد وعى السلف ذلك فكانوا أحرص الناس على الإخلاص العمل لله حتى تبقى هيبتهم ومكانتهم مستقرة في الصدور أو في القلوب والأخبار الواردة عنهم في ذلك اكثر من أن تحصى وحسبنا منها ما أوصى به عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه أبا موسى الأشعرى إذا قال له :(( من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس )).

وما أثر عن الحسن البصري من كثرة مجاهداته لنفسه بالليل والناس نيام ثم محاولة إخفاء ذلك عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا حتى هابه ذووا السلطان والجاه .

فقد نال من الحجاج - ذات مرة - لظلمة وطغيانه فوجه الحجاج بعض شرطه وأمرهم أن يأتوه به ليقتله وما هو إلا قيل حتى جاء الحسن فشخصت نحوه الأبصار ووجفت عليه القلوب واقبل على الحجاج وعليه جلال المؤمن وعزة المسلم ووقار الداعية فلما رآه الحجاج على حاله هذه هابه أشدد الهيبة وقال له : هاهنا يا أبا سعيد ......... هاهنا ...... ثم مازال يوسع له ويقول : هاهنا .....والناس ينظرون إليه في دهشة واستغراب حتى أجلسه على فراشه ولما أخذ الحسن مجلسه التفت إليه الحجاج وجعل يسأله عن بعض أمور الدين والحسن فقال له الحجاج يجيبه عن كل مسالة بجنان ثابت وبيان ساحر وعلم واسع فقال له الحجاج : أنت سيد التابعين يا أبا سعيد ثم أذن له بالعودة إلى بيته معززا مكرما .

**4 - الإعراض من الناس وعدم التأثر :**

ذلك أن القلب هو محل التأثر من الإنسان والقلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء ومن راءى أو سمع بعمله فقد قطع ما بينه وبين الله وأنى لذلك أن يمنحه الله إقبالا من الناس أو تأثيرا فيهم لذا تره إذا تكلم لا يسمع وإذا عمل لا يحرك والحوار التالي يكشف لنا عن حقيقة ذلك بجلاء ووضوح :

كان عمر بن هبيرة الفزارى واليا على العراقين في عهد الخليفة الأموي : يزيد بن عبد مالك وكان يزيد يرسل إليه بالكتاب تلو الكتاب ويأمره بإنفاذ ما في هذه الكتب ولو كان مجافيا بحق أحيانا فدعا ابن هبيرة كلا من الحسن البصري وعامر بن شراحبيل المعروف بالشعبي يستفتيهما في ذلك وهل له من مخرج فيدين الله ؟

فأجاب الشعبي جوابا فيه ملاطفة للخليفة ومسايرة للوالي والحسن ساكت فالتفت عمر ابن هبيرة إلى الحسن وقال : ما تقول أنت يا أبا سعيد فقال : يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ، ولا تخف يزيد في الله ، واعلم أن الله عز وجل يمنعك من يزيد ، وأن يزيد لا يمنعك من الله ... يا ابن هبيرة إنه يوشك أن ينزل بك ملك غليظ لا يعصى الله ما أمره فيزيلك عن سريرك هذا وينقلك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ، حيث لا تجد هناك يزيد ، وغنما تجد عملك الذي خالفت فيه رب يزيد ... يا ابن هبيرة إنك إن تك مع الله تعالى وفي طاعته يكفك بائقة يزيد بن عبد الملك في الدنيا والآخرة ، وإن تك مع يزيد في معصية الله تعالى فإن الله يكلك إلى يزيد .

واعلم يا ابن هبيرة أنه لا طاعة لمخلوق كائناً ما كان في معصية الخالق - عز وجل - فبكى عمر بن هبيرة حتى بللت دموعه لحيته ومال عن الشعبي إلى الحسن ، وبالغ في إعظامه وإكرامه ، فلما خرجا من عنده توجها إلى المسجد ، فاجتمع عليهما الناس ، وجعلوا يسألونهما عن خبرهما مع أمير العراقين ، فالتفت الشعبي إليهم وقال : أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله - عز وجل - على خلقه في كل مقام فليفعل ، فوالذي نفسي بيده ما قال الحسن لعمر بن هبيرة قولاً أجهله ولكنى أردت فيما قلته وجه ابن هبيرة ، وأراد فيما قاله وجه الله ، فأقصاني الله من ابن هبيرة وأدناه منه وحببه إليه.

**5- عدم إتقان العمل :**

ذلك أن المرائي أو المسمِّع إنما يراقب الخلق لا الخالق ، و الخلق مهما كانت طاقاتهم وإمكاناتهم ، عاجزون عن المتابعة في كل بيئة وفي كل وقت ، وفي كل ظرف أو ملابسة ، لذا فإن عجزهم هذا ينتهي بالمرائي أو بالمسمِّع إلى عدم إتقان العمل ، الأمر الذي يفقده ثقة الناس ويكون بذلك قد ضيَّع نفسه من حيث أراد مصلحتها أو منفعتها ، وصدق الحق - تبارك وتعالى - إذ يقول { ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله }، ولقد أشار المولى - عز وجل إلى هذا الأثر وهو يتحدث عن المنافقين فقال:{ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً } .

**6- الفضيحة في الدنيا وعلى رؤوس الأشهاد يوم القيامة :**

ذلك أن المرائي أو المسمع إنما يقصد بعمله هذا خداع غيره ليعطيه هذا الغير زمامه ، وليسلم إليه قياده ، ويأبى الله - عز وجل - ذلك نظراً لما يمكن أن يصنعه هذا المرائي أو المسمع من إفساد في الأرض وإهلاك للحرث و النسل { ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام \* وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث و النسل والله لا يحس الفساد } .

لذا فإنه يفضحه في الدنيا ولو بعد حين ، حتى يحذره الناس ، ولا يغتروا به ، أما في الآخرة فإن الفضيحة تكون مزيدا من الانتقام و العذاب .

وقد سبق التصريح بهذا السبب في قول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص ، وقد سأله عن الجهاد و الغزو :( يا عبد الله بن عمرو إن قاتلت صابراً محتسباً ، بعثك الله صابراً محتسباً ، وإن قاتلت مرائياً مكاثراً ، بعثك الله مرائياً مكاثراً ، يا عبد الله بن عمرو على أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله على تيك الحال ).

**7- الوقوع في غوائل الإعجاب بالنفس ، ثم الغرور ثم التكبر :**

ذلك أن المرائي أو المسمع يخدع كثيراً من الناس فترة زمنية معينة ، وخلال هذه الفترة تلهج ألسنة الناس وأفئدتهم بحمده و الثناء عليه ، وقد يحمله ذلك على الإعجاب بنفسه ، ثم الغرور ، ثم التكبر ، ثم يعيث في الأرض فساداً ، ويؤكد ذلك ما نشاهده في الوقت الحاضر من أن كثيراً من ذوى القيادة في أمتنا ، يسلكون سبيل الرياء و التسميع حتى إذا انخدع بهم الدهماء و العامة ، وسبحوا بحمدهم انقلبوا إلى معجبين بأنفسهم ، ثم مغرورين ، ثم متكبرين ، ثم سلطوا على الذين يفهمونهم منذ اللحظة الأولى يسومونهم سوء العذاب ، وأخيراً يسلطون على أولئك الذين ضيعوهم ، فيأكلونهم ، وصدق الله العظيم الذي يقول { ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار \* جهنم يصلونها وبئس القرار }.

**8- بطلان العمل :**

ذلك أن الحق - سبحانه - مضت سنته في خلقه ألا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له ، وابتغى به وجهه { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً } .

و المرائي جعل لنفسه وللناس حظاً من عمله ، وأنى لذلك أن يقبل الله منه عملاً ، أو أن يثيبه عليه ، وصدق الله { وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً } { وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً } وصدق النبي - صلى الله عليه وسلم - :( إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذي كنتم تراءون في الدنيا فانظروا : هل تجدون عندهم لجزاء ) ، ويقول الله تعالى في الحديث القدسي :( أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه برئ وهو للذي أشرك ).

وهكذا ينتهي الرياء أو السمعة بصاحبه إلى بطلان العمل ورده وعدم قبوله .

**9- العذاب الشديد في الآخرة :**

وأخيراً ... فإن من حبط عمله على النحو الذي قدمنا ، ليس له من جزاء إلا العذاب الشديد في الآخرة ، ولذلك العذاب صور أبرزها صورتان :

الأولى : أنه يكون أول من تسعر بهم النار ، فإن وقودها كما قال الله في كتابه ، الناس و الحجارة ، { يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس و الحجارة } ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم - إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة ، رجل استشهد ، فأتى به فعرَّفه نعمته فعرفها ، فقال : ما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جرئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار ، ورجل تعلم العلم و علَّمه وقرأ القرآن ، فأتى به فعرَّفه نعمته فعرفها ، فقال : ما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال إنك عالم ، وقرأت القرآن ليقال : قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به فعرَّفه نعمته فعرفها ، فقال : ما عملت فيها ؟ قال :ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى به في النار ).

الأخرى : الإلقاء في النار بحيث تخلع مفاصله وتتفكك أوصاله ، وتسقط أمعاؤه ، ويدور بها على مشهد ومرأى من أهل النار جميعاً ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم :( يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع عليه أهل النار ، فيقولون يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ؟ فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهي عن المنكر وآتيه ).

**ب- آثار الرياء على العمل الإسلامي :**

وإذا كان للرياء أو للسمعة تلك الآثار التي قدمنا على العاملين ، فإنها بدورها تنعكس على العمل الإسلامي ، وتتلخص هذه الآثار المتعلقة بالعمل الإسلامي فيما يأتي :

طول الطريق وكثيرة التكاليف :

ذلك أن قوماً أخلاقهم الرياء ، وصفاتهم التسمّع لا يمكن أن يُمَكَّن لهم إلا بعد طول ابتلاء وكثرة تمحيص :

{ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ... } ، { ... أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين }، { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون } .

## **خامساً : طريق علاج الرياء و السمعة**

هذا ... و الطريق لعلاج الرياء أو السمعة تتلخص في :

1- تذكر عواقب الرياء أو السمعة الدنيوية والأخروية على النحو الذي قدمنا آنفاً ، فإن ذلك له أثر كبير في تحريك القلوب ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، ثم إقلاعها عن هذه الآفة ، أو عن هذا الداء الخطير .

2- الانسلاخ من الصحبة المعروفين بالرياء أو بالسمعة ، ثم الارتماء في أحضان المخلصين الصادقين ، فإن ذلك له دوره في إقلاع النفس عن هذه الآفة حتى تبرأ منها تماماً .

3- معرفة الله - عز وجل - حق المعرفة ، فإن هذه المعرفة تعين على تقدير الله حق قدره ، الأمر الذي يؤدى إلى التخلص من الرياء أو السمعة ، ثم التحلي بالإخلاص ، وسبيل ذلك معايشة الكتاب و السنة .

4- مجاهدة النفس ، حتى تهذب من الغرائز التي تملى على الإنسان الرياء أو السمعة و التي من جملتها الرغبة في الصدارة أو المنصب ، وكذلك الطمع فيما في أيدي الناس ، وحب الثناء أو المحمدة .

5- رفق ذوى المسئولية في المحاسبة ، فإن الرفق ما كان في شئ إلا زانه ، وما نزع من شئ إلا شانه .

6- الالتزام بأدب الإسلام في المعاملة فلا غلو في الاحترام و التقدير ، ولا إهمال ولا تقصير ، وإنما هو الأمر الوسط ، وخير الأمور أوساطها .

7- الوقوف على أخبار المرائين ، ومعرفة عواقبهم ، فإن ذلك مما يساعد على تجنب هذا الداء ، أو هذه الآفة ، لئلا تكون العاقبة كعاقبة هؤلاء .

8- دوام النظر أو السماع للنصوص المرغبة في الإخلاص ، و المحذرة من الرياء ، فإن بداية الإقلاع عن الأخطاء والالتزام بالصواب تكون بوضوح الرؤية ، ودقة التصور ، إذ من جهل شيئاً عاداه ، كما قال الله عز وجل{ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله } .

9- محاسبة النفس أولاً بأول للوقوف على عيوبها ، ثم التخلص من هذه العيوب .

10- اللجوء التام إلى الله ، والاستعانة به ، فإن من لجأ إلى الله واستعان به ، وكان صادقاً في ذلك ، أيده الله ، وأعانه ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ خطب ذات يوم فقال :

( أيها الناس اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفي من دبيب النمل ، فقال له من شاء أن يقول ، وكيف نتقيه ، وهو أخفي من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال : ( قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه ).

11- التذكر بأن كل شئ يجرى في هذا الكون بقضاء وقدر :

{ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير } ، وأن الخلق مهما كانت قوتهم ، ومهما كان سلطانهم فإنهم عاجزون عن أن يجلبوا لأنفسهم نفعاً أو يدفعوا عنها ضراً فضلاً عن أن يملكون هذا لغيرهم { إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين } ، { إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً }.

**الآفة التاسعة**

**إتباع الهوى**

والآفة التاسعة التي تصيب بعض لعاملين ويصطلي بناره العمل الإسلامي إنما هي :(( إتباع الهوى )).

وحتى يتطهر منها من ابتلوا وأصيبوا ويتحصن من غوائله وخطرها من عافاهم الله عز وجل منها فإنه لابد من الوقوف على أبعاده ومعالمها وتقديم تصور واضح لها .

ولكي نقف على هذه الأبعاد وتلك المعالم ويكون لدينا تصور واضح أو قريب من الواضح عن هذه الآفة فإننا سنتناولها على النحو التالي :

**أولاً : مفهوم اتباع الهوى :**

اتباع الهوى لغة : لا يمكن أن ينجلي أو يظهر المراد باتباع الهوى لغة إلا إذا فسر المراد بالهوى فماذا يراد بالهوى ؟.... يطلق الهوى على عدة معان نذكر منها :

(أ) ميل النفس إلى ما تشتهي .

(ب) إرادة النفس ما تحب .

(ج) عشق الشيء وتمكنه من القلب .

وحقيقة الحال أن هذه المعاني جميعا متقاربة وإن اختلف العبارة أو اللفظ إذا المعنى الأول والثاني يصوران الهوى في بدايته على أنه مجرد ميل وإرادة قلبية دون تمكن واستقرار أما المعنى الثالث فيصوره في وسطه على أنه حب أو غلبة قلبية يمكن أن تزول بقليل من الجاهدة أما المعنى الرابع والأخير يصوره في نهايته على أنه عشق وهيام يسيطران على القلب ويتمكنان منه ولا يمكن زوالهما بالجاهدة إلا بعد جهد جهيد وزمن طويل .

ولما كان معنى من المعاني المذكورة آنفا صالحا لأن يكون في الخير وصالحا لأن يكون في الشر فقد علماء اللغة : إن الهوى إذا أطلق انصرف إلى ما كان شرا أو ما كان مذموما فإذا أريد به ما كأن يقال : هوى حسن وهوى مواقف للصواب .

وإذا انتهينا الآن من تحديد المراد بالهوى لغة فإننا نقول : أن اتباع الهوى في اللغة هو السير وراء ما تهوى النفس وما تشتهي بل ما تحب .

اتباع الهوى اصطلاحا : أما المراد بتباع الهوى في اصطلاح الشرعي والدعوة فهو السير وراء ما تهوى النفس وتشتهي أو النزول على حكم العاطفة من غير تحكيم العقل أو الرجوع إلى شرع أو تقدير لعاقبة .

**ثانيا : حقيقة اتباع الهوى في الميزان الإسلام :**

واتباع الهوى ليس مذموما كله في نظر الإسلام بل منها ما هو مذموما وهو المذكور في المعنى الاصطلاحي وهو الذي عناه القرآن الكريم في قول الله عز وجل -:

{ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا }.

{ ولا تتبع الهوى فيظلك عن سبيل الله }.

{ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي }.

{ وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى }.

{ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه }.

{ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله }.

أخرى كثيرة .

كما عناه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله :

( الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله ).

بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودينا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام .....

والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معرفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه .... وأنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه.

وعناه بعضهم بقوله :

إني بليت بأربع يرمينني بالنيل من قوس لها توتير

إبليس والدنيا ونفسي والهوى يا رب أنت على الخلاص قدير

ومنه ما هو محمود وهو الموقف لشرع الله ومنهجه وهديه وهو الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله :

لن يستكمل مؤمن إيمانه حتى يكون هواه تبعا لما جئتكم به كما عنته عائشة رضى الله تعالى عنها بقولها للنبي صلى الله عليه وسلم لما أنزل الله تعالى قوله :{ ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك }:

(( ما أرى إلا يسارع في هواك )).

**ثالثا : أسباب اتباع الهوى تؤدى إليه وبواعث توقع فيه نذكر منها :**

**1- عدن التعويد على ضبط الهوى منذ الصغر :**

أي أن السبب الأول لاتباع الهوى إنما يدور حول عدم التعويد على ضبط هذا الهوى منذ الصغر :

ذلك أن الإنسان قد يلقى من أبويه منذ الصغر حبا مفرطا وحنان فوق المطلوب بحيث يطغى هذا الحب وذلك الحنان على تنمية الضوابط الفطرية والشرعية التي لابد منها لتنظيم الرغائب أو الدوافع وحينئذ يكبر هذا الإنسان ويكبر معه الانسياق وراء العواطف والرغائب حتى لو كانت مخالفة للمشروع إذ من شب على شئ شاب عليه إلا من رحم الله عز وجل .

جاء في منهج التربية الإسلامية قول كاتبه:

والأم التي ترضع طفلها كلما بكى لكي يسكت أو لأنها لا تطيق أن تسمعه يبكى تضره بذلك لأنها لا تعينه على ضبط رغباته ولا تعوده على ذلك الضبط في صغره فلا يتعوده في كبره ومن منا تتركه ظروف الحياة لرغباته يشبعها كما يشاء ؟ وذلك فضلا عن أن المسلم بالذات ينبغي أن يتعلم الضبط ويتعوده منذ باكر عمره لأن الجهاد في سبيل الله لا يستقيم في النفس التي لا تستطيع ضبط رغباتها فتنساق معها وكيف يمكن الجهاد بغير ضبط في ذاته ولكنه يصبح إثما حين يشغل عن الجهاد في سبيل الله :

{ قل أن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب إليكم من الله لا يهدى القوم الفاسقين }.

فكل ما ذكرته الآية ليس محرما في ذاته ولكنه صار فسقا وحراما حين أصبح سببا في القعود عن الجهاد في سبيل الله وحين رجحت كفته في الميزان القلب على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله.

فما الوسيلة للاستقامة على ميزان الله إلا ضبط هذه الرغبات ، والاستغناء عنها حين تحول بين الإنسان وبين سبيل الله .

و الضبط مقدرة يتدرب الإنسان عليها ، وعادة يتعلمها وكلما تدرب عليها وهو صغير كان اقدر عليها ، واكثر تمكناً منها فيجدها حاضرة في أعصابه حين تفجؤه الأحداث.

**2- مجالسة أهل الأهواء ومصاحبتهم :**

و السبب الثاني لاتباع الهوى ، إنما هو مجالسة أهل الأهواء ومصاحبتهم ، ذلك أن العواطف أو الدوافع تنمو بالمجالسة وطول الصحبة ، وعليه فمن لازم مجالسة أهل الأهواء وأدام صحبتهم ، فلابد من تأثره بما هم عليه ، لاسيما إذا كان ضعيف الشخصية ، وعنده قابلية التأثر بغيره من أولئك الناس .

وقد وعى السلف - رضوان الله عليهم - هذا السبب ، فأكثروا من التحذير من مجالسة أهل الأهواء ، بل و التعامل معهم أثر عن أبى قلابة قوله :

( .... لا تجالسوا أهل الأهواء ، ولا تجادلوهم ، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون.

وأثر عن الحسن وابن سيرين قولهما :

( ولا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ، ولا تسمعوا منهم ) .

**3- ضعف المعرفة الحقة بالله و الدار الآخرة :**

و السبب الثالث لاتباع الهوى إنما هو ضعف المعرفة الحقة بالله وبالدار الآخرة ، ذلك أن من ضعفت معرفته بالله ، وأنه وحده له الحكم ، وإليه المرجع و المآب ، وهو أسرع الحاسبين ، كما قال سبحانه عن نفسه { ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين } من كان كذلك لا يقدر ربه حق قدره ، وبالتالي يفعل ما يفعل غير مبال بما إذا كان ذلك يرضى الله أو يغضبه ، ينجيه أو يهلكه .

وقد لفت الحق سبحانه النظر إلى ذلك وهو يتحدث عن الضالين و المكذبين ، مبيناً أن السبب في ضلال هؤلاء وتكذيبهم إنما يعود إلى عدم معرفتهم بالله حق المعرفة ، وبالتالي عدم تقديرهم له حق قدره ، إذ يقول سبحانه :

{ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ ... } { يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وغن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب و المطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز } { قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ، ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ، وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون } .

**4- تقصير الآخرين في القيام بواجبهم نحو صاحب الهوى :**

و السبب الرابع لاتباع الهوى إنما هو تقصير الآخرين في القيام بواجبهم نحو صاحب الهوى ، ذلك أن صاحب الهوى إذ رأي ممن حوله استحساناً لما هو عليه ، أو سكوتاً وعدم إنكار بأي من وسائل الإنكار ، فإنه يمضى ويتمادى فيما هو عليه ، حتى يتمكن الهوى من قلبه ،ويسيطر على كل سلوكياته وتصرفاته .

ولعل هذا هو السر في تأكيد الإسلام على مقاومة المنكرات ، وعدم السكوت عنها ولكن بالأسلوب المناسب ، ومع التكرار ، نظراً لأن غالبها ناشئ عن اتباع الهوى ، إذ يقول الحق سبحانه { ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون } ، { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن } ، { وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً } .

ولعله السر كذلك في حرص النبي صلى الله عليه وسلم على مجانبة من لمح فيهم ميلاً إلى الهوى ، وعدم رحابة الصدر لهم ، لعلهم يتوبون أو يذكرون .

جاء عن عبد الله بن كعب أنه قال : سمعت كعب بن مالك ، وذكر ابن السرح قصة تخلفه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك ، قال :

ونهي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة ، حتى إذا طال تسورت جدار حائط أبى قتادة ، وهو ابن عمى ، فسلمت عليه ، فوا الله ما رد على السلام ، ثم ساق خبر توبته.

وجاء عن عائشة - رضى الله تعالى عنها - أنه اعتل بعير لصفية بنت حيى ، وعند زينب فضل ظهر ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعطيها بعيراً ، فقالت : أنا أعطى تلك اليهودية ؟؟ فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهجرها ذا الحجة و المحرم وبعض صفر .

وجاء عن عمار بن ياسر أنه قال :: قدمت على أهلي ، وقد تشققت يداي ، فخلفوني بزعفران ، فغدوت على النبي - صلى الله عليه وسلم - فسلمت عليه ، فرد على ، وقال :( اذهب فاغسل عنك هذا ).

**5- حب الدنيا و الركون إليها مع نسيان الآخرة :**

و السبب الخامس لاتباع الهوى إنما هو حب الدنيا و الركون إليها مع نسيان الآخرة ، ذلك أن من أحب الدنيا ، وركن إليها ونسى الآخرة يتولد عنده سعى حثيث لتلبية كل ما يفرضه هذا الحب ، وذلك الركون ، حتى وإن كان مخالفاً لمنهج الله ، وذلك بعينه هو اتباع الهوى ، وقد لفت المولى النظر إلى هذا السبب في قوله :

{ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، و الذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون } .

كما لفت النبي - صلى الله عليه وسلم - النظر في الحديث المذكور آنفاً :( الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، و العاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله )

**6- الجهل بالعواقب المترتبة على اتباع الهوى :**

والسبب السادس لاتباع الهوى إنما هو الجهل بالعواقب المترتبة على اتباع الهوى ، ذلك أن من جهل عواقب محظور من المحظورات وقع في هذا المحظور دون أدنى اهتمام أو مبالاة ، ولعل هذا هو السر في اهتمام الشارع الحكيم بالتذكير بالعواقب المترتبة على المأمورات و المنهيات ، كما أشرنا إلى ذلك غير مرة فيما تقدم من آفات .

**رابعاً : آثار اتباع الهوى :**

ولاتباع الهوى آثار ضارة ، وعواقب مهلكة ، سواء كانت على العاملين أو على العمل الإسلامي ودونك هذه الآثار :

**أ- آثار اتباع الهوى على العاملين :**

فمن آثاره على العاملين :

**1- نقصان بل تلاشى الطاعة من النفس :**

ذلك أن صاحب الهوى أو المتبع لهواه يعز عليه ، بل يكبر في نفسه أن يطيع غيره ، خالقاً كان هذا الغير أو مخلوقاً ، بسبب أن هذا الهوى قد تمكن من قلبه ، وملك عليه أقطار نفسه ، فصار أسيراً لديه ودافعاً له في نفس الوقت إلى الغرور ، و التكبر ، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، فإما أن يطيع ربه ، وغما أن يطيع نفسه وهواه ، وشيطانه ، وهو ليس بمطيع ربه ، فلن يبق إلا أن يكون مطيعاً لهواه .

**2- مرض القلب ثم قسوته وموته :**

ذلك أن صاحب الهوى غارق من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه في المعاصي و السيئات ، وهذه بدورها لها آثار خطيرة على القلب ، إذ أنها تنتهي به إلى المرض ثم القسوة أو الموت ، كما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - :( إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن زاد زادت ، حتى يعلو قلبه ذاك الرين الذي ذكره الله - عز وجل - في القرآن { كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون } ، وإذا مات القلب وهو لب الإنسان وجوهره ، فماذا بقى لهذا الإنسان ؟!! إنه لا يبقى له سوى الشحم و اللحم ، أو بالأحرى الجانب الطيني وهو جانب حقير لا قيمة له في ميزان الله ، وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول :

( إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ).

**3- الاستهانة بالذنوب والآثام :**

وذلك أن المتبع لهواه قد قسا قلبه ومات على النحو الذي قدمنا ، ويوم تقسو القلوب وتموت تكون الاستهانة والاستهتار بالذنوب والآثام كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - :

( إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه فقال به هكذا .... ) والاستهانة بالذنوب والآثام هي عين الهلاك ، و البوار و الخسران المبين .

**4- عدم جدوى النصح والإرشاد :**

وذلك أن المتبع لهواه قد ركب رأسه ، وصار عبد لشهواته ، وأني لهذا أن يستجيب لنصح أو ينفع فيه توجيه وإرشاد ؟!! ولا خير في قوم لا يتناصحون ولا يقبلون النصيحة ، { فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ... } .

**5- الابتداع في دين الله :**

وذلك أن صاحب الهوى يميل كغيره من البشر إلى إثبات ذاته ووجوده وهو لا يرضى منهج الله طريقاً لتحقيق هذا الميل ، فلم يبق إلا أن يبتدع منهاجاً يوافق هواه وشهواته ، يقول حماد بن سلمة :( حدثني شيخ لهم تاب - يعنى الرافضة - قال :( كنا إذا اجتمعنا فاستحسنا شيئاً جعلناه حديثاً ) والابتداع هو الضلال وكل ضلال في النار كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم ( ... إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة ).

( ... أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة )

**6- التخبط وعدم الهداية إلى الطريق المستقيم :**

وذلك أن صاحب الهوى بعبوديته لشهواته وميوله ، قد أعرض عن مصدر الهداية و التوفيق ، فمن أين يأتيه التوفيق ، و الهداية إلى الطريق المستقيم ؟ وصدق الله - سبحانه وتعالى - الذي يقول :

{ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على قلبه غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون } .

**7-إضلال الآخرين وإبعادهم عن الطريق :**

ولا تقتصر هذه الآثار الضارة على صاحب الهوى ، بل كثيراً ما تتعداه إلى الآخرين لاسيما السقوط أو البعد عن الطريق سهل مرغوب فيه ، وقد لفت المولى - سبحانه وتعالى - النظر إلى ذلك في قوله :

{ وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم } .

**8- الصيرورة إلى الجحيم وبئس المصير :**

وأخيراً فإن من عوقب بكل الآثار التي قدمنا فإنما مأواه الجحيم وصدق الله العظيم :

{ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى } .

**ب- آثار اتباع الهوى على العمل الإسلامي :**

وأما آثار اتباع الهوى على العمل الإسلامي ، فإنها كثيرة نذكر منها :

**1- ضعف بل تلاشى كسب الأنصار :**

وذلك أن العمل الإسلامي إذا قام على أكتاف ، أو كان في صفه من عرف باتباع الهوى ، فإنه بذلك يسد الباب في وجه الأنصار الجدد ، إذ ليس فيه حينئذٍ أسوة أو قدوة تغرى بالالتحاق به ، وبذل الغالي و الرخيص في سبيل نصرته و المضي به قدماً إلى الأمام ، وهذا بدوره يؤدى إلى طول الطريق مع كثرة التكاليف .

**2- تفريق أو تمزيق وحدة الصف :**

وذلك أن صف العمل الإسلامي إذا اشتمل على أصحاب الأهواء ، فإنهم ينتهون به إلى التمزيق و الفرقة ، نظراً لضعف أو تلاشى مبدأ الطاعة عندهم ، وحين تقع هذه الفرقة أو هذا التمزق ، فقد صار العمل الإسلامي لقمة سائغة في فم الأعداء .

ولعمري هذا هو أهم ما يسعى إليه هؤلاء ، حتى يصير حقيقة وواقعاً في هذه الأرض ، وحينئذٍ يتمكنون بواسطته من ضرب العمل الإسلامي أو على الأقل إجهاضه و الرجوع إلى الوراء عشرات السنين .

**3- الحرمان من العون والتأييد الإلهي :**

وذلك أن سنة الله في خلقه مضت أنه لا يمنحهم العون أو التأييد إلا إذا كانوا أهلاً لذلك ، حتى إذا مكَّن لهم يكونون كما قال سبحانه :( الذين إن مكانهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ... } .

ولعمري فإن صاحب الهوى بمعصيته لربه ولرسوله ولإمارة المسلمين ، يكون سبباً في حجب هذا العون وذلك التأييد الإلهي للعمل الإسلامي .

وما زالت وصايا عمر لأمراء الجيوش الإسلامية وجندها ، أبان الفتوحات الإسلامية ترن في الآذان ، إذ قال لسعد بن أبى وقاص حين أمَّره على العراق :

يا سعد بن وهيب لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن ، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عند الله بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه ، فإنه الأمر ، هذه عظتي إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك ، وكنت من الخاسرين ).

كما كتب إليه ومن معه من الأجناد :

أما بعد ... فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم يكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدونا شر منا ، فلن يسلط علينا فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل - لما عملوا بمساخط الله - كفار المجوس فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولاً ، واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، واسألوا الله تعالى ذلك لنا ولكم .

**خامساً : علاج اتباع الهوى :**

وحتى يعالج أصحاب الأهواء أنفسهم ويقيمونها على الجادة فإنه لا مناص من اتباع الخطوات الآتية :

1- التذكير بعواقب اتباع الهوى سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي ، فإن ذلك له دور كبير في تخليص النفس من أهوائها وشهواتها ما دامت مخالفة لمنهج الله ورسوله .

2- الانقطاع عن مجالسة ومصاحبة أهل الأهواء ، مع الارتماء في أحضان أهل الصلاح والاستقامة ، فإن ذلك يعين على تحرير النفس من وقوعها أسيرة الأهواء والشهوات .

3- التعريف بالله - عز وجل - حق المعرفة ، فإن ذلك يولد في النفس حبه وإجلاله ، و النزول على حكمه في كل ما أمر به ، وفي كل ما نهي عنه ، بل ويربى فيها كذلك مراقبته وخشيته و الطمع في جنته ، ورضوانه و الخوف من ناره وعقابه .

4- حياطة الآخرين ورعايتهم لصاحب الهوى ، تارة بالنصيحة المقرونة بآدابها وشروطها ، وتارة بإيقاع السلوك الأمثل أمامه ، وتارة بالعتاب وتارة بالتوبيخ و التأنيب وتارة بالهجر و القطيعة إلى غير ذلك من أساليب ووسائل الحياطة و الرعاية .

5- الوقوف على سير أصحاب الأهواء وعاقبتهم سواء أكانوا من هذه الأمة أو من الأمم الأخرى ، فإن ذلك يولد في النفس نفوراً من اتباع الهوى لئلا تكون حديث كل لسان ، ولئلا ينزل بها من العقاب مثلما نزل بهؤلاء .

6- الوقوف على سير وأخبار من عرفوا بمجاهدة نفوسهم وأهوائهم وإلزامها بحدود الله مثل عمر بن عبد العزيز ، و الحسن البصري ، ومحمد بن سيرين ، و الفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وغيرهم وغيرهم ، فإن ذلك يحمل معنى الإقتداء و التأسي ، أو على الأقل المحاكاة و المشابهة .

7- التحذير من الركون إلى الدنيا والاطمئنان بها مع الربط الشديد بالآخرة بحيث يبتغى المسلم فيما آتاه الله : الدار الآخرة ، ولا ينسى نصيبه من الدنيا إن أمكن ، وإلا آثر الآخرة عن الأولى .

8- الاستعانة الكاملة بالله - عز وجل - فإنه سبحانه يعين من لجأ إليه ولاذ بحماه ، وطلب العون و التسديد منه ، وصدق الله إذ يقول في الحديث القدسي :

( يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ).

9- مجاهدة النفس ، وحملها قسراً على التخلص من أهوائها وشهواتها من قبل أن يأتي يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذٍ لله .

10- التذكير بأن السعادة و الراحة و الطمأنينة و الفوز ، إنما هي في اتباع المشروع ، لا في اتباع ما تملى النفس وما تهوى ، وصدق الله إذ يقول :

{ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى } ، { فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون } وفي هذا المعنى يقول القائل :

واعلم بأن الفضل في إيحائه لا في الذي يوحي إليه هواكا

**الآفة العاشرة**

**التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة**

والآفة العاشرة التي يبتلى بها نفر من العاملين ولا يكاد يسلم من شرها العمل الإسلامي إنما هي : ( التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة ) وحتى يتطهر من هذه الآفة من ابتلوا بها ويتقى شرها من عافاهم الله عز وجل منها فتصفو الطريق أمام العمل الإسلامي فإنه لابد من تقديم أو عرض تصور واضح لها وذلك على النحو التالي :

**أولا : مفهوم التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة :**

التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة لغة : لا نستطيع تحديد المراد بالتطلع إلى الصدارة وطلب الريادة لغة إلا بعد تحديد المراد بالصدارة والريادة فماذا يراد بهما ؟

تطلق الصدارة في اللغة ويراد بها التقدم أو الترؤس إذ هي مأخوذة من الصدر الذي هو أعلى مقدم كل شئ وأوله ، تقول : صدر النهار والليل وصدر الشتاء والصيف وما أشبه ذلك تعنى أول وأعلى كل واحد منها وتصدر الفرس وصدر أي تقدم الخيل بصدره .

وكذلك الريادة تطلق لغة ويراد بها : التقدم أو السبق للإعداد والتهيئة إذ هي مأخوذة من الرود وهو الترويد أو فعل الرائد تقول : بعثنا رائدا يرود لنا الكلأ والمنزل ، ويرتاد أي ينظر ويطلب ويختار أفضله .

وإذ انتهينا الآن من تحديد المراد بالصدارة والريادة لغة فإننا نقول : إن التطلع للصدارة وطلب الريادة في اللغة إنما هو الرغبة في التقدم على الغير بل سؤال ذلك صراحة التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة اصطلاحا : أما المراد بالتطلع إلى الصدارة وطلب الريادة في الاصطلاح الشرعي والدعوى فإنما هو تعلق القلب بالإمامة أو الريادة وسؤال ذلك صراحة أو القعود عن القيام بالواجب وأداء الرسالة .

**ثانيا : حقيقة التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة في ميزان الإسلام :**

والتطلع إلى الصدارة وطلب الريادة في ميزان الإسلام شئ مذموم ومنهي عنه بل عليه الوعيد الشديد إذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم ( إنا والله لا نولى على هذا العمل أحدا سأله ولا أحدا حرص عليه ).

ويقول عليه الصلاة والسلام - لعبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه : ( يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها ) .

ويقول أبو ذر رضى الله عنه : قلت يا رسول الله ألا تستعملني ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال : ( يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدي الذي عليه فيها ) ويقول المقدام بن معد يكرب : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب على منكبه ثم قال له : ( أفلحت يا قديم إن مت ولم تكن أميراً ولا كاتباً ولا عريفاً ).

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :

(ويل للأمراء ويل للعرفاء ويل للأمناء ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض ولم يكونوا عملوا على شئ ) .

وإذا كان هذا هو موقف الإسلام من التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة فما بال نبي من أنبياء الله سألها وزكى نفسه ليعطاها ؟ إنه يوسف عليه السلام إذ حكى القرآن الكريم قوله { اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم } وما بال المسلم يلح في سؤالها حتى تصبح سمة من سماته وعلامة يعرف بها بين الناس ؟ إذ يقول الحق سبحانه في صفات عباد الرحمن : { والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما } ونقول : لا تعارض ولا تناقض : ذلك أن يوسف عليه السلام سأل وزكى نفسه لأنه رأي خلو المكان من قائم بالحق وداع إليه ومدافع عنه ووجد نفسه أهلا لذلك ولكنه لم يكن معروفا فكان لابد من السؤال والتزكية من باب { ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض } وكذلك سؤال المسلم الريادة والإمامة إنما هو سؤال لله وليس للبشر والمنهي عنه سؤال البشر وأيضا هناك فرق بين أن يطلب المسلم ذلك من ربه حتى يكون جاهزا ومعدا لسد الفراغ عند الحاجة وبين أن يظل نائما ثم يسأل الريادة ولم يأخذ بسبب واحد من أسباب القدرة عليها والقيام بحقها .

**ثالثا : أسباب التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة :**

وللتطلع إلى الصدارة وطلب الريادة أسباب تؤدى إليه وبواعث توقع فيه نذكر منها :

**(1) الرغبة في التحرر من سيطرة وسلطان الآخرين :**

فقد يكون السبب في التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة إنما هي الرغبة في التحرر من سيطرة وسلطان الآخرين ذلك أن بعض الناس قد ينشأ دون أن يذوق طعم الطاعة لأحد ولو مرة واحدة ومثل هذا إذا وضع في محيط جماعي فإنه يعز عليه بل يكبر في نفسه أن يكون فوقه أحد لذلك تراه تتعلق نفسه تعلقا بالصدارة ويسعى جاهدا لسؤال الريادة حتى يتحرر بتصوره من سيطرة وسلطان الآخرين.

**(2) الرغبة في تحصيل عرض من أعراض الحياة الدنيا :**

وقد يكون السبب في التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة إنما هي الرغبة في تحصيل عرض من أعراض الحياة الدنيا ذلك أن بعض الناس قد يتعلق بالحياة الدنيا تعلقا يحمله على إصابتها من أي باب تيسر له حلالا كان هذا الباب أو حرام ومثل هذا الصنف يتصور أنه إذا كان صدرا أو رائدا فإن الكل سيكون في خدمته من أجل إصابة حظه من أعراض هذه الحياة الفانية لذا تراه متعلق النفس بالصدارة ساعيا بجدية واهتمام لسؤال أو طلب الريادة .

**(3) الغفلة عن تبعات الصدارة والريادة :**

وقد يكون السبب في التطلع وطلب الريادة إنما هي الغفلة عن تبعات هذه الصدارة وتلك الريادة ذلك أن تبعات الصدارة والريادة ضخمة فصاحبها يجوع حيث يشبع الآخرين ويظمأ حيث يروى الآخرون ويسهر حيث ينام الآخرون ويتعب حيث يستريح الآخرون وبالجملة فإن تبعات هذا الأمر أن يفدى صاحبه الآخرين بنفسه في ساعات الشدة ويقدمهم على هذه النفس في ساعات الرخاء على نحو ما كان يصنع النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إذ يقول للبراء رضى الله عنه : ( كنا والله إذا احمر البأس نتقى به وإن الشجاع منا للذي يحاذى به يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ).

وإذ يقول علىّ رضى الله تعالى عنه ( كنا إذا أحمر البأس ولقي القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه ).

ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول: ( لن تراعوا لن تراعوا ) وهو على فرس لأبى طلحة عرى ما عليه سرج في عنقه سيف ) ويقول أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : الله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم يفعل ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم بفعل ثم مر بي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال : يا أبا هر فقلت : لبيك يا رسول الله قال : الحق ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي فدخل فوجد لبنا في قدح فقال : من أين هذا اللبن ؟ قالوا : أهداه لك فلان أو فلانة قال : أبا هر قلت : لبيك يا رسول الله قال : الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا أحد إذا أتته هدية أرسل إليهم ، وأصاب منها وأشركهم فيها فساءني ذلك فقلت : وما هذا اللبن في أهل الصفة كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت فقال : يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال : خذ فأعطهم قال : فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح حتى انتهت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلى فتبسم فقال : أبا هر ، قلت : لبيك يا رسول الله قال :بقيت أنا وأنت ؟ قلت : صدقت يا رسول الله قال : اقعد فاشرب فقعدت فشربت قال : اشرب فشربت فما زال يقول : اشرب حتى قلت: والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا قال : فأرني : فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة ).

هذه تبعات وتكاليف الصدارة والريادة ومن غفل عنها فإنه تتعلق نفسه لا محالة بالصدارة ويجتهد في طلب الريادة.

**(4) الغفلة عن عواقب التقصير في الصدارة والريادة :**

وقد يكون السبب في التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة إنما هي الغفلة عن عواقب التقصير في هذه الصدارة وتلك الريادة وذلك أن عواقب التقصير في هذه الصدارة وتلك الريادة وذلك أن عواقب التقصير في هذا الأمر في الدنيا إنما هي إفساح المجال أمام الباطل وجنده ليفسد في الأرض ويهلك الحرث والنسل وأما في الآخرة فهي التقييد بالأغلال والسلاسل والحرمان من الجنة والإلقاء في النار إذ يقول -صلى الله عليه وسلم -:

( ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة )

( ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لا يفكه إلا العدل أو يوبقه الجور ).

(من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة ومن غلب جوره عدله فله النار ).

ومن غفل عن هذه العواقب فإنما تتوق نفسه إلى الصدارة ويسأل الريادة .

**(5) الرغبة في التسلط وإذلال الآخرين :**

وأخيرا قد يكون السبب في التطلع إلى الصدارة وطلب ذلك إنما هي الرغبة في التسلط وإذلال الآخرين ذلك أن بعض الناس قد يلقى شدة وضغطا في تربيته أو تخوينا وتسيبا إلى حد حب التسلط والإذلال ومثل هذا يرى الصدارة والريادة باب يلج منه ليتشفى وليشبع غريزة أفرزتها التربية السيئة .... لذا فإن نفسه تتوق إلى هذه الصدارة ويجتهد في طلب تلك الريادة .

**رابعا : آثار التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة :**

وللتطلع إلى الصدارة وطلب الريادة آثار سيئة وعواقب وخيمة على العاملين وعلى العمل الإسلامي ودونك طرفا من هذه الآثار وتلك العواقب :

**أ- آثار التطلع إلى الصدارة على العاملين :**

فمن آثار ذلك على العاملين :

**(1) الحرمان من التوقيف والعون لإلهي :**

ذلك أن التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة يعنى الوثوق بالنفس والاعتماد عليها وعلى ما لديها من طاقات وإمكانيات دون الحاجة إلى عون وتأييد من الله وقد جرت سنة الله مع خلقه أن يتخلى عمن اعتمدوا على حولهم وقوتهم غير عابئين بحوله سبحانه وقوته ... وما ظنك بمن تخلى عنه ربه أيكتب له التوفيق أو يحظى بأي عون أو تأييد ؟ اللهم لا !!

وقد لفت النبي صلى الله عليه وسلم النظر إلى هذا الأثر في قوله لعبد الرحمن ابن سمرة :( يا عبد الرحمن : لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسالة وكلت إليها وإن أعطيتها من غير مسالة أعنت عليها .....)

**(2) تعريض النفس للفتنة وبالتالي للغضب الإلهي :**

وذلك أن من تطلع إلى الصدارة والريادة فقد جعل نفسه في مهب ريح الفتن إذ ربما ينسى بهذا التطلع وذلك الطلب مراقبة الله والحساب والمساءلة غدا بين يديه سبحانه فيركن إلى الدنيا ويرضى بها أو ينسى تبعات وتكاليف هذا الأمر بل ربما جار وظلم وهذا كله ينتهي به إلى استحقاق الغضب والسخط الإلهي الذي يتمثل في العقاب والعذاب على نحو ما شرحنا آنفا .

وما اجمل وأروع تصوير النبي صلى الله عليه وسلم لمثل هذا الأمر حتى يقول :

( إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة ).

**(3) تضاعف الأوزار والأثقال :**

وذلك أن من يصل إلى الصدارة و الريادة بعد التطلع والسؤال قد يفتن ويقتدي ويتأسي به من هم دونه فيعرضون أنفسهم للفتنة مثله وحينئذ تتضاعف عليه الأوزار والأحمال فيحمل وزره ووزر من اقتدى وتأسى في الشر به وتصدق الله :{ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم }.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم -:-

( ...... ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ ) ...

من عمل إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا )

**(4) القتل أو النفي أو التشريد في الأرض :**

وذلك أن التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة قد يؤدى إلى التشاجر أو التناحر وربما أسفر ذلك عن قتل أو النفي والتشريد في الأرض والتاريخ البشرى حافل بآلاف النماذج التي تطلعت إلى الصدارة وطلب الريادة ولم تصل إلى مرادها بل انتهت بها الحال إلى القتل أو النفي والتشريد في الأرض:

**ب- آثار التطلع إلى الصدارة على العمل الإسلامي :**

ومن آثار ذلك العمل الإسلامي كثرة التكاليف وطول الطريق ذلك أن صفا يحوى في طياته متطلعين إلى الصدارة وطالبين للريادة لا يمكن أن يستقيم أبدا وأنى لهذا الصف أن يستقيم وفيه من أغرتهم الدنيا بزخرفها وبريقها وزهرتها وزينتها ممثلا ذلك التطلع إلى المنصب والتعلق به ؟.

وإذا انتهي الأمر بصف إلى الاعوجاج فإن نصر الله منه بعيد إلا أن يكون ذلك مكرا واستدراجا وصدق الله :

{ ولينصرن الله من ينصره } .

{ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ..}.

قد فطن إلى ذلك سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين فكانوا إذا تأخر عليهم النصر يردون هذا التأخير إلى حب الدنيا والتعلق بها ثم يبادرون بالتوبة والرجوع إلى الله فينزل بهم نصره .

والقصة التالية تصوير بديع لما فطن إليه هؤلاء :

لما أبطأ فتح مصر على عمرو بن العاص كتب إلى عمر يستمده فأمده بأربعة آلاف (تمام ثمانية آلاف ) على ألف رجل منهم رجل كتب إليه : إني أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل رجل منهم مقام الألف : الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد واعلم أن معك اثني عشر ألفا ولا تغلب اثنا عشر ألفا من قلة .

ولما وصل هذا المدد وتأخر الفتح على عمر كتب إلى عمرو : أما بعد فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر تقاتلونهم منذ سنين وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوما إلا بصدق نياتهم وقد كنت وجهت إليك الأربعة نفر وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما أعرف إلا أن يكون غيرهم ما غير غيرهم فإذا أتاك كتابي فاخب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس ومر الناس جميعا أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فإنها ساعة تنزل الرحمة ووقت الإجابة وليعج الناس إلى الله ويسألوا النصر على عدوهم ......

**خامساً: علاج التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة :**

ويمكن التطهر من هذه الآفة بل وتحصين النفس ضدها باتباع الأساليب التالية :

**(1) دوام النظر في السنة النبوية :**

فإن فيها تحذيرا شديدا من سؤال الولاية أو تعلق القلب بها بل فيها تصوير بليغ لتبعات وعواقب التقصير في هذا الأمر على نحو ما ذكرنا في الأسباب من قبل .

**(2) دوام التذكير بتبعات هذا الأمر وعواقبه الدنيوية والأخروية :**

فإن الإنسان بفطرته ينسى ولا علاج لهذا النسيان إلا بالتذكير والتذكير الدائم على منهج القرآن الكريم :{ فذكر إن نفعت الذكرى }. { وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين }.

**(3) التعويد على الطاعة وهضم النفس منذ نعومة الأظافر :**

فإن ذلك له أثره فيما بعد فيخلع هذه الأمراض من القلب والرضا بالحال التي يوضع فيها المسلم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(.... طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعت رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في ساقة كان في الساقة ......).

**(4) الرفق في المعاملة :**

فإنه ما كان الرفق في شئ إلا زانه وما نزع الرفق من شئ إلا شانه وعليه فإن هذا الرفق سيعين على تخليص القلب من الصدارة بل وحمد الله على المعافاة منها .

**(5) التذكير بسيرة السلف وموقفهم من الصدارة والرياء :**

فإن سيرتهم طافحة بكراهية هذا الأمر والنفور والتحذير الشديد منه تقديراً لتبعاته وعواقبه فهذا أبو بكر رضى الله تعالى عنه يخطب في المسلمين بعد قبوله الخلافة قائلا :

( يا أيها الناس : إن كنتم ظننتم أنى أخذت خلافتكم رغبة فيها أو إرادة استئثار عليكم وعلى المسلمين فلا والذي نفسي بيده ما أخذتها رغبة فيها ولا استئثار عليكم ولا على أحد من المسلمين ولا حرصت عليها يوما ولا ليلة قط ولا سألت الله سرا ولا علانية ولقد تقلدت أمرا عظيما لا طاقة لي به إلا أن يعين الله ولوددت أنها إلى أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يعدل فيها فهي إليكم رد ولا بيعة لكم عندي فادفعوا لمن أحببتم فإنما أنا رجل منكم ).

ولما كان عمر في النزع الأخير جعل الأمر شورى في ستة من المسلمين فأشار عليه المغيرة بن شعبة بابنه عبد الله بن عمر ، ليكون خليفة ، فغضب عمر ورد عليه قائلاً :" قاتلك الله ، والله ما أردت الله بهذا ، لا إرب لنا في أموركم ، وما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي ، إن كان خيراً أصبنا منه ، وإن كان شراً فبحسب آل عمر أن يحاسب منه رجل واحد ، ويسأل عن أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم أما لقد جهدت نفسي ، وحرمت أهلي ، وإن نجوت كفافاً لا وزر ، ولا أجر إني لسعيد " ، ولما ولى عمر بن عبد العزيز ، جاءه صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة على عادته مع الخلفاء قبله ، فقال له عمر :

مالي ولك ؟ تنح عنى ، إنما أنا رجل من المسلمين ثم سار وساروا معه حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر واجتمع الناس إليه فقال : أيها الناس قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان منى فيه ولا طلبة له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي ، فاختاروا لأنفسكم ، ولأمركم من تريدون ، فصاح المسلمون صيحة واحدة : قد اخترناك لأنفسنا ولأمرنا ورضينا كلنا بك .... " إلى غير ذلك من الأخبار المشحونة بها كتب التاريخ .

**6- التذكير بمكانة ومنزلة الدنيا من الآخرة ،** على نحو ما جاء في كتاب الله - عز وجل - وعلى لسان النبي صلى الله عليه وسلم:

إذ يقول المولى عز وجل - عن هذه المنزلة ، وتلك المكانة :

{ قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ..... } ، { فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل } ، { يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الدار الآخرة هي دار القرار } ، { زين للناس حب الشهوات من النساء و البنين و القناطير المقنطرة من الذهب و الفضة و الخيل المسومة والأنعام و الحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن الثواب } .

وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم :" ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم ، فلينظر بما يرجع " ، " لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء " ، فإن هذا التذكير قد يحمل العقلاء على أن يكونوا مغمورين بعيداً عن أي صدارة أو ريادة ، حتى يخرجوا من هذه الدنيا سالمين غانمين فيظفروا غداً برضوان الله سبحانه و الجنة .

**الآفة الحادية عشر**

**ضيق الأفق أو قصر النظر**

والآفة الحادية عشرة التي يبتلى بها كثير من العاملين ، ويعانى منها العمل الإسلامي أشد المعاناة ، إنما هي :

ضيق الأفق أو قصر النظر وحتى نسهم في اقتلاع هذه الآفة من النفوس من ابتلوا بها وتحصين الآخرين ضدها ، ويسلم من شرها العمل الإسلامي ، فإنه لابد من تقديم تصور دقيق واضح على النحو التالي :

**أولاً : مفهوم ضيق الأفق أو قصر النظر**

ضيق الأفق لغة : الأفق لغة واحد الآفاق التي هي الجهات أو النواحي، قال تعالى { سنريهم آياتنا في الآفاق } و النظر هو تأمل الشيء بالعين ، قال تعالى { أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت } ، وهو كذلك تقليب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته ، قال تعالى { أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شئ .... } وتبعاً لما ذكرنا ، فإن ضيق الأفق في اللغة ، يعنى انحسار أو انكماش جهة أو ناحية النظر والتأمل وكذلك قصر النظر يعنى ضعف أو اختلال البصر و البصيرة أو هما معاً .

ضيق الأفق اصطلاحاً : أما مفهوم ضيق الأفق أو قصر النظر في الاصطلاح الشرعي و الدعوى فهو ضعف أو خلل في البصيرة يؤدى إلى حصر التفكير أو الرؤية في حدود ضيقة لا تتجاوز المكان و الزمان ، أو بعبارة أخرى ، هو ضعف أو خلل في البصيرة يؤدى إلى رؤية القريب وما تحت القدمين فقط ، دون النظر إلى البعيد ، ودون تقدير الآثار و العواقب ، قال تعالى { أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور } .

**ثانياً : أسباب ضيق الأفق أو قصر النظر :**

ولضيق الأفق أو قصر النظر أسباب تؤدى إليه ، وبواعث توقع فيه ، نذكر منها :

**1- النشأة الأولى :**

فقد ينشأ الإنسان في بيئة لا تهتم كثيراً بتنمية الذكاء الفطري أو المواهب لدى أفرادها فتكون العاقبة انحسار دائرة التفكير أو النظر أو التأمل إلا من رحم الله - عز وجل - .

**2- صحبة نفر من ذوى الأفق الضيق و النظر القصير :**

وقد يحيط بالإنسان صحبة ذات أفق ضيق ، ونظر قصير ، فتسرى آثار ذلك إلى هذا الإنسان ، فإذا به يواجه كل المواقف بنفس النمط ، وعلى هذا المنوال ، إذ المرء على دين خليله .

**3- الانزواء أو العزلة :**

وقد يؤثر الإنسان العزلة و الانزواء ، إما لعدم القدرة على التوفيق بين الفردية و الجماعية ، وإما إيثاراً للعافية و السلامة ، ومثل هذا وإن جنى كثيراً من ثمار العزلة أو التفرد ، فإنه يخسر أول ما يخسر الخبرة أو التجربة ، تلك التي تستفاد من ملازمة الجماعة والارتماء في أحضانها ، و التي تساعد على اتساع الأفق ، وبعد النظر ، وحين يخسر الإنسان الخبرة ، فإنه يظل ذا أفق ضيق ، ونظر قصير محدود .

**4- عدم الفهم لدور أو لرسالة الإنسان في الأرض :**

وقد لا يفهم الإنسان دوره أو رسالته في الأرض ، من أنه خليفة فيها { وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض

خليفة ..} وأن هذه الخلافة إنما هي سيادة { هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها } وعبودية { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } ، وإن تحقيق هذا الدور أو الرسالة يقتضي التبصر و التدبر { وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون } ، و العمل الدائم بالليل و النهار { وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنون } ، وقد لا يفهم الإنسان ذلك كله ، فيقعد وينام ، أو ينطلق على غير هدى وبصيرة ، وأنى لهذا أن يكون واسع الأفق بعيد النظر ؟ .

**5- عدم الفهم لحقيقة ومضمون الإسلام :**

وقد لا يفهم المسلم حقيقة ومضمون الإسلام ، من أنه دين شامل للحياة جميعاً ، وإلى قيام الساعة :{ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً } وأن الدعوة إليه ، و التمكين له في الأرض يقتضي الحكمة التي من لوازمها اتساع الأفق ، وبعد النظر ، كما قال سبحانه وتعالى { قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني } ، { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة } وقد لا يفهم المسلم ذلك فيدعو إلى هذا الإسلام ، ويعمل على التمكين له دون أن يجهد نفسه في تحصيل الحكمة ، وأنى لمن حرم الحكمة أن يكون واسع الأفق بعيد النظر ؟ .

**6- عدم الإلمام بواقع الأعداء وأسلوبهم في العمل :**

وقد يكون المسلم غير ملم بواقع الأعداء ، وأسلوبهم في العمل من أنهم كثرة ، وأن لديهم العتاد و العدد ، وأن أسلوبهم في العمل يقوم على الدهاء و المكر و الخديعة ، قد لا يلم المسلم بذلك كله ، فتضيع عليه فرصة اكتساب الخبرة و الدراية و التجربة ، وأنى لمن لم يكتسب خبرة ولا دراية ولا تجربة أن يكون واسع الأفق بعيد النظر ؟ .

**7- الإعجاب بالنفس ، بل الغرور و التكبر :**

وقد يكون الإنسان معجباً بنفسه ، مغروراً متكبراً فيحمله ذلك على الترفع ، والاستعلاء أن يكتسب من غيره الخبرة أو مهارة أو تجربة ، فيبقى طول حياته محدود الأفق قصير النظر .

**8- الغفلة عن العواقب أو الآثار المترتبة على ضيق الأفق ،** أو قصر النظر ، وقد يكون المسلم غافلا عن العواقب أو الآثار المترتبة على ضيق الأفق ، أو قصر النظر ، فيقنع بما هو عليه دون أن يجهد نفسه ، أو أن يعمل فكره في تلاشى هذه العواقب ، أو تلك الآثار ، ومثل هذا يظل طول حياته ضيق الأفق ، محدود النظر .

**9- الجهل بأخبار وحوادث الماضين :**

وقد يكون المسلم جاهلاً بأخبار وحوادث الماضين وكيف كانوا يتصرفون بإزاء المواقف المباغتة أو المفاجئة ، ومثل هذا يعيش محروماً من الخبرة و الدراية و التجربة ، التي هي أساس اتساع الأفق ، وبعد النظر ، وصدق الله - سبحانه وتعالى - الذي يقول عن أخبار وحوادث الماضين :

{ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب } ، { فاقصص القصص لعلهم يتفكرون } .

**10- ضعف الصلة بالله - عز وجل -**

وقد يكون المسلم ضعيف الصلة بالله - عز وجل - بأن يكون غير محترز من المعاصي و السيئات ، لاسيما الصغائر منها ، أو أن يكون مفرطاً في عمل اليوم و الليلة ، أو أن يكون مهملاً لجانب فعل الخيرات ، فيعاقب على ذلك كله بالحرمان من الحكمة التي هي أساس سعة الأفق وبعد النظر .

ولعل ذلك هو المفهوم من قوله تعالى في كتابه الحكيم :

{ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً } ومن قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي يقول الله تعالى

:" من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته "

**ثالثاً : مظاهر أو سمات ضيق الأفق أو قصر النظر :**

ولضيق الأفق أو قصر النظر مظاهر أو سمات يعرف بها وتدل عليه نذكر منها :

1- التبرم الشديد بالمنهج الدعوى أو الحركي الذي ارتضته الحركة الإسلامية المعاصرة ، من أجل التمكين لدين الله في الأرض ، ووصف هذا المنهج بالتخلف ، وعدم القدرة على مواكبة ظروف ومستجدات العصر ، بل ووصف القائمين عليه بالركون إلى الدنيا إيثاراً للعافية و السلامة .

2- حصر الجهد في جوانب ، وإن كانت مفيدة إلا أنها ثانوية ، تستهلك طاقة كبيرة ، ووقتاً طويلاً ، مثل العمل على بناء مسجد أو إنشاء جمعية خيرية ، أو إلقاء موعظة ، أو تأليف كتاب ، أو قراءة

ومطالعة ، أو عيادة مريض ، أو محاولة جمع الناس على رأي واحد في مسائل الفروع ، أو المسائل المختلف فيها ، وهكذا دواليك .

3- الصلابة أو الشدة عند التقصير في سنة من السنن ، أو هيئة من الهيئات ، و السكوت وعدم تغير القلب أو تمعر الوجه عند تضييع فريضة من الفرائض ، أو واجب من الواجبات ، فتراه مثلاً يقيم الدنيا ولا يقعدها على من لا يهتم بتقصير ثيابه ، أو لا يحافظ على السواك ، أو لا يلبس الساعة في اليد اليمنى ، ولا تتحرك فيه شعرة عندما يرى حكم الله معطلاً في الأرض ، وأهل الباطل يصدون عن سبيل الله ، ويسومون أولياء الله سوء العذاب .

4- علاج المشكلات التي تعانى منها الأمة الإسلامية بطريق تعاطى المسكنات دون البحث عن أصل الداء ، وسبب العلة ، ثم اجتثاث هذا الأصل ، أو هذا السبب من جذوره ، فمثلاً نسمع ونرى علاج مشكلة الحانات و البارات ومراكز الفيديو الداعرة ، إنما يكون بالتكسير وإشعال الحرائق ، وحقيقة العلاج يجب أن ينصرف إلى إيجاد السلطان الذي يقيم شرع الله في الأرض ، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، ثم إحداث وعى في الأمة يغير العرف العام ويجعلها تحمل مسئولية أو أمانة تطبيق شرع الله بنفسها.

5- استعجال النتائج أو قطف الثمار قبل أوانها ن وقد قيل : من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه .

**رابعاً : آثار ضيق الأفق أو قصر النظر :**

ولضيق الأفق أو قصر النظر آثار سيئة وعواقب وخيمة على العاملين ، وعلى العمل الإسلامي وهاك طرفاً منها :

**آثار ضيق الأفق على العاملين :**

فمن آثار ضيق الأفق أو قصر النظر على العاملين :

**1- تبديد الجهود وإهدار الطاقات**

فالأثر الأول : تبديد الجهود وإهدار الطاقات في أمور نافعة مفيدة لكنها ثانوية بل هامشية ، وإذا بددت الجهود ، وأهدرت الطاقات في مثل هذه الأمور ، فإن المسلم العامل سيعجز بعد ذلك ويفقد القدرة على مواجهة المهام الجسام ، و التبعات الضخمة .

ولعل هذا الأثر هو المفهوم من توجيه القرآن للمسلمين أول مرة : أن يقيموا الإسلام في أنفسهم وأن يحسنوا الترابط فيما بينهم { قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى } ، { قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها } ، دون أن يستجيبوا لأي إثارة أو يردوا على أي أذى أو اضطهاد يوجه إليهم من عدوهم :

{ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ... } ، { ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين }.

كل هذا من أجل أن تنمو طاقاتهم ، وتتضاعف جهودهم بل ويحتفظ بهذه الجهود وتلك الطاقات لتوجه نحو النافع والمفيد في الوقت المناسب وفي اللحظة المناسبة ، وقد كان ... فإن أولئك الذين جاهدوا أنفسهم وترابطوا فيما بينهم ، وأوذوا فصبروا طوال المرحلة في بدر ، رغم عدم التكافؤ بين الفريقين ، لا في العدد ولا في العدة ، وسجلت لهم صور تدل على مدى امتلائهم وشحنهم من داخلهم ضد أعداء الله وأعدائهم ، ولعل من أبرز هذه الصور ما صنعه بلال بن رباح مع أمية بن خلف ، إذ يقول عبد الرحمن بن عوف :

" كاتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتى ( خاصتى ) بمكة ، وأحفظه في صاغيته بالمدينة ، فلما ذكرت الرحمن ، قال: لا أعرف الرحمن كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية ، فكاتبته : عبد عمرو ، فلما كان في يوم بدر ، خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس ، فأبصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار فقال : أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا أمية ، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا ، فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم ، فقتلوه ، ثم أتوا حتى يتبعونا ، وكان رجلاً ثقيلاً ، فلما أدركونا قلت له ابرك فبرك فألقيت عليه نفسي لأمنعه فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه ، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه.

**2- اليأس و القنوط :**

والأثر الثاني هو اليأس و القنوط ، وذلك أن ضيق الأفق أو قصر النظر سيواجه في طريقه كثيراً من العقبات و الصعاب ، ولن يستطيع - لضيق أفقه أو لقصر نظره - استيعاب هذه العقبات وتلك الصعاب ، ومحاولة التغلب عليها وتكون النتيجة : اليأس و القنوط ، بله القعود عن أداء الدور والقيام بالواجب ، ولعمري ذلك هو أهم ما يسعى إليه أعداء الله ، ليخلوا لهم الجو ويفسح أمامهم المجال :" خلا لك الجو فبيضي واصفري ".

**3- قلة بل تلاشى كسب الأنصار و المؤيدين :**

والأثر الثالث إنما هو قلة بل تلاشى كسب الأنصار و المؤيدين ، ذلك أن ضيق الأفق أو قصر النظر نادراً ما يصادفه التوفيق و النجاح ، ومن يفقد التوفيق و النجاح لا يبقى لديه ما يغرى به الناس ، حتى يكسب منهم نصيراً ، أو على الأقل مؤيداً ، و الواقع يؤيد ذلك ، فكم من ضيق أفق أو قصير نظر يعيش ويموت وليس من حوله إلا أفراداً يعدون على الأصابع ، فضلاً عن نفور كثير من الناس منه ، وإعراضهم عنه .

**4- الحرمان من التوفيق الإلهي :**

والأثر الأخير هو الحرمان من التوفيق الإلهي ، ذلك أن ضيق الأفق أو قصير النظر ، يريد من كل الناس السير وفق تصوره الضيق ورؤيته المحدودة ، ولن يستجيب له الناس ، وحينئذٍ يسلقهم بألسنة حداد ، ويجعل من لحومهم غذاءً شهياً ، وأنى لمن يلغ في أعراض الناس ، ويعيش على لحومهم أن يمنحه ربه توفيقاً أو تأييداً ؟

**آثار ضيق الأفق على العمل الإسلامي :**

ومن آثار ضيق الأفق أو قصر النظر على العمل الإسلامي :

**1- التشويه :**

ذلك أن ضيق الأفق وقصر النظر سيوجه العمل الإسلامي إلى علاج المشكلات عن طريق المسكنات دون النظر في الأسباب وبترها من جذورها على النحو الذي ذكرنا آنفا ومثل هذه الأسلوب في العمل غير مجد فضلا عما سيصاحبه من طول الطريق وكثرة التكاليف وحينئذ يجدها أعداء الله فرصه للتشويه وتقديم الإسلام وصورة العمل له على أنهما غير قادرين على مواجهة مشكلات العصر ووضع الحلول المناسبة لها .

**(2) المصادرة :**

وذلك أن العمل الإسلامي يواجه كثيرا من العقبات والصعاب التي يضعها أعداء الله في طريقه وضيق الأفق أو قصر النظر سيؤدى إلى الصدام بهذه العقبات وتلك الصعاب وعدم القدرة على استيعابها أو تحايل عليها وحينئذ تكون المصادرة وعدم السماح بالاستمرار.

**(3) الضرب أو على الأقل الإجهاض :**

وذلك أن ضيق الأفق أو قصر النظر سيحرم العمل الإسلامي من الأنصار المؤيدين بل من التوفيق والعون الإلهي ويوم يحرم العمل الإسلامي من ذلك فإنه يسهل على أعداء الله ضربه أو على الأقل إجهاضه والرجوع به إلى الوراء عشرات السنين .

**خامسا : علاج ضيق الأفق أو قصر النظر :**

هذا ويمكن علاج ضيف الأفق أو قصر النظر بل والتحصين ضده باتباع الأساليب التالية :

(1) التعويد على حمل المسؤلية في الصغر ومنذ نعومة الأظفار فإن ذلك يكسب الإنسان كثيرا من الخبرات والتجارب وينمى لديه مواهبه أو ذكاءه الفطري فإذا شب بعد ذلك كان واسع التصور بعيد الرؤية .

ولنا في أنبياء الله ورسله لا سيما محمد صلى الله عليه وسلم الأسوة والقدوة إذ حملوا بأنفسهم مسئولية الحياة في الصغر ومنذ نعومة أظفارهم الأمر الذي ساعد على تنمية مواهبهم وقدرتهم على سياسة النفوس وإصلاحها بعد الرسالة وقد لفت النبي صلى الله عليه وسلم النظر إلى هذا الأسلوب التربوي حين قال : ( ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم ) فقال أصحابه : وأنت فقال ( نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة ).

(2) اقتلاع النفس من بين ذوى الأفق الضيق والنظرة المحدودة والارتماء في أحضان أصحاب الخيرات والتجارب الذين اتسموا بسمة التصور الواسع والرؤية البعيدة وملازمة هؤلاء دوما مع التواضع وخفض الجناح لهم فإن ذلك يؤدى بمرور الزمن إلى تنمية المواهب الفطرية وتعلم الحكمة التي يعد اتساع الأفق أو يعد النظر أمارة من أماراتها وسمة بارزة من سماتها .

(3) الفهم الدقيق لرسالة الإنسان ودوره في الأرض وسبيل القيام بهذا الدور وهذه الرسالة .

(4) الفهم الدقيق لحقيقة ومضمون الإسلام وسبيل العمل أو التمكين له في الأرض فإن هذا الفهم كثيرا ما يحمل على جمع الهمة من أجل التطبيق والتنفيذ الأمر الذي يساعد على سعة الأفق وبعد النظر.

(5) الإلمام التام بواقع الأعداء وسبيلهم أو مناهجهم في العمل فإن هذا الإلمام كثيرا ما يحمل صاحبه على قدح زناد الفكر والاحتيال من أجل إبطال هذه السبيل أو هذا النهج وذلك هو ما نعنيه بسعة الأفق وبعد النظر .

(6) معايشة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سيرته فإنها حافلة بالكثير من المواقف التي تساعد على سعة الأفق وبعد النظر وحسبنا من هذه المواقف ما أثر عنه صلى الله عليه وسلم من أنه لم يحطم الأصنام الموجودة في جوف الكعبة وعلى سطحها إلا في العام الثامن من الهجرة يوم فتح مكة لأنه كان يرى أن البدء بتحطيم هذه الأصنام قبل تحطيم الأصنام الموجودة بداخل النفوس تلك التي توجه وتدعو إلى الشرك والإثم والرذيلة سيساعد على إعادة بناء هذه الأصنام من الذهب بدلا من الحجارة بل سيضاعف من عددها لذا تركها وعمل إلى إصلاح النفوس من داخلها تطبيقا لقوله تعالى { إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم} حتى إذا صلحت هذه النفوس واستقامت على منهج الله وترابطت فيما بينها قادها صلى الله عليه وسلم وفتح بها مكة وحطم بها هذه الأصنام وكذلك ما أثر عنه صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية إذ قبل هذا الصلح رغم القسوة التي انطوت عليها شروطه حتى ضايق ذلك كثيرا من الصحابة وعلى رأسهم عمر رضى الله تعالى عنه لأنه صلى الله عليه وسلم كان ينظر بعين النبوة وكان يرى أن هذه الشروط وإن بدا أنها قاسية فإنها ستسفر عن خير كثير للمسلمين وذلك هو ما أكده الواقع فقد زاد عدد المسلمين بعد الحديبية إلى أضعاف أضعاف ما كانوا قبله حسبنا أن عدد المقاتلين في غزوة الخندق وهي التي كانت في السنة الخامسة من الهجرة كان ثلاثة آلاف وإذا به يصل يوم فتح مكة إلى عشرة آلاف وما حدث هذا بسبب التزاور والاختلاط بين الفريقين واطلاع المشركين على أخلاق المسلمين وأحوالهم نتيجة الهدنة ووضع الحرب بين الفريقين لعشر سنوات وكذلك جاء المشركون بعد فترة من إبرام هذا الصلح يطالبون بإلغاء شرط ( ومن جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مسلما رده إلى المشركين ) بعد ما أذاقهم أبو بصير ورفاقه الأمرين وبعد ما قطعوا طريق تجارتهم حتى اضطروهم إلى أكل الجيف والميتة وأوراق الشجر من شدة الجوع .

هذه المواقف وغيرها تعلم كيف تكون سعة الأفق وبعد النظر.

(7) حسن الصلة بالله عز وجل من ترك للمعاصي والسيئات صغيرها وكبيرها ومن المواظبة لي عمل اليوم والليلة ومن التفاني في فعل الخيرات فإن ذلك يورث الحكمة التي عنوانها : سعة الأفق وبعد النظر .

(8) دوام الاطلاع على خبرات وتجارب الماضين فإنها مشحونة بالكثير والكثير الذي يكسب الخبرات والتجارب وينمى المواهب والقدرات وحسبنا في هذا المقام ما أثر عن الحافظ أبى الفرج المعروف بابن الجوزى ت 597 إذ سأله رافضي في مجلس وعظ عام قائلا له :(يا سيدي : نريد كلمة ننقلها عنك أيهما أفضل أبو بكر أو على ؟ وأدرك أبو فرج خبث السؤال وخطورته فرد على الفور : (أفضلهما من كانت بنته تحته ).

وهذه العبارة محتملة للوجهين لذا فهي ترضى الفريقين : الرافضة وأهل السنة وما كان هذا الجواب إلا لسعة الأفق وبعد النظر .

وحسبنا أيضا ما قاله الشيخ حسن البنا ردا على مؤلف كتاب ( أحداث صنعت التاريخ ) وقد حمل إليه مقالا كتبه يبطل فيه المقال الذي نشره سيد قطب في جريدة الأهرام في أواخر الثلاثينات حيث دعا سيد قطب في هذا المقال دعوة صريحة إلى العرى التام وأن يعيش الناس عرايا كما ولدتهم أمهاتهم قرأ الشيخ حسن البنا الرد ثم أطرق طويلا على غير عادته والتفت إلى كاتب مقال الرد واسمه (محمود ) وقال له : يا محمود إن المقال متين الأسلوب قوى الحجة جدير أن ينشر وقد سبق أن أجزت لك بعض ما نشرته في بعض الصحف اليومية ولكن في هذه المرة مرت بخاطري عدة خواطر أحب أن أعرضها عليك فقال:

**أولاً :** لاشك أن فكرة المقال مثيرة تجرح قلب المؤمن .

**ثانيا :**كاتب هذا المقال شاب متأثر بالبيئة التي تعرفها ونعرفها وهي التي تغذيه بمثل هذه الأفكار .

**ثالثا :** إن هدف هذا الشاب من كتابة هذا المقال ليس مجرد التغيير عما يؤمن به وإنما هو محاولة جذب الأنظار إليه على أساس عرفهم من أن الغاية تبرر الوسيلة .

**رابعا :** إن قراء الأهرام عدد محدود بالنسبة لسكان هذه البلاد يعنى بها مصر وليس كل قراء الأهرام قد قرأوا هذا المقال

فأكثر قراء الأهرام لا يقرأون فيه إلا الأخبار وأكثر الذين قرءوا المقال لم يستوعبوا فكرته لأنهم اعتادوا قراءة المقالات غير الرئيسة قراءة عابرة .

**خامسا :** إذا نشرنا ردا على هذا المقال في الأهرام كانت لذلك النتائج الآتية :

(أ) سيثير نشر الرد اهتمام الذين لم يقرءوا المقال الأصلي إلى البحث عنه وقراءته كما سيدفع الذين قرأوه قراءة عابرة أن يقرأوه مرة أخرى قراءة متأنية وسيبرز بذلك فكرة المقال في مختلف المجتمعات وتكون موضوع مناقشة واهتمام ونكون بذلك قد عملنا من حيث لا نقصد على تحقيق مأرب صاحب المقال من جذب الأنظار إليه وجعل اسمه على الألسنة .

(ب) نكون من غير قصد قد تسببنا في لفت الأنظار إلى لون من الرذائل ربما علقت به بعض النفوس الضعيفة ولو لم نرد عليه لمرت الدعوة إلى هذه الرذائل في غفلة من الناس غير معارة أي اهتمام ولطمرت في طيات النسيان .

(ج) الرد نوع من التحدي يخلف في نفس المرء المردود عليه نوعا من العناد وهذا العناد يجعله يتعصب لرأيه مهما اقتنع بخطئه ونكون بذلك قد قطعنا عليه خط الرجعة وفي هذا خسارة نحن في غنى عنها .

وهذا الكاتب شاب وترك الفرصة أمامه للرجوع إلى الحق خير من إحراجه وما يدريك لعل هذا الشاب يفيق من غفلته ويفئ إلى الصواب ويكون ممن تنتفع الدعوة بجهوده في يوم من الأيام ثم قال : ما رأيك في هذه الخواطر ؟ قلت - أي كاتب الرد - إنها مقنعة تمام الإقناع ....ومزقت الرد بين يديه.

وتمر الأيام ويصير (سيد قطب ) رحمة الله علما من أعلام الدعوة الإسلامية بل شهيدا من شهدائها .

ولعل السر في ذلك هو توفيق الله أولا ثم هذه البصيرة النافذة والرأي الملهم اللذين كان يتمتع بهما الشيخ حسن البنا رحمة الله تعالى .

وحسبنا كذلك ما قاله داعية ملهم لشابين من شباب هذا العصر الملتزم بالإسلام عن ضيق أفق وقصر النظر وقد رآهما يختلفان على مقدار الممسوح من الرأس أهو شعرات أم الربع أم النصف أم الرأس كله ؟ووصل الاختلاف إلى أحد التراشق بالكلام بل إلى حد الضرب قال لهما : احميا هذه الرأس من القطع أولا فإن هناك مؤامرة من قلب أعداء الله على قطعهما ثم بعد ذلك اختلفا في مقدار الممسوح منها .

(9) النظر في عواقب قصر النظر أو ضيق الأفق سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي إلى النحو الذي شرحنا آنفا فلعل ذلك يشحذ الهمم أو يحرك العزائم فتسعى إلى السعة الأفق ونفاذ البصيرة .

**الآفة الثانية عشرة**

**ضعف أو تلاشى الالتزام**

الآفة الثانية عشرة التي يبتلى بها نفر من العاملين وتكون ذا أثر خطير عليهم وعلى العمل الإسلامي إنما هي :ضعف أو تلاشى الالتزام ، وحتى نسهم في اقتلاع هذه الآفة من النفوس التي ابتلت بها وحتى نحمى النفوس الأخرى التي عافاها الله عز وجل منها فإنه لا بد من تقديم تصور واضح أو قريب من الواضح عنها وذلك على النحو التالي :

**أولاً: مفهوم ضعف أو تلاشى الالتزام :**

ضعف أو تلاشى الالتزام لغة : يطلق الالتزام في اللغة على عدة معان منها:

(أ) الاستمساك أو الاعتناق والالتصاق بالشيء تقول: التزم الشيء وبالشيء تعنى : استمساك به أو اعتنقه والتصق به وفي لسان العرب :( والالتزام : الاعتناق) ومنه في الحديث الشريف : أنه صلى الله عليه وسلم مازال يهتف بربه يوم بدر ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كذاك أو كفاك مناشدتك ربك .....)

ومنه أيضا قول عبد الله بن مغفل في الحديث :( أصبت جرابا من شحم يوم خيبر قال : فالتزمه فقلت : لا أعطى اليوم أحدا من هذا شيئا قال : فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مبتسما ).

(ب) الفرض أو الإيجاب على النفس تقول التزم الشيء أو الأمر : أوجبه على نفسه والتزم فلان للدولة : تعهد أن يؤدى قدرا من المال لقاء استغلاله أرضا من أملاكها فهو ملتزم.

وعليه فإن ضعف أو تلاشى الالتزام في اللغة إنما هو التقصير في الاستمساك بالشيء أو اعتناقه والالتصاق به أو عدم الاستمساك بالشيء والالتصاق به أو اعتناق له بالمرة وهو أيضا التقصير أو عدم الوفاء بالمرة بما يوجبه أو يفرضه المرء على نفسه .

اصطلاحاً : أما ضعف وتلاشى الالتزام في اصطلاح العلماء و الدعاة فهو التقصير أو عدم الوفاء بما يتعهد به المسلم أو يفرضه ويوجبه على نفسه من الصالحات ، حين يرضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ، بل حين يرضى أن يكون في صفوف الدعاة ، وضمن قافلة العاملين من أجل التمكين لمنهج الله في الأرض .

**ثانياً : مظاهر الضعف أو تلاشى الالتزام :**

ولضعف أو تلاشى الالتزام مظاهر تدل عليه ، وسمات يعرف بها نذكر منها :

1- عدم الدقة أو عدم الانضباط في الحديث و الموعد .

2- إصدار الأحكام دون تثبت أو تبين .

3- الفجور في الخصومة أو عدم رعاية أدب الخلاف .

4- الإصغاء إلى الإشاعات والأراجيف .

5- نبذ الطاعة إلا فيما يوافق الهوى النفس .

6- عدم النهوض بالبيت من الأهل و الولد إلى المستوى المنشود .

7- عدم رعاية الآداب أو السلوكيات الاجتماعية .

8- عدم التضحية سواء بالنفس أو بالمال أو بهما معاً .

9- عدم الدقة أو عدم الانضباط في الحركة .

1.- إهمال النفس من التنقية و التزكية .

11- استعجال النصر دون تأن أو ترو أو تأهب .

12- الاجتهاد فيما لا مجال فيه للاجتهاد .

13- عدم الثبات أمام مطامع الحياة الدنيا ، وعند المحن و الشدائد .

14- إهدار حقوق الأخوة .

15- التدخل فيما لا يعنى .

وهلم جراً .

**ثالثاً : أسباب ضعف أو تلاشى الالتزام :**

وهناك أسباب وبواعث تؤدى إلى ضعف أو تلاشى الالتزام نذكر منها :

**1- عدم الفهم أو عدم الإدراك لأبعاد ومعالم الالتزام :**

ذلك أن عدم الفهم أو عدم الإدراك لأبعاد ومعالم أي أمر من الأمور يؤدى إلى رفضه ، بل ومعاداته كما قال الله عز وجل { بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله } .

وعليه فإن عدم الفهم ، أو الفهم مع عدم الإدراك القلبي لأبعاد ومعالم الالتزام سينتهي حتماً بصاحبه إلى التقصير وعدم الوفاء بما يقتضيه الدخول في صفوف المسلمين ، بل في صفوف الدعاة و العاملين.

ولعل ذلك هو السر في افتتاح آى التنزيل بالدعوة إلى الفهم ، و الفهم الصحيح الواعي المستنير { اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علَّم بالقلم ، علَّم الإنسان ما لم يعلم } .

**2- الوسط الضعيف الالتزام أو غير الملتزم :**

وقد تلقى الأقدار بالمسلم في وسط ضعيف الالتزام أو غير ملتزم بالمرة ، فيأخذ في الإقتداء و التأسي ، أو على الأقل في المحاكاة والمشابهة، لاسيما إذا كان هذا الوسط ممن يقتدي أو يتأسى به وتكون النتيجة ضعف أو تلاشى الالتزام .

ولعل هذا السبب يكشف لنا عن السر في تأكيد الإسلام على الأسوة و القدوة الطيبة ، وذمِّه للأسوة و القدوة السيئة ، إذ يقول سبحانه { يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيراً ومن يقنت منكن لله ورسوله ، وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً } .

فيضاعف سبحانه لهن العقاب على السيئة ، و الثواب على الحسنة بسبب جو الطهر و العفاف الذي يعشن فيه و الذي يساعد على الطاعة و التقوى ، وبسبب أن غيرهن يقتدي بهن فيكون عليهن عقاب معصيتهن ، وعقاب معصية من اقتدى بهن ، وكذلك يكون لهن ثواب طاعتهم وثواب طاعة من اقتدى بهن جزاء وفاقاً ، لاسيما وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم :" من دعا إلى هدى كان له من الجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً "

و الدعوة كما تكون بالقول تكن بالسلوك { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة ... }

وإذ جاء عن عمر - رضى الله تعالى عنه - أنه رأي على طلحة بن عبيد الله ثوباً مصبوغاً وهو محرم ، فقال عمر : ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنما هو مدر ، فقال عمر : إنكم أيها الرهط أئمة يقتدي بكم الناس ، فلو أن رجلاً جاهلاً رأي هذا الثوب لقال : إن طلحة بن عبيد الله كان يلبس الثياب المصبغة في الإحرام ، فلا تلبسوا أيها الرهط شيئاً من هذه الثياب المصبغة.

**3- ضعف الإيمان :**

وقد يكون ضعف الإيمان ونزول مستواه في نفس المسلم ، هو السبب في ضعف أو تلاشى الالتزام ذلك أن الإيمان هو مصدر الطاقات المتجددة بل هو الحارس و الحامي لصاحبه من أن يهمل أو يقصر ، أو يصر على الأخطاء ، إذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال له : إنك تواصل يا رسول الله : " وأيكم مثلى ؟ إني أبيت يطعمني ربى ويسقيني " فقد بين جمهور علماء المسلمين المراد من هذا الكلام قائلين :

" قوله يطعمني ربى ويسقيني مجاز عن لازم الطعام و الشراب ، وهو القوة ، فكأنه قال : يعطيني قوة الآكل الشارب ، ويفيض علىّ ما يسد مسد الطعام و الشراب ، ويقوى علىّ أنواع الطاعة من غير ضعف في القوة ولا كلال في الإحساس ... " وقال ابن حجر :" ويحتمل أن يكون المراد بقوله :" يطعمني ربى ويسقيني " أي يشغلني بالتفكير في عظمته و التملي بمشاهدته ، و التغذى بمعارفه وقرة العين بمحبته ، والاستغراق في مناجاته والإقبال عليه عن الطعام و الشراب "

وقال ابن القيم :" ... إن المراد به ما يغذيه الله به من المعارف وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه وتنعمه بحبه و الشوق إليه وتوابع ذلك من الأحوال التي هي غذاء القلوب ، ونعيم الأرواح ، وقرة العين ، وبهجة النفوس ، و الروح و القلب بما هو أعظم غذاء وأجوده وأنفعه ، وقد يقوى هذا الغذاء حتى يغنى عن غذاء الأجسام مدة الزمان ، كما قيل :

لها أحاديث في ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد

لها بوجهك نور يستضاء به ومن حديثك في أعقابها حاد

إذا شكت من كلال السير أوعدها روح القدوم فتحيا عند ميعاد

ومن له أدنى تجربة وشوق يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب و الروح عن كثير من الغذاء الحيواني ... ، وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم :" لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن " يعنى : لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان.

وعليه ... فإن المسلم إذا ترك هذا الإيمان بدون تجديد وتعهد فإن جذوته تخبو أو تضعف في النفس وتكون العاقبة ضعف أو تلاشى هذا الالتزام .

ولعل هذا السبب يضع أيدينا على الحكمة من وراء دعوة الإسلام إلى ضرورة تعهد الإيمان في القلب ،وعدم إهماله ولو لحظة من نهار ، إذ يقول صلى الله عليه وسلم :" إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب ، فسلوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم " ، :" جددوا إيمانكم " قيل يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا ؟ قال :" أكثروا من قول لا إله إلا الله " .

**4- إقبال الدنيا و التعلق بها :**

وقد يكون إقبال الدنيا ببريقها وزخارفها من الأموال والأولاد و الشهادات و الوظائف و المركز و الجاه وتعلق القلب بها هي السبب في ضعف أو تلاشى الالتزام ذلك أنه { ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه } وعليه فإذا أقبلت الدنيا ، وكان الاشتغال و التعلق بها لم يبق هناك وقت ولا طاعة ولا فكر يساعد على الالتزام والالتزام الدقيق ، وحينئذٍ يكون ضعف أو تلاشى الالتزام .

ولعل هذا هو سر تحذير الإسلام الشديد من إقبال الدنيا و التعلق بها ، إذ يقول الحق - سبحانه وتعالى - { يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور } ، { يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور } ، وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم :" .... فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم " ، " وانظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم " ، وفي رواية " إذا نظر أحدكم إلى من فصل الله عليه في المال و الخلق ، فلينظر إلى من هو أسفل منه " ، " إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء"، " تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ... "

**5- المحن و الشدائد :**

وقد تكون المحن و الشدائد في داخل الصف أو من خارجه هي السبب في ضعف أو تلاشى الالتزام ، ذلك أن المحنة أو الشدة عندما تنزل بالإنسان فإنها تزلزل كيانه ، وتكاد تعصف به إلا من رحم الله ، لاسيما إذا كان نزولها خالياً من الترقب والاستعداد ، ومعرفة طريق الخلاص ، وسبيل المواجهة ، وحينئذٍ يشغل بها عن دوره الحقيقي ورسالته السامية ويكون ضعف أو تلاشى الالتزام .

ولعل هذا هو سر حديث الإسلام المتكرر عن المحن و الشدائد وكيفية التعامل معها ، غذ يقول الحق - تبارك وتعالى - { ولنبلونكم بشيء من الخوف و الجوع ونقص من الأموال والأنفس و الثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون } ، { إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ، وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط } ، { لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور } ، { الذين آمنوا وهاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات ترى من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب } .

وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم :( إن الله ليجرب عليكم بالبلاء ، وهو أعلم به ، كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز ، فذلك الذي نجاه الله من السيئات ، ومنهم من يخرج كالذهب الأسود فذلك الذي افتتن ) ، ( إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض ) ، ( ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله من خطاياه ) .

**6- كثرة الأعباء مع طول الطريق :**

وقد تكون كثرة الأعباء مع طول ومشاق الطريق هي السبب في ضعف أو تلاشى الالتزام ، ذلك أن الإنسان طاقة ، وإذا حمل عبئاً فوق طاقته ، فإنه ستأتي عليه لحظة يسقط بعضه أو كله عن كاهله ، لاسيما إذا كانت الطريق طويلة وبها كثير من العقبات والمعوقات ، ولعل ذل ك هو سر دعوة الإسلام إلى الأخوة أو الجماعة إذ هي التي تشارك في حمل الأعباء وتجاوز طول ومشاق الطريق .

يقول الحق سبحانه وتعالى { إنما المؤمنون أخوة } ، { رحماء بينهم }، { أذلة على المؤمنين } ، { واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزرى وأشركه في أمري } ، { وتعاونوا على البر و التقوى } ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :( المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ) ، ( مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى ) .

**7- الأبوان :**

وقد يكون الأبوان هما السبب في ضعف أو تلاشى الالتزام ، ذلك أن بعض الآباء قد تحمله عاطفة الحب لولده على الحيلولة بين الولد والالتزام لاسيما في هذا العصر الذي صار فيه الالتزام بالإسلام بل والالتزام بالدعاة و العاملين لدين الله تهمة ، وتهمة خطيرة تقود صاحبها إلى السجون و المعتقلات ، أو النفي و التشريد في الأرض ، بل الموت أو القتل ، ناسين أو متناسين أن الآجال بيد الله لا بيد البشر { وما كان لنفس أن تمت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً } وأن الله وحده هو الذي يعلم نهاية هذه الآجال ، { وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير } وأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر :

{ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها } ، { إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون } ، { قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم } ، { أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة } ، بل ناسين أو متناسين أن موسى - عليه السلام - الذي ألقي في اليم وهو صغير لا حول له ولا قوة نجاه الله ، وكان هلاك فرعون طاغية مصر على يديه { وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً } ، وأن يوسف - عليه السلام - الذي ألقى به من قبل في الجب أنجاه الله ومكن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء وقال لإخوته في النهاية { أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين } .

**8- الاستجابة للوساوس والشبهات الشيطانية :**

وقد تكون الاستجابة للوساوس و الشبهات الشيطانية هي السبب في ضعف أو تلاشى الالتزام ، ذلك أن الشيطان قاعد للإنسان لاسيما المسلم بالمرصاد ، يوسوس بإلقاء الشبهات والأباطيل كي يصرفه عن

طريق الله أو على الأقل يجعل سيره في هذه الطريق محفوفاً بالتضييع و التفريط ، وحين يستجيب المسلم إلى هذه الوساوس وتلك الشبهات يبتلى بضعف أو تلاشى الالتزام .

ولعل هذا هو السر في دوام تحذير الإسلام لنا من الشيطان الرجيم ووسوسته فلا نسمع لها ولا نستجيب ، يقول الحق - سبحانه وتعالى - { يا بنى آدم لا يفتتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما }، { يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين } ، { قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة و الناس } ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :" إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام فقال : تسلم وتذر دينك ، ودين آبائك ، فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال : تهاجر وتدع أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجرين كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال : تجاهد فهو جهد النفس و المال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك كان حقاً على الله - عز وجل - أن يدخله الجنة ، ومن قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، وإن غرق كان حقاً على الله - عز وجل - أن يدخله الجنة ، أو وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ) .

**9- عدم المتابعة من الآخرين :**

وقد يكون السبب في ضعف أو تلاشى الالتزام إنما هو عدم المتابعة من الآخرين ، ذلك أن الإنسان إذا شعر أن هناك إهمالاً أو عدم متابعة من الآخرين ، فإن همته تفتر ، وعزيمته تضعف ، أما إذا كانت المتابعة المتمثلة في المساءلة و المجازاة ، فإن الهمة تعلو والإرادة تقوى ،و العزيمة تشتد ، ولعل هذا هو سر متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشديدة لأصحابه في كل تصرفاتهم وسلوكياتهم ، وحسبنا هنا هذه الصورة من المتابعة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :( من اصبح منكم اليوم صائماً؟ قال : أبو بكر - رضى الله عنه - أنا ، قال : فمن تبع اليوم منكم جنازة ؟ قال أبو بكر - رضى الله عنه - أنا ، قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ قال أبو بكر رضى الله عنه أنا ، قال : فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبو بكر - رضى الله عنه - أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة ".

**10- الغفلة عن عواقب ضعف أو تلاشى الالتزام :**

وأخيراً قد يكون الغفلة عن عواقب ضعف أو تلاشى الالتزام هي السبب في هذا الضعف أو ذلك التلاشي :

ذلك أن من غفل عن العواقب الخطيرة لأمر ما ، تعاطى هذا الأمر مع تقصير فيه ، أو أهمله وألغاه من حسابه بالمرة ، ولا يفيق ولا ينتبه إلا حين تزول العواقب فيندم حيث لا ينفع الندم ويتمنى حين لا تفيد الأماني .

**رابعاً : آثار ضعف أو تلاشى الالتزام :**

ولضعف أو تلاشى الالتزام عواقب وخيمة ، وآثار سيئة على العاملين ، وعلى العمل الإسلامي ، ودونما طرفاً من هذه العواقب وتلك

الآثار :

**آثار ضعف أو تلاشى الالتزام على العاملين :**

لعل من أبرز آثار ضعف أو تلاشى الالتزام على العاملين :

**1- الحيلولة دون العبودية الحقة :**

ذلك أن من كان ضعيف أو عديم الالتزام فإنه يفسح المجال أمام الشر ليستشري و الباطل لينتشر ، حتى يصل إليه وإلى ذويه ، وحينئذٍ يحال بينه وبين أبسط قواعد الالتزام الإسلامي كالشعائر التعبدية مثلاً ، وحال المسلمين في الجمهوريات الواقعة الآن تحت نير الشيوعية الحمراء في الاتحاد السوفيتي خير ما يوضح هذا الأمر ،فقد أتى على هؤلاء زمان كان الواحد فيه يكتفي بالالتزام بجزء من دين الله ، وهو ما يخصه في نفسه ، تاركاً ومهملاً الباقي ، قائلاً : علىَّ نفسي في الوقت الذي كان فيه الباطل يواصل الليل بالنهار في تنفيذ خطته حتى أمسك بخناق هؤلاء ، وحينئذٍ حال بينهم وبين أسمائهم الإسلامية ، بل بينهم وبين الأعراف و التقاليد الإسلامية فيما عرف بشئون الأسرة من :الزواج و الطلاق و الحضانة و النفقة ونحوها ، وابعد من ذلك سعى إلى تحويل المساجد إلى دور للخيالة أو اصطبلات خيول ، وحظر على أي منهم اقتناء نسخة بل ورقة من المصحف الذي يضم بين طياته القرآن الكريم ، وكان السبب المباشر إنما هو ضعف أو تلاشى الالتزام .

**2- فقد ثقة الناس :**

وهذا أمر بدهي ، فإن الناس لا يتأثرون بالكلمات قدر ما يتأثرون بالسلوكيات ، حتى قيل :( عمل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل ) ، وعليه فإن من كان ضعيفاً أو عديم الالتزام يسحب الناس ثقتهم منه ، وحينئذٍ يخسر كثيراً وتكون هذه الخسارة في الدنيا قبل الآخرة ، وكم قرأنا وسمعنا وشاهدنا أقواماً استهانوا بأمر الالتزام ، فعاقبهم الله بضياع ثقة الناس وجر ذلك عليهم خسراناً مبيناً حتى في وظائفهم ودنياهم ومصالحهم الشخصية.

**3- القلق والاضطراب النفسي :**

ذلك أن ضعيف أو عديم الالتزام إنما هو عاص لله ، وللمعصية آثار ضارة أشدها القلق والاضطراب النفسي ، ولعل ذلك هو المفهوم من قوله تعالى :

{ ومن يؤمن بالله يهد قلبه } ، { الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب } { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون } بل هو المصرح به في قوله تعالى :

{ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ... } ، { ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعدا } .

**4- الحرمان من الأجر و المثوبة بل وتحمل الأوزار :**

ذلك أن ضعيف أو عديم الالتزام ضيع على نفسه بذلك الأجر وحرمها من المثوبة بل وعرَّضها لتحمل أوزار الذين اقتدوا به في ضعفه أو عدم التزامه ففتنوا وضاعوا ، وصدق الله : { ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون }.

**على العمل الإسلامي :**

وأما آثار ضعف أو تلاشى الالتزام على العمل الإسلامي فكثيرة نذكر منها :

1- فتح المجال لمحاولة اختراق هذا العمل لضربه أو على الأقل تطويقه وإجهاضه ، فلا يؤتى ثماره إلا بعد تكاليف كثيرة وزمن طويل .

2- قلة أو انعدام كسب الأنصار و المؤيدين لأن كسب هؤلاء إنما يكون بكسب ثقتهم أولاً ، وضعف أو تلاشى الالتزام يضيع هذه الثقة وبالتالي يضيع منها المؤيد و النصير .

3- منح أعداء الله فرصة التحرش بالعمل الإسلامي لتشويه صورته في عيون العامة ، والدهماء من الناس تمهيداً لضربه و القضاء عليه أو تعطيله على الأقل .

4- الحرمان من العون و المدد الرباني ، ذلك أن من كان في التزامه ثلمة أو ضعف ، فهو مقصر في نصرة دين الله ، وأنى لمن أعرض عن نصرة دين الله أن يمنحه ربه عوناً أو مدداً ؟ وصدق الله { يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم } .

**خامساً : علاج ضعف أو تلاشى الالتزام :**

وما دمنا قد وقفنا على الأسباب أو البواعث التي تؤدى إلى ضعف أو تلاشى الالتزام فإن طريق العلاج تبدأ بتطبيق ما يلي :

1- الإدراك الذهني بل و القلبي لأبعاد ومعالم الالتزام ، بحيث يخالط هذا الإدراك الأحاسيس و المشاعر بل و الخواطر ويصير سجية للنفس تفرح وتستريح حين تتمثله في داخلها وفي واقع الحياة ، وتحزن وتضيق إذا هي قصرت في هذا التمثيل .

2- التأكيد على دقة الالتزام من ذوى الأسوة و القدوة حتى يكون ذلك دافعاً لمن دونهم على الإقتداء و التأسي ، أو على الأقل المحاكاة و المشابهة .

3- الحرص على تجديد الإيمان وتقويته في النفس ، فإن ذلك يولد طاقات وإمكانات تعين على الالتزام وأبعد من ذلك يكون الحارس والأمين لئلا يكون تقصير أو إهمال .

4-الفهم الدقيق الواعي لحقيقة الدنيا والآخرة وعلاقة كل منهما بالآخر وسبل تحقيق التوازن بينهما

{ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا } .

5- إدراك أن طريق الهجرة و الفرار إلى الله طريق كلها أشواك وصعاب ، ولكنها تفضي إلى النعيم المقيم في جوار رب العاملين ، وأنه لابد من حمل النفس على أخذ الأهبة والاستعداد { واستعينوا بالصبر و الصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين } .

6- حمل ما بمقدور النفس القيام به حتى لا تضعف أو تنقطع عن ركب العاملين المجاهدين { لا يكلف الله نفساً إلا وسعها } ، { لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها } .

7- التحذير المستمر من كيد الشيطان ووسوسته مع بيان سبيل النجاة من هذه المكايد وتلك الوساوس .

8- الوقوف على سير وأخبار من عرفوا بدقة وكمال الالتزام والتاريخ الإسلامي طافح في ذلك بالنافع المفيد :

حسبنا ما جاء عن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال : لق أتينا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر (أي برد ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم -:( ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة )؟ فسكتنا فلم يحبه أحد منا ثم قال : (ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ) فسكتنا فلم يحبه أحد منا أحد فقال : ( ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ) فسكتنا فلم يحبه أحد منا فقال : ( قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم)فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي أن أقوم فقال : ( أذهب فائتني بخبر القوم ولا تذعرهم على ) ، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشى في حمام حتى أتيهم فرأيت أبا سفيان يصلى ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا تذعرهم على ) ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشى في مثل حمام فلما أتيته فخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فألبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال : ( قم يا نومان ).

وحسبنا أيضا ما جاء عن أم جميل بنت الخطاب في بداية الدعوة الإسلامية غذ تقول عائشة رضى الله تعالى عنها -:

لما اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر على الرسول صلى الله عليه سلم في الظهور فقال : ( يا أبو بكر إنا قليل ) فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفوق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته وقام أبو بكر في الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله وثار المشركين على أبو بكر وعلى المسلمين فضربوا شديدا ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين لوجهه ونزل على بطن أبى بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه وجاء بنو تيم يتعدون فأجلت المشركين عن أبى بكر وحملت بنو تيم أبا بكر حتى دخلوا منزله ولا يشكون في موته ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا : ولله لئن مات أبو بكر لنقتلن

عتبة ابن ربيعة فرجعوا إلى أبو بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يتكلمون أبا بكر حتى أجابهم فتكلم آخر النهار فقل : م فعل رسول الله صلى لله عليه و سلم فمسوا منه بألسنتهم وعدلوه ثم قاموا وقالوا لأمة أم الخير : انظري أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول : ( ما فعل رسول الله صلى لله عليه وسلم ؟ قالت : ولله مالي على بصحبك فقل : ذهبي إلى أم جميل بنت لخطاب فسأليه عنه فخرجت حتى جاءت م جميل فقلت : إن ب بكر أبن عبد الله وإن يسألك عن محمد بن عبد الله فقالت ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وعن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك قلت نعم فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفا فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت : والله إن قوما نالوا هذه منك لأهل فيق وكفر وإني لأرجو أن ينقم لله لك منهم قال :فما فعل رسول لله صلى لله عليه وسلم ؟ قالت : هذه أمك تسمع قال :فلا شئ عليك منه قالت : سالم صالح قال : أين هو ؟ قالت : في دار بن الأرقم قال فإن الله على ن ى أذوق طعاما ولا أشرب شرب و آتى رسول لله صلى الله عليه وسلم فأمهلتاه حتى إذ هدت الرجل ومسكن الناس خرجت به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول لله صلى لله عليه وسلم قل فكب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله واكب عليه المسلمون ورق له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة فقال أبو بكر : بأبي وأمي يا رسول الله : ليس بي بأس إلا ما ناله الفاسق من وجهي وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى لله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار قال : فدعا لها رسول الله صلى لله عليه وسلم ودعاها إلى الله فأسلمت.

وحسبنا كذلك ما ورد عن انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول :

( أتى على رسول الله صلى لله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان قال فسلم علينا فبعثنى إلى حاجة فأبطأت على أمي فلما جئت قالت : ما حسبك ؟ قلت : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة قالت : ما حاجته ؟ قلت : إنها سر قالت : لا تحدثن بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا ).

هذه الأخبار وغيرها كثير في تاريخ المسلمين قديمة وحديثه تعين من سمعها على الإقتداء والتأسي أو على الأقل المحاكاة والتشبه .

(9) الحرص على لزوم الجماعة وعدم الانفكاك عنها لحظة واحدة إذ فيها يكون التناصح والتواصى بالحق والتواصى بالحق والتواصي بالصبر والتعاون وتجديد النشاط وإعلاء الهمة وغير ذلك مما يعد في الحقيقة جوهر ومضمون الالتزام .

(10) الاستعانة التامة بالله عز وجل فإنه سبحانه يعين من لجأ إليه واستعان به ولاذ بحماه .

(11) محاسبة النفس دوما للوقوف على الجوانب الضعف والخلل فيها ثم

تلا في بالتوبة والإقلاع عن الخطأ وجبره بأنواع من لكفارات كالصداقة والإكثار من النوافل .

(12) الإحسان إلى الأبوين في المعاملة مع لفت نظرهما بأدب ورفق إلى أن الآجال بيد الله وأن ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن وأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها .

(13) التذكير الدائم بفوائد وثمرات الالتزام وكذلك بعواقب ومضار إهدار هذا الالتزام أو التخلي عنه فإن هذا التذكير له دور كبير في عودة النفس إلى صوابها ونهوضها من جديد .

(14) معايشة المستمرة لكتاب الله عز وجل فإنه بيان دقيق لحقيقة مضمون الالتزام ولم لا يكون كذلك وهو حكم الله :

{ ومن حسن من الله حكما لقوم يوقنون }.

(15) المسارعة بالانتفاع بالنعم الآنية من الوقت والصحة والمال والعلم والشباب ونحو ذلك قبل زوالها إذ يقول صلى الله عليه وسلم :( بادروا بالأعمال الصالحة سبعا هل تنتظرون إلا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر

غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر.

(16) المعايشة الدائمة لسنة وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيهما الصورة الدقيقة الحية لما ينبغي أن يكوون عليه المسلم من الالتزام .

حسبنا أنه لم يقبل أن يهاجر وأمول الناس عنده أمانات وودائع بل استبقى عليا مكانه في فراشة ليرد هذه الودائع إلى أهلها وليموه على الأعداء وحسبنا أنه لم ينقض عهدا قط لا مع الأعداء ولا مع غير الأعداء فكان بذلك مضرب الأمثال .

والقصة التالية بعض من كل وقليل من كثير : يروى حذيفة بن اليمان رضى الله عنه فيقول : ما ينبغي أن أشهد بدرا إلا أنى خرجت أنا وأبى حسيل قال فأخذنا كفار قريش قالوا : إنكم تريدون محمدا ؟ فقلنا : ما نريده إلا المدينة فاخذوا منا عهد اله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه فأتينا رسول الله

صلى الله عليه وسلم فأخبرنا الخبر فقال :( انصرفا نفي لهم بعهدهم ونستعين بالله عليهم ).

**الآفة الثالثة عشرة**

**عدم التثبيت أو التبين**

والآفة الثالثة عشرة التي لا يكاد يسلم من شرها إلا من كان ذا صلة قوية متينة بربه وكان حصيفا : إنما هي عدم التثبيت أو التبين وحتى يتحرر من ابتلوا بها ويتقيها من عافاهم الله عز وجل منها فلا بد من تقديم تصور دقيق عن أبعادها ومعالمها وذلك من خلال الجوانب التالية :

**أولاً : مفهوم عدم التثبيت أو التبين :**

**عدم التثبيت لغة :** وحتى نفهم المرد بعدم التثبيت أو التبين في اللغة فإننا فماذا يراد من كل منهما لغة ؟ يطلق التثبيت في اللغة على أمور منها :

(أ) طلب ما يكون به الثبات على الأمر أي لزومه وعدم التحول عنه أو تجاوزه إلى غيره وبعباره أحرى طلب الدليل الموصل إلى الثبات على الأمر .

(ب) والتأكيد من حقيقة ما يعين على الثبات في الأمر وبعبارة أخرى فحص الدليل الوصل إلى الثبات في الأمر تقول :( أثبت الأمر :

حققه صححه وأثبت الكتاب سجله واثبت الحق أقام حجته واثبت الشيء عرفه حق المعرفة ).

(ج)والتأني أو التريث وعدم الاستعجال تقول تثبيت في الأمر والرأي استثبت : تأنى فيه ولم يعجل واستثبت في أمره : إذا شاور وفحص عنه ).

وكذلك التبين يطلق في اللغة على النفس المعني التي يطلق عليها التثبت فهو :

(أ) طلب ما يستبين به الأمر وتنكشف حاله تقول :( تبين الشيء أي تأمله حتى اتضح ).

(ب) وهو التأكيد من حقيقة ما يستبين به الأمر ونتكشف حاله تقول :( تبين الشيء ظهر واتضح ).(واستبنت الشيء : إذا تأملته حتى تبين لك ).

(ج) وهو التأني أو التريث في لأمر وعدم الاستعجال فيه تقول ( تبين القوم تدبروه على مهل غير متعجلين ليظهر لهم جليا ) وتبين في أمره تثبت وتأنى ).

ويؤكد أن التثبت والتبين معناهما واحد لغة : استعمال القرآن الكريم ، فقد جاء في قوله تعالى { يا أيها الذين إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا } { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا } أن أكثر الكوفيين يقرأون الآية الأولى وكذلك عامة أهل المدينة يقرأون الآية الثانية ( فتثبتوا ) بدل (فتبينوا ) ، وفي هذا يقول الإمام ابن جرير الطبري رحمة الله : ( والقول عندنا في ذلك أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة المسلمين بمعنى واحد وإن اختلفت بهما الألفاظ لأن المتثبت متبين والمتين متثبت فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب صواب القراءة في ذلك ، كما يقول في موضع آخر ( والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قر القارئ فمصيب ) ، ونستطيع أن نقول إن هذه الإطلاقات واحد ألا وهو التأني أو التريث في الأمر وعدم الاستعجال فيه فإن ذلك مطلوب دليله بل وفي فحص وتأمل هذا الدليل وحيث انتهينا من تحديد المراد بالتثبت أو التبين لغة فإننا نقول : إن عدم لتثبت أو التبين لغة يعنى ( السرعة في الحكم على الشيء دون طلب دليله ودون تأمل هذا الدليل ).

**عدم التثبت اصطلاحا :** أما عدم التثبت أو التبين في الاصطلاح الإسلامي والدعوى فهو :

السرعة أو عدم التأني والتريث في كل ما يمس المسلمين بل الناس جميعا من أحكام أو تصورات ومن تناقل وتداول لهذه الأحكام وتلك التصورات دون فهم دقيق للواقع وما يحيط به من ظروف وملابسات.

وإلى هذا أشار القرآن الكريم في تعليقه على حادثة الإفك حين قال : { إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم }

لأن من المعلوم بداهة أن التلقي إنما يكون بالأذن ثم يعرض على العقل والقلب وحينئذ يكون الكلام باللسان فإنما هي لفتة إلى السرعة وعدم التأني أو التروي في إصرار الحكم بل في تداوله والتحرك به كأن الإفك عندما وقع من ابن سلول صمت الآذان وسترت العقول وغلفت القلوب فلم يبق إلا أن لاكته الألسن وتحركت به الشفاه دون فهم للواقع ودون معرفة بالظروف والملابسات ولقد صوّر صاحب الظلال - رحمه الله - ذلك تصويرا بديعا حين قال: "وهي صور فيها الخفّة والاستهتار، وقلّة الحرج، وتناول أعظم الأمور وأخطرها بلا مبالاة ولا اهتمـام: )إذ تلقّونه بألسنتكم( لسان يتلقى عن لسان، بلا تدبر ولا تروّ، ولا فحص ولا إمعان نظر، حتى لكأن القول لا يمر على الآذان، ولا تتملاه الرؤوس، ولا تتدبّره القلـوب، {وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم}، بأفواهكم لا بوعيكم، ولا بعقلكم، ولا بقلبكم، إنّما هي كلمات تقذف بها الأفواه قبل أن تستقر في المدارك، وقبل أن تتلقاها العقول..." [[116]](#footnote-117)

**ثانيا: أسباب عدم التثبت أو التبين:**

وهناك أسباب أو بواعث تؤدى إلى عدم التثبت أو التبيّن، نذكر منها:

**1 - النشأة الأولى :**

فقد ينشأ المرء بين أبوين سمتهما عدم التثبت أو التبين، وحينئذ يسرى ذلك إلى نفسه، فإذا به صورة منهما، وهنا يتجلّى دور التزام الآباء بأخلاق وآداب الإسلام، أجل . إن ذلك لو روعي لجنب الآباء أبناءهم كثيرا من الانحرافات، دون الحاجة إلى خطب أو مواعظ.

**2 - الصحبة العارية من هذا الخلق الإسلامي :**

وقد يعيش المرء في وسط غير ملتزم بهذا الخلق الإسلامي، فإذا به يحاكى،ويتأسى، لا سيما إذا كان ضعيف الشخصية غير واثق من نفسه، ومن تصرفاته وسلوكه، وهنا يأتي دور الارتماء بين أحضان الصحبة الطيبة الملتزمة بالمنهاج الإسلامي. إن هذا لو وقع، لصَحَتْ الأعصاب، ولتنبّهت المشاعر والأحاسيس والجوارح.

**(3) الغفلة أو النسيان :**

وقد تؤدى الغفلة أو النسيان بالإنسان إلى عدم التثبت أو التبين وحينئذ يجب أن يتعلم من ذلك درسا لا ينساه على مدار الزمان فلا يتكرر منه هذا الخطأ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول ( كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ).

**(4) الاغترار ببريق الألفاظ :**

وقد يقرع أذن المرء طائفة من الألفاظ المعسولة والعبارات الخلابة وإذا به يغتر بما لهذه الألفاظ وتلك العبارات من بريق وزخرف وحينئذ يكون منه عدم التثبت أو التبين وقد لفت النبي صلى الله عليه وسلم النظر إلى هذا السبب حين قال : ( إنكم تختصمون إلى

ولعلل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخيه شيئا بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها ).

**(5) الجهل بأساليب أو طرق التثبت أو التبين :**

وقد يحمل بأساليب أو طرق التثبت أو التبين إلى السرعة في الحكم وتداوله هنا وهناك ذلك أن للتثبت أو للتبين أساليب أو طرقا كثيرة توصل إليه من بينها :

# الرد إلى الله والرسول وذوى الرأي والحجا كما قال سبحانه { ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم }

# السؤال أو المناقشة لصاحب الشأن وخير ما يوضح ذلك موقفه صلى الله عليه وسلم من حاطب بن أبى بلتعة لما كتب إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي صلى اله عليه وسلم لهم وأطلع الله عز وجل نبيه على الكتاب وجئ به إليه صلى الله عليه وسلم إذ دعاه النبي صلى الله عليه وسلم وسأله قبل أن يقضى في أمره قائلا :( يا حاطب ما هذا ؟ فقال : يا رسول الله لا تعجل على إني كنت امرءا ملصقا من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فعذره النبي صلى الله عليه وسلم وقال : ( أما إنه قد صدقكم ) ولما استأذن عمر في ضرب عنقه قائلا : ( وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدرا فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم).

- الإصغاء الجيد بل و المراجعة إذا لزم الأمر أو أشكل الأمر ، فهذا علىّ- رضى الله عنه - يعطيه الرسول صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر ثم يقول له :" اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت " ويشعر علىّ رضى الله عنه - بعد مضيه لأداء مهمته أن التكليف الذي كلف به غير واضح في ذهنه فيعود بظهره امتثالاً للأمر ويسأل النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً : : علام أقاتل الناس ؟ فيرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ".

- التجربة و الملاحظة من خلال المعايشة و المصاحبة ، فهذا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يثنى رجل على آخر في مجلسه فيقول عمر للرجل الذي أثنى : هل صحبته في سفر قط ؟ يقول : لا ، فيقول له : هل كانت بينك وبينه معاملة في حق ؟ يقول : لا ، فيقول له :" اسكت فلا أرى لك علماً به ، أظنك - والله - رايته في المسجد يخفض رأسه ويرفعه ".

- الجمع بين كل الأطراف مع المواجهة ، لاسيما في الأمور التي لا يجوز فيها التغاضي أو السكوت ، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم عليَّاً لما بعثه قاضياً إلى أهل اليمن ، أسلوب التثبت في القضاء قائلاً له : " إن الله سيهدى قلبك ، ويثبت لسانك ، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول ، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء ".

- السماع من صاحب الشأن أكثر من مرة ، وعلى فترات متباعدة مع المقابلة و الموازنة فها هي أم المؤمنين عائشة - رضى الله تعالى عنها - يبلغها عن عبد الله بن عمرو ، أنه قادم من مصر للحج ، فتقول لابن أختها عروة بن الزبير ، يا ابن أختي بلغني أن عبد الله لن عمرو مار بنا إلى الحج فالقه فسائله ، فإنه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علماً كثيراً قال ، فلقيته فسائلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -قال عروة : فكان فيما ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" إن الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعاً ، ولكن يقبض العلماء فيرتفع العلم معهم ويبقى في الناس رؤساء جهالاً يفتونهم بغير علم فيَضلون ويُضلون " قال عروة فلما حدَّثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته قالت: أحدثك أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا ؟ قال عروة : حتى إذا كان قابل قالت له : إن ابن عمرو قد قدم فالقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم ، قال : فلقيته فسائلته ، فذكر لي نحو ما حدثني به في مرته الأولى ، قال عروة : فلما أخبرتها بذلك قالت : ما أحسبه إلا قد صدق ، أراه لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص " .

هذه الطرق أو الأساليب وغيرها كثيرة قد يجهلها كثير من الناس وحينئذٍ يتناولون الأمر بغير تثبيت ولا تبين .

**6- الحماس أو العاطفة الإسلامية الجياشة المتأججة :**

وقد يؤدى الحماس أو العاطفة الإسلامية الجياشة المتأججة إلى عدم التثبت أو التبين ، ذلك أن هذا الحماس أو هذه العاطفة ما لم تكن موزونة بميزان الشرع ، ومحكومة بلجام العقل ، فإنها تسلب صاحبها الإدراك ، وإذا به يخطئ كثيراً ويضيع في بيداء هذه الحياة .

ويمكن أن نستشف هذا السبب من حديث أسامة بن زيد التالي إذ يقول :بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقن أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال :" يا أسامة أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ قلت : كان متعوذاً ، فما زال يكررها حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم ".

أجل لقد كان الحامل لأسامة على قتل الرجل مع نطقه بلا إله إلا الله تلك التي تعصم الدم إلا بحقها إنما هو الحماس أو العاطفة الإسلامية الجياشة التي انطوى عليها قلب أسامة بن زيد - رضى الله عنه - بحيث حالت بينه وبين الاقتناع بما صدر عن الرجل من الإسلام ، و النطق بالشهادة واتهمه بأنه يظهر خلاف ما يبطن ناسياً أن الله وحده هو المطلع على ما تكنه القلوب ، وتخفيه الصدور { قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله } ، { وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون } { والله يعلم ما في قلوبكم } ، { يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور } .

**7- التعلق بعرض زائل من الدنيا :**

وقد يكون التعلق بعرض زائل من أعراض هذه الحياة الدنيا هو الحامل على عدم التثبت أو التبين ، وذلك أن حب الشيء يعمى ويصم ، ويحول بين الإنسان وبين استطلاع الموقف وتبين الحقيقة ولعل هذا السبب هو المشار إليه في قوله سبحانه :{ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة } .

**8 - الغفلة عن العواقب والآثار المترتبة على عدم التثبت أو التبين :**

وأخيرا، قد تؤدى الغفلة عن العواقب والآثار المترتبة على عدم الالتزام بهذا ا الخلق الإسلامي إلى السرعة، أو العجلة في الأمر، وعدم التريث أو التأني، فان من غفل عن عاقبة أمر ما، وقع فيه لا محالة إلا من عصم الله - عز وجل.

**ثالثاً : مظاهر عدم التثبت والتبين :**

ولعدم التثبت أو التبين مظاهر تدل عليه وأمارات يعرف بها نذكر منها :

(1) معاداة كثير من الأفراد والهيئات العاملة للإسلام استجابة لحملات التشويش والدعاية المغرضة دون مخالصة هؤلاء ومعرفة أحوالهم وأخلاقهم عن قرب ومشاهدة .

(2) التركيز على المظهر والشكل مع إهمال المخبر والجوهر فإن كثيرا من الهيئات العاملة للإسلام تهتم كثيرا بالمظهر والشكل من اللحية والسواك وقصر الجلباب وإرخاء العذبة وحمل العصا والعمامة مع الإهمال التام للمخبر والجوهر الأمر الذي يجعلهم لا يميزون بين الصالح والطالح وبين الصادق والكاذب

ولا يفهم ذلك أنه استهانة أو تحقير لتلك الأشياء ، فقد وردت

بذلك أحاديث تتفاوت صحة وضعفا وليس هنا مجال تحقيقها الآن ولكننا نريد من المسلم أن يكون لديه ترتيب الأولويات وتقديرا لمخبر الإنسان وجوهره وإن قصر في بعض الشكليات فإن ذلك لا يضره .

(3) عدم التماس المعاذير وعدم السماع للحجج والآراء برغم أنه لا عقبات ولا صعوبات في حياة الناس.

(4) المبادرة بالتفوه ، والرأي ، لمجرد السماع والتلقي أو لمجرد الرؤية والمشاهدة .

(5) المبادرة بالتنفيذ لمجرد صدور التكليف دون إحاطة تامة بكل ظروفه وملابساته ودون معرفة دقيقة بمن له حق التكليف والإلزام.

**رابعاً : آثار عدم التثبت أو التبين :**

ولعدم التثبت أو التبين آثار سيئة وعواقب وخيمة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي ودونك طرفا من هذه الآثار .

**\* آثار عدم التثبت على العاملين :**

فمن آثار عدم التثبت أو التبين على العاملين :

**(1) اتهام الأبرياء من الناس زورا وبهتانا :**

فقد اتهمت أم المؤمنين عائشة زورا وبهتانا بما لم يقع منها في الجاهلية فكيف بعد إذ أعزها الله بالإسلام وصارت زوجة لإمام المسلمين وأفضل النبيين ورسول الله للعالمين الأمر الذي أقلقها وأقلق أبويها ورسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها والمسلمين جميعا شهراً كاملاً حتى نزلت البراءة بشأنها من فوق سبع سموات .

وكان السبب هذا الاتهام هو عدم التثبت أو التبين حتى قال الله لهم :{ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون }.

وحسب العامل هذا الأثر إذ هو مجلبة للشر والإثم - والعياذ بالله - كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :( خيار عباد الله الذين إذا رُءوا ذكر الله ، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب ).؟

**(2) سفك الدماء وسلب الأموال :**

فقد قَتل أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنه أو غيره نفراً من الناس وسلب ماله بغير تثبت ولا تبين وفيه وفي أمثاله نزل قوله تعالى :{ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة .......}.

**(3) - الحسرة والندم :**

فإن بعض الصحابة الذين خاضوا في الإفك وطاروا من غير تثبت ولا تبين من أمثال حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثه وغيرهما وكذلك الذين قتلوا الرجل وأخذوا ماله بعد أن أسلم وشهد أن لا إله إلا هو من مثل أسامة بين زيد - رضى الله تعالى عنه - كل أولئك أصابتهم الحسرة وعمهم الندم لما نزل الوحي من السماء يكشف الموقف ويضع النقاط على الحروف وتمنوا أن لم يكونوا أسلموا قبل ذلك اليوم بل ظلت الحسرة والندامة شبحا مخيفا يلاحقهم حتى لقوا ربهم .

ولعل هذا الأثر هو ما يشير إليه قوله تعالى في قصة الوليد بن عقبة بن أبي معيط مع بني المصطلق الواردة في سورة الحجرات: {...... فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .....}.

**(4) فقد ثقة الناس مع النفور والكراهية :**

فمن عرف عنه العجلة في الرأي والحكم أو عدم التثبت أو التبين ينظر إليه الناس على أنه أرعن أحمق ومثل هذا يسحب الناس ثقتهم منه بل وينفرون منه ويكرهونه بشدة وإذا ذهبت الثقة وكان النفور والكراهية لم يعد في يد المسلم ما يكسب به الأنصار أو

المؤيدين .

**(5) التعرض للغضب الإلهي :**

فمن تجرد من التثبت أو التبين كثرت أخطاؤه وتضاعفت عثراته من ثم يستوجب غضب الله وسخطه ومن حل عليه غضب الله وسخطه فقد ضاع دنيا وآخرة وخسر خسرانا مبينا وصدق الله :{ ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى }.

**\* آثار عدم التثبت على العمل الإسلامي :**

ومن آثاره على العمل الإسلامي :

**(1) خلل أو اضطراب الصف :**

فإن عدم التثبت أو التبين من شأنه أن يؤدى إلى خلل أو اضطراب في الصف على نحو ما صوره صاحب الظلال - رحمه الله - إذ يقول :" كذلك إشاعة أمر الخوف في معسكر مطمئن لقوته ، ثابت الأقدام بسبب هذه الطمأنينة قد تحدث إشاعة الخوف فيه خلخلة وارتباكاً ، وحركات لا ضرورة لها لاتقاء مظان الخوف وقد تكون كذلك القاضية ".

وعلى نحو ما وقع بين الأنصار بين أوسهم وخزرجهم حين استمعوا إلى هذا الدخيل الذي بثه بينهم أحد اليهود في ساعات الصفاء ، و الحب في الله ليذكرهم بيوم بعاث ، وثاراتهم القديمة ، لقد تنادوا قائلين :

السلاح السلاح موعدكم الظاهرة ( أي الحرة ) وخرجوا إليها وانضمت الأوس بعضها إلى بعض ، و الخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية ، ولولا رحمة الله ولطفه بهم ، ثم خروج الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم وتذكيرهم بنعمة الله عليهم وهدايته لهم بعد الكفر و الضلالة قائلاً :" يا معشر المسلمين : الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام ، وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر ، وألف بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً ، لولا ذلك لعادوا- كما كانوا في الجاهلية -شيعاً وأحزاباً .

وعلى نحو ما وقع للحركة لإسلامية في مصر في الخمسينات حيث استمع نفر من أبنائها لوشايات الواشين وافتراءات المغرضين ، وأراجيف المبطلين دون تثبت أو تبين ، الأمر الذي أدى إلى خلل في الصفوف لبعض الوقت ، وكاد يعصف بهذه الحركة لولا لطف الله ورحمته ، وعنايته وتثبيته لبعض الصادقين المخلصين من أبنائها .

**2- الفتور أو التراخي في العمل :**

فإن عدم الالتزام بالتثبت أو التبين من شأنه أن يؤدى إلى الفتور أو التراخي في العمل مباشرة ، أو بعد سلسلة من المكدرات

و المنغصات كما يصوره صاحب الظلال إذ يقول :" .... فإن إشاعة أمر الأمن مثلاً في معسكر متأهب مستيقظ متوقع لحركة العدو ، إشاعة أمر الأمن في هذا المعسكر تحدث نوعاً من التراخي مهما تكن الأوامر باليقظة النابعة من التحفز للخطر ، غير اليقظة النابعة من مجرد الأوامر ، وفي ذلك التراخي تكون القاضية.

**3- إفساح المجال للأدعياء و الدخلاء :**

فإن عدم الالتزام بهذا الخلق الإسلامي جعل أكثر الجمعيات و الجماعات العاملة للإسلام مخترقاً ومكشوفاً من قبل الأدعياء و الدخلاء وهذا فيه من الخطورة ما فيه ، حسبنا أن هذه الجمعيات و الجماعات يكاد لها بواسطة هؤلاء الأدعياء و الدخلاء ، و المنشئون أو المؤسسون الحقيقيون لها ، نائمون غافلون لا يدرون من أمرها شيئاً .

**4- خسارة بعض الأنصار و المؤيدين :**

وقد يخسر العمل الإسلامي بسبب عدم التثبت أو التبين بعض الأنصار و المؤيدين ، وربما انقلبوا رأس حربة على العمل الإسلامي و العاملين لدين الله ، بعد أن كانوا مرجوا منهم أنهم مساندون أو مؤيدون .

**5- الانطلاق من الخيال لا من الواقع :**

فإن من كان من شأنهم عدم التثبت أو التبين سينقلون الأمور

على غير وجهها ويحكون الواقع بصورة غير صورته الحقيقية التي هو عليها ، وعليه فإذا كانت خطة أو منهاج أو رأى فإنما يكون مصدره أو منبعه الخيال لا الواقع ، وتلك أولى عوامل الفشل و الخسران .

**6- الحرمان من العون و التأييد الإلهي :**

فإن عدم الالتزام بهذا الخلق ... أعنى التثبت أو التبين ... سيؤدى إلى دخن في القلوب وغل في الصدور ، فضلاً عن باقي الآثار و السلبيات التي ذكرنا آنفاً ، وهذا بدوره يؤدى إلى الحرمان من العون و التأييد الإلهي ، إذ أنه عونه - سبحانه - وتوفيقه وهدايته لنا ذلك كله مقرون باستقامتنا وثباتنا في الطريق { يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم } ، {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون } .

**خامساً : علاج عدم التثبت أو التبين :**

وما دمنا قد وقفنا على أبعاد ومعالم عدم التثبت أو التبين على النحو الذي قدمنا ، فإن علينا أن نعرف سبيل العلاج وتتلخص في الأخذ بالوسائل التالية :

**1- تقوية ملكة التقوى و المراقبة لله - سبحانه وتعالى - :**

فإن هذه إن تأكدت في النفس ، فسوف تحمل صاحبها حملاً على

التأني و التروي والإنصاف ، ونقل الحقيقة كما هي دون زيادة أو نقص ، بل ستكون سبباً في نور القلب ، ونفاذ البصيرة كما قال سبحانه { يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً } ولعلنا نلمح هذه الوسيلة العلاجية من قوله صلى الله عليه وسلم :" التثبت من الله و العجلة من الشيطان ".

**2- التذكير بين يدي الله - سبحانه وتعالى - للمساءلة و الجزاء :**

{ وقفوهم إنهم مسئولون } ، { فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون } ، { ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً } ، { إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى } .

فإن هذا إن تمكن من النفس ، وخالط القلب ، فإنه سيقود حتماً إلى التأني أو التروي .

**3- معايشة الكتاب و السنة ،** من خلال هذه النصوص المتصلة بقضية التثبت أو التبين ، كما في آيات " النساء " : { وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ... } ، وآيات الإفك في سورة النور ، وآيات سورة الحجرات ، { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ... } ، وآيات سورة " ص " داود مع الخصمين :{ وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب } وآيات سورة " النمل " سليمان مع الهدهد إذ قال له { سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين }.

فإن هذه النصوص جميعاً مدعاة إلى تربية ملكة التثبت أو التبين في النفس .

**4- دوام النظر في سير وأخبار السلف** فإنها طافحة بالنماذج الحية التي تجسد هذا التثبت ،وتجعله ماثلاً أمامنا كالعيان وحسبنا من هذه السير وتلك الأخبار :

قصة عمر بن الخطاب مع سعيد بن عامر الجمحى واليه على حمص إذ قدر الله لعمر أن يزور هذه البلدة ، ويسأل أهلها كيف وجدتم عاملكم ؟ فيشكونه له ، وكان يقال لأهل حمص : الكوفية الصغرى لشكايتهم عمالهم قائلين :

نشكو أربعاً : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار ، قال : أعظم بهذا ، وماذا ؟ قالوا : لا يجيب أحد بليل ، قال وعظيمة وماذا ؟ قالوا وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا ، قال عظيمة ، وماذا ؟ قالوا يغنط الغنطة بين الأيام ( أي يغمى عليه ويغيب عن حسه ) فلم يفصل عمر في الأمر ، إلا بعد أن جمع بينهم وبينه ودعا ربه قائلا : ( اللهم لا تفيل رأيي فيه ) وكان عمر حسن الظن به وبدأت المحاكمة فقال عمر لهم أمامه : ما تشكون منه ؟ قالوا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار قال : ما تقول ؟ قال : والله إن كنت لأكره ذكره : ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم فقال : ما تشكون منه ؟ قالوا : لا يجيب أحدا بليل قال : ما تقول ؟ قال : إن كنت لأكره ذكره : إني جعلت النهار لهم والليل لله عز وجل قال : وما تقول ؟ قال : ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها فأجلس حتى تجف ثم أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار قال : ما تشكون منه ؟ قالوا : يغنط الغنطة بين الأيام قال :ما تقول ؟ قال : شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة وقد بضعت قريش من لحمه ثم حملوه على جذعة فقالوا : أتحب أن محمدا مكانك ؟ فقال : والله ما أحب أنى في أهلي وولدي وأن محمدا صلى الله عليه وسلم شيك بشوكة ، ثم نادى يا محمد فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أومن بالله العظيم إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً فتصيبني تلك الغنطة فقال عمر بعد أن أظهر براءته أمامهم الحمد لله الذي لم يفيل فراستي وبعث إليه بألف دينار وقال : استعن بها على أمرك ففرقها ) .

وقصة الوزير أبى القاسم بن مسلمة أحد وزراء بنى العباس مع اليهود الخيابرة في القرن الخامس الهجري إذ رفع إليه هؤلاء اليهود كتابا زاعمين أنه كتاب نبوي فيه إسقاط الجزية عنهم فلم يبادر بالفصل في المسألة دون تثبت أو تبين وإنما رد الأمر إلى أهله ، لقد دفع الكتاب إلى الحافظ الخطيب البغدادي ت 463هـ شيخ علماء بغداد ومؤرخها ومحدثها في عصره فنظر فيه ثم قال :هذا كذب فسأله الوزير : وما الدليل على كذبه ؟ فقال لأن فيه شهادة معاوية بن أبى سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة وإنما أسلم معاوية يوم الفتح وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد مات قبل خبر عام الخندق سنة خمس فأعجب الناس ذلك وتوقف الوزير عن العمل بالكتاب .

أرأيت لو أن هذا الوزير استعجل ونفذ ما في الكتاب من غير أن يرد الأمر إلى أهله فماذا تكون النتيجة ؟ إن النتيجة هي تعطيل نص صريح من كتاب الله عز وجل بغير دليل ولا برهان إذ يقول الحق سبحانه { قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون }

**5- التربية على ذلك من خلال الأحداث والوقائع** على نحو ما جاء في : قصة أسامة بن زيد مع الجهنى في سورة النساء وعلى نحو ما جاء في : حادثة الإفك في سورة النور وعلى نحو ما جاء في قصة داود مع الخصمين في سورة النمل وعلى نحو ما جاء في : قصة الوليد بن عقبة مع بنى المصطلق في سورة (الحجرات )فإن هذا اللون من التربية يثبت في النفس ولا ينسى نظرا لارتباطه بالحدث أو بالقصة .

**6- التذكير بقواعد ومعالم وطرق التثبت** أو التبين فإن الإنسان مجبول على النسيان وعلاج هذا النسيان دوام التذكير :

{وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين }.{ فذكر إن نفعت الذكرى }.

**7- تقدير العواقب** المترتبة على ترك التثبت أو التبين في الدنيا والآخرة فإن هذا التقدير من شأنه أن يبعث الإنسان من داخله ويحمله على التروي أو التأني أو التريث .

**8- معايشة أو مخالطة من اشتهروا بخلق التثبت** أو التبين فإن هذا يفيد الإنسان كثيرا ويدعوه إلى محاكاتهم والنسج على منوالهم لتقل العثرات وتسلم الخطوات .

**9- الحكمة في التعامل مع الناس** فلا تخدعنا الظواهر والأشكال والصور ولا نبالغ في البحث والتفتيش عن البواطن وخفايا الصدور وإنما ندع الواقع ليحدد كيفية وأسلوب التعامل .

**10- محاولة الإفادة من مناهج أهل الأرض بشأن هذا الخلق** ..أعنى التثبت أو التبين شريطة ألا يتعارض ذلك مع الإسلام فإن لدى هؤلاء رصيداً لو أمكن استغلاله وتوجيهه التوجيه السليم لعاد على الإسلام والمسلمين بالخير الكثير .

**11- أن يتصور المسلم نفسه في موطن من يؤخذ بغير تثبت** أو تبين فإن ذلك يحمله على تعديل خطواته في الطريق إذ مالا يرضاه لنفسه لا يرضاه لغيره .

**12- التعويد على إحسان الظن بالمسلمين** إلا أن يقع منهم ما يوجب غير هذا :

{لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا }.

**الآفة الرابعة عشرة**

**التفريط في عمل اليوم والليلة**

والآفة الرابعة عشرة التي يبتلى بها الكثير من العاملين إنما هي (التفريط في عمل اليوم والليلة ).

وحتى يتخلص منها من ابتلوا بها ويتقيها من عافاهم الله عز وجل منها فإنه لابد من تقديم تصور يكشف عن أبعادها ومعالمها وذلك على النحو التالي :

**أولاً : مفهوم التفريط في عمل اليوم والليلة :**

**التفريط لغة :** التفريط في اللغة هو : التقصير في الأمر وتضييعه حتى يفوت قال في اللسان ( وفرط في الأمر يفرط فرطا أي قصر فيه وضيعه حتى فات كذلك التفريط ) وفرط في الشيء وفرطه ضيعه وقدم العجز فيه والتنزيل :{ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله }.

أي أنيبوا إلى ربكم وأسلموا له مخافة أن تصيروا إلى حال الندامة للتفريط في أمر الله ، وعمل اليوم والليلة في اللغة هو الوظائف أو الواجبات التي ينبغي للمرء الحفاظ عليها أعم من أن تكون دنيوية أو أخروية وعليه فإن التفريط في عمل اليوم والليلة لغة هو : التقصير أو التضييع للوظائف أو الواجبات التي ينبغي للمرء الحفاظ أو المواظبة عليها دنيوية كانت أو أخروية أو هما معا حتى تفوت.

**التفريط في عمل اليوم والليلة اصطلاحا :** أما مفهوم التفريط في عمل اليوم والليلة في اصطلاحا العلماء والدعاة فإنه التقصير أو التضييع للوظائف العبادية التي ينبغي للمسلم الحفاظ والمواظبة عليها في اليوم والليلة حتى يخرج وقتها وتفوت مثل النوم عن الصلاة المكتوبة ومثل إهمال النوافل الراتبة أو ترك قيام الليل أو صلاة الوتر أو صلاة الضحى أو تضييع الورد القرآني أو الأذكار أو الدعاء أو المحاسبة للنفس والتوبة والاستغفار أو التخلف عن الذهاب إلى المسجد وعدم حضور الجماعة بغير عذر ولا مبرر أو عدم فعل الخيرات الأخرى أو إهمال الآداب الاجتماعية : من عيادة المرض وتشييع الجنائز والسؤال عما في الناس ومشاركتهم أحوالهم في السراء والضراء ..... إلى غير ذلك من الطاعات أو العبادات .

**ثانيا : أسباب التفريط في عمل اليوم والليلة :**

وللتفريط في عمل اليوم والليلة أسباب تؤدى إليه وبواعث توقع فيه نذكر منها :

**(1) التلطخ أو التدنس بالمعصية :**

بأن يكون المسلم غير محترس أو متحرز من المعصية لا سيما الصغائر تلك التي يستهين بها كثير من الناس ولا يولونها رعاية أو أهمية وحينئذ فلابد من العقاب ويكون العقاب بأمور كثيرة من بينها التفريط في عمل اليوم والليلة وصدق الله العظيم : { وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } وجاء عن الحسن البصري مرسلا قوله : لما نزلت هذه الآية { وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا نكبة حجر ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر ) وقال صلى الله عليه وسلم ( لا يصيب عبدا نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وقرأ : { وما أصابكم من مصيبة } ..

وقد وعى السلف مثل هذا السبب وأثره على عمل اليوم والليلة ونبهوا إليه كثيرا :

هذا الضحاك يقول : ما نعلم أحدا حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب ثم قرأ الضحاك { وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } ثم يقول الضحاك : وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن وهذا الحسن يسأله رجل قائلا : ( يا أبا سعيد إني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهورى فما بالى لا أقوم ؟ فقال ذنوبك قيدتك ).

وهذا الثوري يقول : ( حرمت قام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته قيل : وما ذاك الذنب ؟ قال : رأيت رجلا يبكى فقلت في نفسي : هذا مراء ) ، وهذا كرز بن وبرة يدخل عليه بعض الناس وهو يبكى فيقول له : أتاك نعى بعض أهلك ؟ فيقول : أشد فيقول له : وجع يؤلمك ؟ فيقول : أشد فيقول له وما ذاك ؟ فيجيبه : بابي مغلق وسترى مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته.

وهذا أبو سلمان الدارانى يقول : (لا تفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب ) وهذا عابد عالم يقول : ( كم من أكلة منعت قيام الليل وكم من نظرة منعت قراءة سورة وإن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما أن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات ).

وقد بين الحافظ ابن القيم كيف يؤدى هذا السبب إلى مثل هذا التفريط فقال ( ومنها أي من آثار المعاصي حرمان الطاعة فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أن يصد عن طاعة تكون بدله وتقطع طريق طاعة أخرى فينقطع عليه بالذنب طريق ثالثة ثم رابعة وهلم جرا فينقطع عليه بالذنب طاعات كثيرة كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها وهذا كرجل أكل أكلة أوجبت له مرضة طويلة منعته من عدة أكلات أطيب منها والله المستعان ).

**(2) التوسع في المباحات :**

وقد يكون التوسع في المباحات من الطعام والشراب واللباس والمراكب ونحوها هو السبب في التفريط في عمل اليوم

والليلة ذلك أن هذا التوسع يورث الركون والنوم والراحة الأمر الذي يمكن أن يؤدى إلى مثل هذا التفريط وقد سبق أن بينا ذلك بالتفصيل عند الحديث عن آفة الإسراف وحسبنا هنا قول الغزالى :( لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا ).

**(3) عدم إدراك قيمة النعم وسبيل الدوام :**

وقد يكون عدم إدراك قيمة النعم وسبيل الدوام هو السبب في التفريط في عمل اليوم والليلة ذلك أن من لم يدرك أن نعم الله على العباد الظاهر منها والباطن والمعلوم منها وغير المعلوم شئ لا يكون ولا يحصى { وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها } { وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة }

ومن غفل عن أن دوام هذه النعم إنما يكون بالشكر : { لئن شكرتم لأزيدنكم } ومن الشكر المواظبة على عمل اليوم والليلة من العبادات والطاعات من لم يدرك هذا كله وغفل عنه فإنه يقع منه لا محالة التفريط فيعمل اليوم والليلة وصدق الله { فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون }.

قال الحسن البصري وأبوا العالية والسدى والربيع بن أنس :

(إن الله يذكر من ذكره ويزيده من شكره ويعذب من كفره ) .

وقال الحسن البصري أيضا في قوله { فاذكروني أذكركم }. قال :( اذكروني فيما أو جبت لكم على نفسي) .

وقال سعيد بن جبير :( اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي ) وفي رواية (برحمتي) .

**(4) الغفلة عن الحاجة إلى عمل اليوم والليلة :**

وقد تكون الغفلة عن الحاجة إلى عمل اليوم والليلة هي السبب في التفريط في هذا العمل فإن من غفل عن أنه بحوله وقوته ضعيف وإنه بحول الله وقوته قوى وأنه لابد له كي ينجح في أداء دوره والقيام بواجبه في هذه الأرض لابد من عون الله وتأييده ونصره وأن المواظبة على عمل اليوم والليلة هي التي تستجلب هذا العون وذلك التأييد والنصر :

{ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين }

‎{وتزودا فإن خير الزاد التقوى }.

{يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا إن لك في النهار سبحا طويلا }.

( وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها وإن سألني لأعطينه وإن استعاذنى لأعيذنه .....ـ}.

بل إنها هي التي تكون سببا في سكينة النفس وطمأنينة القلب :

{ ولقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا }

{ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن }.

{ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ....}

من غفل قلبه عن كل ما قدمنا فإنه سيفرط لا محالة في عمل اليوم والليلة .

**5- ضعف أو تلاشى التصور الصحيح لحقيقة أجر المواظبة على عمل اليوم والليلة .**

وقد يكون ضعف أو تلاشى التصور الصحيح لحقيقة أجر المواظبة على عمل اليوم والليلة هو السبب في هذا التفريط فإن الاستمساك بالشيء والعض عليه بالنواجذ مرتبط بالتصور الصحيح له وللمنافع أو الفوائد المرتبطة به.

وعليه فمن لم يكتمل عنده التصور الصحيح لحقيقة الأجر المرتبط بعمل اليوم أو الليلة من أنه نجاة من أهوال وشدائد يوم القيامة .

{ وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون }.

{ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا }.

بل من أنه أي الأجر جنات فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وفوق هذا رؤية الله ، و التمتع بالنظر إلى وجهه الكريم :

{ وعد الله المؤمنين و المؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم } ، { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون } ، { وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة } ، { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون } .

من لم يكتمل عنده التصور لحقيقة هذا الأجر فإنه يستلذ النوم و الراحة ويضن بالتعب و المجاهدة في سبيل الله و بالتالي يفرط في عمل اليوم و الليلة .

وصدق العلامة ابن الجوزى حين قال :" من لمح فجر الأجر هان عليه ظلام التكليف ".

**6- نسيان الموت وما بعده من أهوال وشدائد :**

وقد يكون نسيان الموت وما بعده من أهوال وشدائد هو السبب في التفريط في عمل اليوم و الليلة ، ذلك أن من نسى أنه ميت لا

محالة وإن طال الأجل :

{ كل نفس ذائقة الموت ... }، { وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون } .

وأن هذا الموت أقرب إليه من شراك نعله :

{ ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون }

وأنه سيكون بعد هذا الموت شدائد وأهوال يشيب من هولها الولدان وتنخلع لها القلوب ، ولا نجاة منها إلا بالمواظبة على عمل اليوم و الليلة :

{ فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً السماء منفطر به كان وعده مفعولاً } ، { يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد } ، { وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع }

من نسى ذلك كله كان منه هذا التفريط ولا شك .

وقد ألمح إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم إذ دخل مصلاه فرأى ناساً كأنهم يكتشرون فقال :" أما إنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى : الموت فأكثروا من ذكر هادم اللذات الموت فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول : أنا بيت الغربة ، و أنا بيت الوحدة ، وأنا بيت التراب ، وأنا بيت الدود ..... ".

**7- ظن بلوغ الكمال :**

وقد يكون ظن بلوغ الكمال هو السبب في التفريط في عمل اليوم و الليلة ، ذلك أن الإنسان قد ينسى نفسه وينسى أنه مهما عمل وأطاع بالليل و النهار ، فلن يستطيع شكر نعمة من نعم الله - تعالى - عليه ، ويحمله هذا النسيان مع عوامل أخرى على ظن بلوغ الكمال ، وحينئذٍ يقع منه التفريط في عمل اليوم و الليلة .

ولعل هذا هو ما نفهمه من حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول :( الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت و العاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله ) .

ومما جاء عن عمر بن الخطاب-رضى الله تعالى عنه- إذ كان يقول:"حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر ، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا " .

ومن قول لميمون بن مهران :" لا يكون العبد تقياً حتى يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه " .

**8- كثرة الأعباء و الواجبات :**

وقد تؤدى كثرة الأعباء و الواجبات إلى التفريط في عمل اليوم و الليلة ، ذلك أن الإنسان في زحمة العمل ، وفي إلحاح الأعباء

و الواجبات قد يهمل في عمل اليوم و الليلة بحجة ضيق الوقت وضرورة الفراغ من هذه الأعباء وتلك الواجبات ، ناسياً أو متناسياً أن زاده على الطريق للخروج من كل ما هو مطلوب منه إنما يكون بالمواظبة على عمل اليوم و الليلة ، إذ الوقت و الطاقات والإمكانات كلها ملك لله ، وبيده سبحانه ، وحين يرى من العبد إقبالاً عليه وتلذذاً بطاعته وذكره يمتن ويتفضل عليه بالبركة في الوقت و القوة في الإرادة و المضاء في العزيمة و السداد في الرأي :

{ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم }،{ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدراً } .

**9- التسويف :**

وقد يكون التسويف هو السبب في التفريط في عمل اليوم و الليلة ، ذلك أن من تعود التسويف أو التأجيل تتراكم عليه الواجبات أو الأعباء ، وحين يريد الخلاص أو الخروج منها تصبح ثقيلة أو شاقة عليه ، وحينئذٍ لا يكون منه إلا التفريط أو التضييع ولعل هذا هو المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم :" بادروا بالأعمال الصالحات سبعاً ، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً ، أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال

فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر ".

وقد وعى ذلك سلف الأمة - رضوان الله عليهم - فحرصوا على اقتناص الفرص واغتنام العمر قبل أن يضيع ، وحسبنا هنا مقالة عمر - رضى الله تعالى عنه - " القوة ألا تؤخر عمل اليوم إلى الغد ".

ومن وعظه صلى الله عليه وسلم لرجل بقوله :( اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك ).

**10- مشاهدة بعض ذوى الأسوة على حال من التفريط :**

وأخيراً ... قد يكون مشاهدة بعض ذوى الأسوة و القدوة على حال من التفريط هي السبب في عدم المواظبة على عمل اليوم و الليلة ، ذلك أن المسلم أحياناً ينظر إلى ذوى الأسوة و القدوة على أنهم نمط فريد من الناس ، لا يمكن أن يقع منهم تفريط أو تقصير ، وحين يطلع منهم أو من بعضهم على شئ من التفريط ، فإن هذه النظرة قد تحمله على محاكاتهم ، ناسياً أنه لا طاعة ولا محاكاة في المعصية ، وإنما في المعروف فقط .

ولعل هذا السبب هو المفهوم من تشديد الإسلام على عدم المجاهرة بالإثم ، إذ يقول صلى الله عليه وسلم :( كل أمتي معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول : يا فلان : عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه ).

**ثالثاً : آثار التفريط في عمل اليوم و الليلة :**

وللتفريط في عمل اليوم و الليلة آثار ضارة وعواقب مهلكة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي ، ودونك بعض هذه الآثار :

**أ- آثار التفريط في عمل اليوم و الليلة عل العاملين :**

من آثار التفريط في عمل اليوم والليلة على العاملين :

**1- الاضطراب و القلق النفسي :**

ذلك أن غذاء القلب وراحة النفس وسمو الروح إنما يكون في المواظبة على عمل اليوم و الليلة ، وعليه فإن من فرَّط في عمل اليوم و الليلة ، فقد قطع عن القلب غذاءه ودواءه ومصدر سعادته وطمأنينته ، وتكون النتيجة القلق والاضطراب النفسي وصدق الله العظيم { ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً } ، { ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً } .

**2- القعود عن أداء الواجب أو على الأقل الفتور :**

وذلك أن زاد المسلم على الطريق إنما هو في المواظبة على عمل اليوم و الليلة ، وعليه فمن فرط في عمل اليوم و الليلة فقد بقى بغير زاد ، ومثل هذا تنتهي به الحال إلى القعود عن أداء الواجب ، أو على الأقل الفتور ، وذلك فيه من الخطورة و الضرر ما فيه ، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم إذ قال :( يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا نام ثلاث عقد ، يضرب كل عقدة ، عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، وإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً

طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان ) .

**3- الجرأة على المعصية :**

وذلك أن الطاعة الحقة بمثابة حاجز يحول بين الإنسان وبين المعصية { وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهي عن الفحشاء و المنكر ولذكر الله أكبر } وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن فلاناً يصلى بالليل فإذا أصبح سرق ، فقال :" إنه سينهاه ما تقول " ، وعليه فإنه إذا فرط فيها وضيعها أو أداها بشكلها لا بجوهرها وحقيقتها ، فقد هدم هذا الحاجز وصارت الطريق مفتوحة أمامه للوقوع في المعاصي و السيئات ، بصورة فيها جرأة أو لا مبالاة ، ولعل هذا هو ما يشير إليه قول ابن عباس :" من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهاه عن المنكر ،لم يزد بصلاته من الله إلا بعداً ".

**4- الضعف أو الانهيار البدني :**

وذلك أن المواظبة على عمل اليوم و الليلة تكسب الجسم مناعة وقدرة على التحمل ، كما قال - سبحانه - على لسان هود

عليه السلام { ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم } ، وكما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم - علياً وفاطمة - عليهما السلام ، إذ قال علىّ : إن فاطمة أتت النبي صلى الله عليه وسلم تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى ، وبلغها أنه جاءه رقيق ، فلم تصادفه ، فذكرت ذلك لعائشة ، فلما جاء أخبرته ، قال : فجاءنا ، وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال :" على مكانكما " فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني فقال :" ألا أدلكما على خير مما سألتما ؟ ، إذا أخذتما مضاجعكما ، أو أويتما إلى فراشكما ، فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم " ، وعليه فمن فرط في عمل اليوم و الليلة فسيعتاد الاسترخاء و النوم ، وذلك لا يعود على الجسد إلا بما فيه ضعفه وانهياره .

**5- الحرمان من العون و التوفيق الإلهي :**

وذلك أن عون الله وتوفيقه لا يظفر بهما العبد إلا إذا كان على صلة طيبة بربه تتجلى في المواظبة على عمل اليوم و الليلة { إن الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون } ، { و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين } ، وإذا حدث وفرَّط المسلم في هذا العمل ، فقد قطع نفسه عن ربه وحينئذٍ يحرم العون و التوفيق ، ولعل ذلك هو ما نفهمه من قوله سبحانه { ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ، وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون }.

**6- فقد الهيبة أو التأثير في الناس :**

وذلك أن من فرط في عمل اليوم و الليلة فقد ضيع أعظم سلاح يؤثر به في الناس ، وسبى قلوبهم ، وهذا بدهي لأنه بهذا التفريط ضيع منزلته عند ربه ، ومن ضاعت منزلته عند ربه فقد ضاعت منزلته عند الناس .

وقد أشار إلى ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول :( يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تدعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذٍ ؟ قال : بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت ) .

**آثار التفريط في عمل اليوم و الليلة على العمل الإسلامي :**

ومن آثاره على العمل الإسلامي :

**1- طول الطريق مع كثرة التكاليف :**

ذلك أن عملاً يضيِّع المنتسبون إليه حق الله - تبارك وتعالى - عليهم ستطول به الطريق وتتضاعف عليه التكاليف وتحيط به المحن و الشدائد من كل ناحية ، لاسيما وأعداء الله ماضون في تنفيذ أساليبهم ومخططاتهم ، ولا يتوانون عن ذلك لحظة من ليل أو نهار ، وصدق الحق سبحانه حين قال على لسان نبي الله صالح عليه السلام { ... فمن ينصرني من الله إن عصيته } .

**2- عدم الثبات في ساعات المحن و الشدائد :**

وذلك أن المحن بطبيعتها قاسية وشديدة ، لا يطيقها البشر بحولهم وقوتهم ، وإنما لابد له من العون و التأييد الإلهي ، وأنى لمن فرَّطوا في جنب الله أن يرزقهم الله تحملاً أو ثباتاً ، ولعل هذا هو المفهوم من قوله تعالى { إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون } ، { يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم } ، ومن قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس :( يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف ) .

**رابعاً : علاج التفريط في عمل اليوم و الليلة :**

وبعد هذا نستطيع علاج التفريط في عمل اليوم والليلة باتباع ما يلي :

1- معايشة الكتاب و السنة ففيهما صورة صادقة لثواب الطائعين ، وعقاب العاصين ، وماهية هذا الثواب ، وذلك العقاب بل فيهما تحريض على ملازمة الطاعة وترك المعصية ، من خلال التذكير باطلاع الله - سبحانه - وإحاطة علمه بكل شئ و الرجوع إليه و المساءلة بين يديه و الجزاء وحسب المسلم أن يقرأ هذه الآيات { وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم

العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ، أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين } .

2- التحرر من المعاصي و السيئات لا سيما الصغائر فإنها سم قاتل ، ونار محرقة وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول :( إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلاً كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجئ بالعود حتى جمعوا سواداً فأججوا ناراً وأنضجوا ما قذفوا فيها ".

3 - التوسط في تعاطى المباحات لاسيما المطاعم و المشارب ، فإنها أساس كل بلية وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - :( ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ) .

4- إدراك دور المواظبة على عمل اليوم و الليلة في النجاح و القدرة على القيام بالأعباء و الواجبات ، فإن ذلك يحرر النفس من التفريط ويحملها على المواظبة و الملازمة .

5- تقدير النعمة وإنها لن تدوم إلا بالطاعات ، فإن ذلك يحرك النفوس المستقيمة للمواظبة على عمل اليوم و الليلة ، وفاء بحق الله وطمعاً في الاستمرار و الزيادة .

6- محاولة التوفيق بين المواظبة على عمل اليوم و الليلة و القيام بالواجبات الأخرى :( إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ، فأعط لكل ذي حق حقه ) .

7- مجاهدة النفس وأخذها بالحزم و الشدة ، مع اتهامها بالتقصير ومع ترك التسويف ، ومع تمنيتها بأنها إن تعبت اليوم ، ستتمتع غداً بالنعيم المقيم ، وتتلذذ بالنظر إلى وجه الله الكريم .

8- تقدير العواقب والآثار المترتبة عل التفريط في عمل اليوم و الليلة ، فلعل ذلك يحرك القلوب وتنعكس هذه الحركة على الجوارح فتكون المواظبة على عمل اليوم و الليلة .

9- ملازمة الجماعة ، و العيش في وسط صالح مستقيم ، فإن ذلك يذكر بالله ويشحذ الهمم و العزائم ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم :( ألا أنبئكم بخياركم ؟ ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : خياركم الذي إذا رُؤوا ذكر الله عز وجل ) .

10- الاستعانة التامة بالله - عز وجل - فإنه سبحانه يعين من استعان به ولجأ إلى حماه ولاذ بجنابه ، لاسيما في ساعات الاضطرار و الشدة { وقال ربكم ادعونى استجب لكم } ، { أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله قليلاً ما تذكرون } .

11- إدراك أن الدنيا دار عمل وغرس وزراعة ، وغداً سيكون الحصاد ، ومعرفة النتائج ، ولئن ضاعت الدنيا بغير طاعة ، كانت الخسارة التي لا خسارة بعدها :{ ... إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين } .

{ وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم } .

12- مواظبة ذوى الأسوة و القدوة على عمل اليوم و الليلة حتى لا يكونوا سبباً في فتنة وضياع غيرهم من الناس ، فيحتملون إثم أنفسهم وإثم اقتداء غيرهم بهم :( ... ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً ).

13- معايشة النبي صلى الله عليه وسلم في سيرته ، وكيف كان يصوم النهار حتى يقال إنه لا يفطر ، ويقوم الليل حتى يقال إنه لا ينام ، ومثل ذلك كان يصنع في باقي الطاعات ، مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، إن هذه المعايشة تحمل كل مفرط في عمل اليوم و الليلة على المواظبة ، من منطلق أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يصنع ذلك ، وقد وعده الله المقام المحمود فكيف بمن لا يعرف عاقبته ، وهل سيكون في الجنة أم مع أهل النار ؟.

14- دوام النظر في سيرة وأخبار السلف ، فإنها مليئة بصور حية مشرقة في المواظبة على عمل اليوم و الليلة ، تحمل كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد على الاقتداء و التأسي ، أو على الأقل المحاكاة و التشبه .

15- تذكر الذنوب والآثام الماضية ، فإن ذلك يحمل على المواظبة في عمل اليوم و الليلة تداركاً لما فات ، وطمعاً في تكفير هذه الذنوب ، وتلك الآثام ، وخير ما يصدق ذلك موقف السحرة من تهديد فرعون حين خالطت حلاوة الإيمان قلوبهم وردهم عليه :

{ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات و الذي فطرنا فاقض ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ، إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى } .

16- تذكر أن الموت يأتي بغتة ، وإذا لم يأت بغتة فسيسبقه المرض ثم يكون الموت ، ويكون الندم ولكنه بعد فوات الأوان وضياع الفرصة .

**الآفة الثانية والعشرون**

**المراء أو الجدال**

الآفة الثانية والعشرون التي قد يبتلى بها نفر من العاملين، بل لقد ابتلوا بها بالفعل، وكانت وراء كثير مما نعاني نحن المسلمين العاملين لدين الله اليوم إنما هي: "المراء أو الجدل".

وحتى يتخلص من هذه الآفة من ابتلي بها، ويتوقاها من سلمه الله - عز وجل - منها، فإنه لابد من الوقوف على حقيقة أبعادها ومعالمها، وذلك من خلال الجوانب الآتية:

أولا: تعريف المراء أو الجدال:

لغة

يطلق المراء في لغة العرب على معان عدة، أهمها:

1 - الشك، تقول: امترى في الشيء: تعني شك فيه، ومنه قوله سبحانه في التنزيل: {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُمْتَرِينَ} (البقرة 147).

2 - مخالفة الغير والتَّلوِّي عليه أو عدم الوضوح معه، تقول: مارى فلان فلانا، أي خالفه وتلوى عليه، أو لم يكن واضحا معه.

3 - المناظرة والجدل، تقول: مارى فلان فلانا، أي ناظره وجادله، ومنه قوله سبحانه: {فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا} (الكهف: 22).

4 - استخراج الشيء من مكمنه، تقول: امترى الشيء، أي استخرجه من مكمنه، وامترى الناقة، أي حلبها واستخرج اللبن من ضرعها.

5 - التزين والتجمل، تقول: تمرى بالشيء، أي تجمل وتزين . ([[117]](#footnote-118))

ولا تعارض بين هذه المعاني جميعا، فإن المناظرة أو المجادلة قد تكون في ظاهرها قائمة على التجمل والتزين، ولكنهها في باطنها تقوم على أساس استخراج ما عند الغير ومخالفته، بل والشك فيما يصدر عنه.

والجدل لغة: يطلق على معان عدة وأهمها:

1 - الصرع والغلبة، تقول: جدل الرجل، أي صرعه، وغلبه في الجدل.

2 - الإتقان والحسن،تقول: جدل الحبل جدلا، أي أحكم فتله وأتقن، وجارية مجدولة الخلق، أي حسنته.

3 - شدة الخصومة والمناقشة، تقول: جادله مجادلة وجدالا: ناقشه، وخاصمه، ومنه قوله سبحانه في التنزيل: {وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (النحل: 125).

{وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (العنكبوت).

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (المجادلة).

4 - مقابلة الحجة بالحجة، تقول: جادل فلان فلانا: قابل حجته بحجة من عنده . ([[118]](#footnote-119))

ولا تعارض بين هذه المعاني جميعا، فإن إتقان وحسن الخصومة والمناقشة ينتهي إلى الصرع والغلبة غالبا.

اصطلاحا:

أما معنى المراء في اصطلاح الدعاة، فقد عرفه الغزالي في إحياء علوم الدين بقوله: "كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى، وإما في قصد المتكلم" . ([[119]](#footnote-120))

كما عرف الجدل بقوله: "قصد إفحام الغير، وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه، ونسبته إلى القصور والجهل فيه"، وهو غالبا ما يكون في المسائل العلمية، أما المراء فهو عام في المسائل العلمية وغيرها . ([[120]](#footnote-121))

ثانيا: صور المراء أو الجدال، ووضعهما في ميزان الإسلام:

وللمراء أو الجدل صور أو أمارات يعرف بها كل واحد منهما وأهمها:

1 - الطعن في كلام الغير من حيث اللفظ، بإظهار خلل فيه من جهة النحو، أو من جهة اللغة، أو من جهة العربية، أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير.

2 - الطعن في كلام الغير من حيث المعنى، بأن يقول المماري: ليس الكلام كما تقول، وقد أخطأت فيه من وجه كذا، وكذا.

3 - الطعن في كلام الغير من حيث القصد، بأن يقول المماري لخصمه: هذا الكلام حق، ولكن ليس قصدك منه الحق، وإنما أنت فيه صاحب غرض، وما يجري مجراه . ([[121]](#footnote-122))

والمراء أو الجدال على هذا النحو مذمومان، وذلك للنصوص الكثيرة الدالة على هذا، ومنها قوله تعالى:

{فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا} (الكهف).

{إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ} (الشورى).

{فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى} (النجم).

{قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ}.

{ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ} (مريم).

{أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى} (النجم).

{وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} (غافر).

{وَلا تُجَادِلْ عَنْ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا} (النساء).

{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} (الأنعام).

{الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا} (غافر: 35).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه" ، ([[122]](#footnote-123)) "ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل"، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} (الزخرف)" ، ([[123]](#footnote-124)) "أبغض الرجال الألذ الخصم" ، ([[124]](#footnote-125)) إلى غير ذلك من النصوص الدالة بصراحة ووضوح على ذم المراء أو الجدل.

"وهذا لا يمنع أن هناك نوعا من الجدل محمود، وهو ما كان دعوة إلى حق أو إيضاحا وبيانا ودفاعا عن حق، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى:

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـن} (النحل: 125).

{وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم} (العنكبوت: 46).

{يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} (النحل).

{فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ} (هود).

ثالثا: أسباب الوقوع في المراء أو الجدال:

وهناك أسباب أو بواعث توقع في المراء أو الجدل ونذكر منها:

1 - عدم رعاية آداب النصيحة:

وذلك أن للنصيحة في الإسلام آدابا، وأهمها: أن تكون في السر ما لم يجاهر بها صاحبها، وأن تكون بالأسلوب المناسب وفي اللحظة المناسبة، وأن تكون بنية الإصلاح والتغيير إلى ما هو أحسن، وأن تكون خالصة لوجه الله تعالى، وأن يتجرد الناصح من حوله وقوته إلى حول الله وقوته. وعدم رعايته هذه الآداب قد يولد في نفس المنصوح نوعا من العزة بالإثم، ويحاول التعبير عنها في شكل مراء أو جدل ليبرر به ما هو عليه من خطأ، ولا يقبل النصيحة.

2 - عدم الحظوة بثقة واحترام الآخرين:

وذلك أن المرء قد لا يحظى لسبب أو لآخر بثقة واحترام الآخرين سواء كان ذلك في البيئة القريبة - ونعني بها البيت - أم في البيئة البعيدة - ونعني بها المجتمع - ويكون هذا منزلقا أو مدخلا خطيرا للوقوع في المراء أو الجدل، كرد فعل يحاول به إثبات وجوده، وحمل الآخرين على الثقة به واحترامه.

ولعل هذا هو السر في منع الإسلام الكذب ولا سيما على الصغار ؛ لأنه يؤدي إلى سحب الثقة، أو نزع الهيبة والاحترام من نفوس الآخرين، يقول صلى الله عليه وسلم:

"عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وان البر يهدي إلى الجنة، وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا" . ([[125]](#footnote-126)) "من قال لصبي: تعال هاك، ثم لم يعطه فهي كذبة" . ([[126]](#footnote-127))

وعن رجل من موالي عبد الله بن عامر بن ربيعة العدوي، أن عبد الله بن عامر حدثه فقال : دعتني أمي يوما، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وما أردت أن تعطيه؟" قالت: أعطيه تمرا، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما إنك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة" . ([[127]](#footnote-128))

3 - الميل إلى الغلبة وعدم قبول الهزيمة:

وقد يكون الميل إلى الغلبة، وعدم قبول الهزيمة سببا من أسباب الوقوع في المراء أو الجدل؛ ذلك أن المرء قد يكون ميالا بطبعه إلى الغلبة، ولا يقبل الهزيمة، ويستخدم في سبيل تحقيق هذا الميل كل ما يتاح له من أسباب ووسائل، ويكون المراء أو الجدل واحدا من هذه الأساليب، وتلك الوسائل.

ولعل هذا هو السر في دعوة الإسلام إلى الإنصاف من النفس، إذ يقول الله تبارك وتعالى:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} (النساء).

{ياَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (المائدة).

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار" . ([[128]](#footnote-129))

4 - البيئة المحيطة بالمرء :

وقد تكون البيئة التي ينشأ فيها المرء، قريبة كانت هذه البيئة - ونعني بها البيت - أو بعيدة - ونعني بها المجتمع - هي السبب في الوقوع في المراء أو الجدل ؛ ذلك أن المرء كثير ما يتأثر بالجو المحيط به، ولا سيما إذا لم يكن قد أخذ حظه من التربية على كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وتشيع هذه الآفة في هذا الجو، وحينئذ يقع فريسة لها، ويصير من أخلاقه: المراء أو الجدل.

5 - التشويش على الحق والصواب:

وقد يكون التشويش على الحق والصواب، هو السبب في الوقوع في المراء أو الجدل، ذلك أن المرء قد يكون على باطل أو خطأ، ويرى شمس الحق ونور الصواب يغزوان هذا الباطل وذلك الخطأ، ويحاولان اقتحام العقل والقلب معا، وهو لا يريد ذلك لسبب أو لآخر، وحينئذ يجعل من المراء أو الجدل سبيلا للتشويش على الحق والصواب، على نحو ما قال المشركون لبعضهم البعض، وهم يتشاورون على كيفية مواجهة الوحي الذي أوحاه الله إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقد حكاه القرآن عنهم فقال: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} (فصلت).

وعلى نحو ما يصنعه الملحدون والعلمانيون والمشركون في مواجهتهم للإسلام في العصر الحاضر من استخدام المراء أو الجدل سبيلا لقلب الحقائق وإدانة الأبرياء، وتبرئة المتهمين، انطلاقا من قاعدتهم المعروفة: "واجه خصمك بالتشويش والتهويش تصب منه ولو إلى حين".

6 - الاشتغال بعلوم الجدل والمناظرة قبل التحصن بالكتاب والسنة:

وقد يكون الاشتغال بعلوم الجدل والمناظرة من المنطق والفلسفة، هو السبب في الوقوع في المراء أو الجدل ولا سيما قبل التحصن بالكتاب والسنة، ذلك أن هذه العلوم قائمة على الجدل، وتضييع الأوقات بغير طائل، أو بغير جهد يذكر، ومن اشتغل بها قبل أن يحصن نفسه بكتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، يبتلى لا محالة بداء المراء أو الجدل.

ولعل هذا هو سر اختلاف علماء المسلمين في حكم تعلم الفلسفة، والمنطق، فمن قائل بالجواز، وهو سيف الدين الآدمي، انطلاقا من أن الإنسان لديه عقل منحه الله إياه، يستطيع أن يزن به الأمور، وأن يميز به بين الحق والباطل، النافع والضار، ومن قائل بالمنع، وهو الحافظ أبو عمر؛ المعروف بابن الصلاح، انطلاقا من أن هذه العلوم تُعلّم المراء أو الجدل، وتنتهي بالإنسان إلى الشك وربما إلى الإلحاد والعياذ بالله، ومن متوسط يجيزها إذا صارت لدى المسلم حصانة من كتاب الله، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ويمنعها إذا لم تتحقق هذه الحصانة حيث يخشى على المسلم حينئذ الشطط والفتنة في الدين، وهو قول الإمام النووي - رحمه الله تعالى.

7 - الإعجاب بالنفس بل الغرور :

وقد يكون الإعجاب بالنفس بل الغرور والتكبر، هو السبب في الوقوع في المراء أو الجدل؛ ذلك أن من كان معجبا بنفسه، بل مغرورا متكبرا يلجأ إلى كثير من الأساليب والوسائل ليحتفظ بما ارتضاه لنفسه من هذه الأمراض والآفات.

ويعد المراء أو الجدل من أهم هذه الأساليب وتلك الوسائل، وهذا هو الذي صنعه إبليس - لعنه الله - عندما أمر مع الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام، وامتنع، وقال له ربه: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَاسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْعَالِينَ} (ص). عند ذلك رد على ربه في مراء وجدل قائلا: {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} (ص).

ولعل ذلك هو ما أشار إليه رب العزة حين قال: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ} (غافر: 56).

8 - فراغ القلب من معرفة الله وتقواه:

وذلك أن القلب إذا فرغ من معرفة الله وتقواه، بمعنى مراقبته وخوفه ورجائه، بصورة تحمل على الاستقامة، دخلت الدنيا هذا القلب، وتربعت على عرشه، ووسوس الشيطان، وبرزت النفس الأمارة بالسوء، وهنا يكون الاشتغال بما لا يسمن ولا يغنى من جوع من المراء أو الجدل، ومن الخصومة بالباطل وهكذا، ولهذا دعا رب العزة عباده إلى مقاومة الفراغ بتنويع العبادة لئلا تسأم النفس أو تمل، ويكون الفتور أو القعود، الأمر الذي ينتهي بالوقوع في حبائل المراء أو الجدل فقال سبحانه: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} (الشرح).

يقول الحافظ ابن كثير- تعليقا على هاتين الآيتين وتفسيرا لهما بما أثر عن السلف: "أي إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها، وقطعت علائقها فانصب إلى العبادة وقم إليها نشيطا فارغ البال، واخلص لربك النية والرغبة، وقال مجاهد في هذه الآية: إذا فرغت من أمر الدنيا فقمت إلى الصلاة فانصب لربك، وعن ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل،، وفي رواية عنه: فانصب بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس، وقال ابن عباس: فإذا فرغت فانصب في الدعاء، وقال الضحاك: فإذا فرغت، أي من الجهاد، فانصب، أي في العبادة. وإلى ربك فارغب: قال الثوري: اجعل نيتك، ورغبتك إلى الله عز وجل" . ([[129]](#footnote-130)) ويقول العلامة الألوسي - رحمه الله: "وأشعرت الآية بأن اللائق بحال العبد أن يستغرق أوقاته بالعبادة... وذكروا أن قعود الرجل فارغا من غير شغل، أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل، واستيلاء الغفلة. وعن عمر رضي الله عنه: إني لأكره أن أرى أحدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنياه ولا في عمل آخرته. وروي أن شريكا مر برجلين يصطرعان، فقال: ما بهذا أمر الفارغ" . ([[130]](#footnote-131))

9 - عدم وجود برنامج يواكب ويمتص الطاقات:

وقد يكون عدم وجود برنامج يواكب ويمتص الطاقات لدى المرء، هو السبب في الوقوع في المراء أو الجدل؛ ذلك أن نفس المرء إن لم يشغلها بالنافع شغلته بالضار.

وقد حدد الإسلام برنامجا يستوعب حياة المسلم في اليوم والليلة، وفي الأسبوع، وفي الشهر، وفي السنة، وفي العمر كله بحيث إذا حافظ عليه لم تبق لديه دقيقة تستغل في مراء أو جدل، كما شدد الإسلام على الأئمة أن يستفرغوا كل ما في وسعهم وكل ما في طاقتهم، من أجل أن يستنبطوا ما يملأ على المسلم حياته بالعمل الجاد المثمر وإلا حرموا الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: "ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح، إلا لم يدخل معهم الجنة" . ([[131]](#footnote-132))

10 - الغفلة عن الآثار والعواقب المترتبة على المراء أو الجدل:

وأخيرا، قد تكون الغفلة عن الآثار والعواقب المترتبة على المراء أو الجدل هي السبب في الوقوع في المراء أو الجدل، فإن من غفل عن الآثار الضارة، والعواقب المهلكة لأي أمر من الأمور أدت به هذه الغفلة إلى الوقوع في هذا الأمر .

ولعل هذا من بين الأسرار التي من أجلها تأتي أحكام كثيرة في التشريع الإسلامي مقرونة بحكمة التشريع، ولعل هذا هو السر كذلك في كثرة التكرار ودوام التذكير، بل الأمر به في قوله سبحانه:

{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} (الذاريات).

{فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَى} (الأعلى).

رابعا: آثار المراء أو الجدل:

وللمراء أو الجدل آثار ضارة وعواقب مهلكة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي، ودونك طرفا من هذه الآثار وتلك العواقب:

أ - على العاملين:

فمن آثار المراء أو الجدل على العاملين:

1 - قسوة القلب:

ذلك أن المراء أو الجدل مبني على الكلام الكثير الذي لا فائدة ترجى من ورائه، ولا طائل تحته سوى إفحام الخصم، والغلبة عليه ولو بالباطل . وكثرة الكلام بغير ذكر الله فيها قسوة للقلب، فكيف لو كانت بالباطل، وقد جاء في الحديث: "لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسي" . ([[132]](#footnote-133))

وقال مالك بن أنس - رحمه الله - إمام دار الهجرة: "المراء يقسِّي القلوب..." . ([[133]](#footnote-134))

2 - إغضاب الآخرين، الأمر الذي يؤدى إلى البغض والقطيعة والتآمر:

وذلك أن من يشتغل بالمراء أو الجدل ينسى العمل ويركز على القول، ولا بركة في قول لا يصحبه عمل، كما قال الله عز وجل: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} (الصف). إذ في ذلك قطع للعبد عن ربه، فيقسو القلب، ويكون الغضب، بل البغض والقطيعة والتآمر من الآخرين.

وقد وعى هذا الأثر لقمان الحكيم فقال يوصي ولده: "يا بني، لا تجادل العلماء فيمقتوك..." . ([[134]](#footnote-135))

كما وعاه الإمام مالك فقال: " المراء يقسي القلب، ويورث الضغائن".

ووعاه سفيان الثوري فقال: "لو خالفت أخي في رمانة، فقال: حلوة، وقلت: حامضة لسعي بي إلى السلطان" ، ([[135]](#footnote-136)) وقال أيضا: "صاف من شئت ثم أغضبه بالمراء، فليرمينَّك بداهية تمنعك العيش" . ([[136]](#footnote-137))

3 - ضياع الهيبة وسقوط المروءة:

وذلك أن المراء أو الجدل يحمل صاحبه على أن يكشف عن كل أوراقه، ويرمي خصمه بكل ما يستطيع، وإذا كشف المرء عن كل أوراقه، ورمى خصمه بكل ما يستطيع ضاعت هيبته، وسقطت مروءته لا محالة، إذ المرء كما قيل: مخبوء تحت لسانه، وفي هذا يقول عيسى عليه السلام: "من كثر كذبه ذهب جماله، ومن لاحى الرجال سقطت مروءته..." . ([[137]](#footnote-138))

4 - عدم أمن الفتنة في الدين:

وذلك أنه كثير ما تعترض الشبهات طريق المرائي أو المجادل وقد لا يتمكن من الرد على هذه الشبهات، وحينئذ يتسرب الشك إلى نفسه، وقد يقوى هذا الشك إلى حد الفتنة وترك الدين والعياذ بالله، وماذا بقى للمرء بعد الفتنة وضياع الدين؟!

وقد وعى هذا الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود فقال: "ذروا المراء، فإنه لا تفهم حكمته، ولا تؤمن فتنته..." . ([[138]](#footnote-139))

كما وعاه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز قال: "من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل" . ([[139]](#footnote-140))

ب - على العمل الإسلامي :

ومن آثاره على العمل الإسلامي:

1 - الفرقة والتمزق:

وذلك أن من أورثه المراء أو الجدل: قسوة القلب، وإغضاب الآخرين إلى حدّ البغض والقطيعة، والتآمر، وضياع الهيبة، وسقوط المروءة، وعدم أمن الفتنة في الدين، لا يمكن أن يتآلف قلبه مع قلوب العاملين لدين الله ممن سلمهم الله من هذه الآفة فتكون القطيعة والفرقة.

2 - تمكن العدو مع طول الطريق وكثرة التكاليف:

وحين تكون القطيعة والفرقة يتمكن العدو منا، وتطول الطريق، وتكثر التكاليف، سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا، وواقع العاملين اليوم يشهد بذلك، إذ الاختلاف حول أسلوب العمل إلى حد المراء أو الجدل هو الذي أدى إلى القطيعة والفرقة، ومن ثم تمكن الأشرار، وطالت الطريق، وكثرت التكاليف.

خامسا: طريق العلاج بل الوقاية من المراء أو الجدل:

وعلى ضوء ما قدمنا يمكن رسم طريق العلاج بل الوقاية من المراء أو الجدل على النحو التالي :

1 - ملء القلب بمعرفة الله وتوحيده وتقواه، فإن ذلك من شأنه أن يقضي بل يقي النفس من الوقوع في سائر الآفات، ومنها هذه الآفة، ويعين على ذلك التدبر في نعم الله التي تغمرنا من أعلى إلى أدنى، ظاهرة كانت أو باطنة، وذلك من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكذلك من خلال النظر في الكون. وفي القرآن الكريم ما يؤكد هذه الوسيلة إذ يقول - سبحانه:

{كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} (النحل).

{وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ} (الذاريات)، كما يعين على ذلك الاستقامة المتمثلة في ترك المعاصي والسيئات صغيرها وكبيرها، ثم المحافظة على الفرائض، والمواظبة على النوافل.

2 - رعاية الآداب الإسلامية التي لابد منها في النصيحة من ضرورة أن تكون في السر لمن لم يجاهر بها، وأن تكون بالأسلوب المناسب وفي اللحظة المناسبة، وأن تكون بنية الإصلاح والتغيير لما هو أحسن، وأن تكون خالصة لوجه الله تعالى، وأن يتجرد الناصح من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، إلى غير ذلك من الآداب التي يجمعها قوله سبحانه:

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ} (النحل: 125).

{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي} (يوسف: 108)

{فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} (طه).

فإن رعاية هذه الآداب من شأنها أن تقضي على المراء أو الجدل، والقصة التالية خير ما يشرح ذلك:

"أصاب المأمون بخراسان كانونا من ذهب مرصعا بجواهر كثيرة، قيل: إنه كان ليزدجر بن شهريار الفارسي، لا تعرف قيمته لكثرتها، فقال ذو الرياستين: الفضل بن سهل الصولت - وكان من دعاة الشعوبية: يا أمير المؤمنين، الرأي أن تجعله في الكعبة يوقد عليه العود، والند بالليل والنهار، فقال المأمون: أفعل، وأمر بحمله إلى مكة، واتصل الخبر بيزيد بن هارون المحدث، فأمر مستمليه أن يقف يوم الخميس عند اجتماع الناس، وأصحاب الحديث فيشكر المأمون، ويدعو له، ويخبر بخبر الكانون، ففعل المستملي ذلك، فلما سمع يزيد كلامه، صاح وانتهره، وقال له: ويلك، اسكت، إن أمير المؤمنين أجل قدرا، وأعلم بالله - عز وجل - من أن يجعل بيته بيت نار، فكب أصحاب البريد إلى المأمون، فأمر بكسر الكانون، وبطل ما دبره ذو الرياستين" . ([[140]](#footnote-141))

3 - إشعار الغير بالاحترام والتوقير حتى مع اختلاف الفكر وتعارض الرأي، فإن ذلك من شأنه أن يقضي على الإصرار أو العناد المتمثل في المراء أو الجدل، وحسبنا أن النبي صلى الله عليه وسلم رد على عتبة بن ربيعة لما جاء رسولا من قبل قريش يريد إثناءه صلى الله عليه وسلم عن دعوته، عن طريق الاحتواء بواسطة الدنيا ممثلة في الشرف والسؤدد، والوجاهة والملك، والمال، والمداوا ة من الأمراض والعلل إن كانت هي مصدر ما يحدثهم به من شئون الوحي، رد عليه صلى الله عليه وسلم في أدب واحترام وتوقير، مع اختلاف فكر، ورأى كل واحد منهما على الآخر بقوله: "قل أبا الوليد أسمع لك"، "أفرغت أبا الوليد؟" الأمر الذي كان سببا في امتصاص ما عند عتبة من إصرار أو عناد أو ما نسميه بالمراء أو الجدل حتى إذا سمع آيات من كتاب الله، وفي آخرها إنذار بالعذاب على نحو ما وقع لعاد وثمود خاف وأمسك بفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: ناشدتك الله والرحم إلا ما أمسكت، فإني أخشى أن تنزل علي هذه الصاعقة . ([[141]](#footnote-142))

ثم عاد إلى قومه يطلب منهم أن يخلوا بين النبي وبين ما يقول، إذ لا يمكن أن يكون ما سمع من قول البشر.

وحسبنا أيضا موقف الشيخ حسن البنا - رحمه الله - من كثير من مخالفيه ومعارضيه من أبناء عصره، ولا سيما الدكتور طه حسين، حيث كان يمنحهم مع اختلافه معهم حقهم من الاحترام والتقدير، الأمر الذي قطع عليهم طريق المراء أو الجدل.

إذ يذكر المعاصرون للشيخ حسن البنا: أنه لما نشر طه حسين كتابه: "مستقبل الثقافة في مصر"، وضمَّنه ما يجب أن تتجه إليه الثقافة في مصر من ضرورة الأخذ بالحضارة الغريبة: خيرها وشرها، حلوها ومرها، هاجت الدنيا وماجت، وتناولت أقلام النقاد الكاتب بين قادح ومادح، ولم يكترث طه حسين بكل ما كتب وصمم على وضع آرائه في الكتاب موضع التنفيذ باعتباره مستشار وزارة المعارف (التربية والتعليم ا لآن)، وهنا اتصل بعض الغيورين من أصدقاء الشيخ حسن البنا به، وطلبوا إليه أن يكتب نقدا للكتاب، ورد الشيخ حسن البنا بأنه لم يطلع على الكتاب لضيق وقته وكثرة الصوارف، وألحوا عليه في ضرورة قراءة الكتاب، وبيان كلمة الإخوان قبل أن يوضع الكتاب موضع التنفيذ، لا سيما وأنه سيؤدي إلى تغيير جذري في سياسة البلد الثقافية، ولم يكتفوا بذلك، بل أخبروه أنهم حددوا موعدا لبيان ذلك في دار الشبان المسلمين وطبعوا الدعوات، وكان الموعد بعد خمسة أيام، يقول الشيخ حسن البنا: ولم أكن أستطيع التحلل من مواعيد كنت مرتبطا بها في خلال هذه الأيام الخمسة، وعليه فما كنت أجد وقتا لقراءة هذا الكتاب إلا فترة ركوبي الترام في الصباح إلى مدرستي، وفترة رجوعي منها في الترام - وكان يعمل في مهنة التدريس - وقدر الله، وأتيت عل الكتاب من أوله إلى آخره ؟ لأنه لم يكن كبير الحجم، وكنت أضع علامات بالقلم الرصاص على فقرات معينة، ولم تمض الأيام الخمسة حتى كنت قد استوعبت الكتاب كله، وفي الموعد المحدد ذهبت إلى دار الشبان، فوجدتها على غير عادتها غاصة، والحاضرون هم رجالات العلم، والأدب، والتربية في مصر، ووقفت على المنصة، واستفتحت بحمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبجانبي الدكتور يحيى الدرديري السكرتير العام للشبان المسلمين، ورأيت الكتاب كله منطبعا في خاطري بعلاماتي التي كنت علمتها بالقلم الرصاص .

قال: وبدأت أول ما بدأت، فقلت: إنني لن أنقد هذا الكلام من عندي وإنما سأنقد بعضه ببعض، وأخذت - ملتزما بهذا الشرط - أذكر العبارة من الكتاب، وأعارضها بعبارة أخرى من نفس الكتاب، ولاحظ الدكتور الدرديري أنني في كل مرة أقول: يقول الدكتور طه في الكتاب في صفحة كذا، وأقرأ العبارة بنصها من خاطري، ثم أقول: ويناقض الدكتور طه نفسه فيقول في صفحة كذا، وأقرأ العبارة بنصها أيضا من خاطري، فاستوقفني الدكتور الدرديري، وطلب إلي أن أمهله حتى يحضر نسخة من الكتاب ليراجع معي النصوص والصفحات لأنه قرأ الكتاب، ولم يلاحظ فيه هذا التناقض، وكأنه لم يقرأ العبارات التي يسمعها الآن، وجيء له بالكتاب وظل يتابعني، فيجد العبارات لا تنقص حرفا ولا تزيد حرفا، ويجد الصفحات كما أحددها تماما، فكاد الدكتور الدرديري يجن، كما ساد الحاضرين جو من الدهشة والذهول، والكل يتجه -كلما قرأت من خاطري عبارتين متناقضتين - إلى الدكتور الدرديري، كأنهم يسألونه: أحقا هذه العبارات في الكتاب ؟ فيقول الدكتور الدرديري في كل مرة: بالنصوص والصفحات.

وهكذا حتى انتهى الكتاب وانتهت المحاضرة، وقام الجميع وفي مقدمتهم الدكتور: الدرديري بين معانق ومقبل، يقول الشيخ حسن البنا: ولما هممت بالانصراف رجاني الدكتور الدرديري أن أنتظر برهة؟ لأنه يريد أن يسرَّ حديثا، واقترب مني وأسر في أذني سرا تعجبت له. قال: لما نشرنا عن موضوع محاضرتك وموعدها اتصل بي الدكتور: طه حسين، وطلب إلي أن أعد له مكانا في هذه الدار يستطيع فيه أن يسمع كل كلمة تقولها دون أن يراه أو يعلم بوجوده أحد، فأعددنا له المكان، وحضر المحاضرة من أولها إلى آخرها ثم خرج دون أن يراه أو يعلم به أحد.

وفي اليوم التالي: طلب الدكتور طه حسين من أحد موظفي وزارة ا المعارف، وكان على صلة وثيقة بالشيخ حسن البنا، أن يرتب له اجتماعا مع الشيخ حسن البنا في أي مكان بحيث لا يكون معهما أحد، وبحيث لا يعلم بهما أحد، وليكن هذا المكان في بيته أو بيتي، أو في مكتبي هنا، ووافق الشيخ حسن البنا ورأى أن يكون الاجتماع في مكتبه بالوزارة، وتم الاجتماع، وبدأه الدكتور طه حسين بقوله: لعلك يا أستاذ حسن لا تعلم بأنني حضرت محاضرتك، وبأنني كنت حريصا على حضورها، وعلى الاستماع إلى كل كلمة تقولها، لأنني أعرف من هو حسن البنا، وأقسم لك لو أن أعظم عظيم في مصر كان في مكانك ما أعرته اهتماما، قال الشيخ حسن البنا: فشكرته ثم سألته عن رأيه في المواضع التي وجهت النقد إليها في الكتاب، وهل لديه من ردّ عليها؟

قال الدكتور طه حسين: ليس لي ردّ على شيء منها، وهذا نوع من النقد لا يستطيعه غيرك، وهذا هو ما عناني مشقة الاستماع إليك، ولقد كنت أستمع إلى نقدك لي، وأطرب... وأقسم يا أستاذ حسن لو كان أعدائي شرفاء مثلك لطأطأت رأسي لهم، لكن أعدائي أخسَّاء، لا يتقيدون بمبدأ ولا بشرف، إن أعدائه هم الأزهريون وقد ظنوا أنهم يستطيعون أن يمحوا اسمي من التاريخ، وقد كرست حياتي لإحباط مكايدهم، وهأنذا بحمد الله في الموضع الذي تقطع أعناقهم دونه... ليت أعدائي مثل حسن البنا؟ إذن لمددت لهم يدي من أول يوم" . ([[142]](#footnote-143))

أرأيت كيف يصنع الاحترام والتقدير للآخرين حتى مع اختلاف الفكر، وتباين الرأي ؟ إنه يمتص من نفوسهم المراء أو الجدل على النحو الذي نطق به هذا المقال.

4 - تدبر نظرة الإسلام إلى المراء أو الجدل، وذلك بدوام النظر في الآيات والأحاديث الواردة في كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم حول هذه الآفة، فإن لذلك دورا كبيرا في علاج النفس بل حمايتها من المراء أو الجدل.

5 - تحري العيش في وسط سليم من المراء أو الجدل، فإن ذلك يعين النفس بل يحفظها من الوقوع في غوائل هذه الآفة.

6 - قيام الأمة وولي الأمر بواجبهما نحو هذا الصنف من الناس، كل بما يتناسب مع طاقاته وإمكاناته، فالجميع ينصحون، وينكرون بألسنتهم، وولي الأمر يتولى التعزير إن اقتضى المقام ذلك، والأمة تعتزل وتقاطع، حتى تستقيم حال هؤلاء، وقصة عمر من صبيغ بن عسل برهان عملي على صحة ما نقول، إذ تحكي كتب التاريخ: أن صبيغ بن عسل جعل يسأل عن متشابه القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه، فقال: أين الرجل؟ أبصر لا يكون ذهب فتصيبك مني العقوبة الوجيعة . فأتي به، فقال عمر: "سبيل مُحْدَثة" أي بدعة جديدة، فأرسل إلي رطائب من جريد، فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة ( أي قرحة )، ثم تركه حتى برئ ثم عاد له، ثم تركه حتى برئ، فدعا به ليعود.

فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: ألا يجالسه أحد من المسلمين.

قال أبو عثمان النهدي: فلو جاءنا ونحن مائة لتفرقنا عنه.

وقال زرعة: رأيت صبيغا كأنه أجرب، يجيء إلى الحلقة ويجلس وهم لا يعرفونه، فتناديهم الحلقة الأخرى: عزمة أمير المؤمنين عمر، فيقومون، ويدعونه، فاشتد ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى إلى عمر، أنه قد حسن أمره، فكتب إليه عمر: أن ائذن للناس بمجالسته . ([[143]](#footnote-144))

7 - مجاهدة الآباء والأمهات أنفسهم كي يتطهروا من هذه الآفة إن كانوا مصابين بها، فإن عجزوا مع أنفسهم، فليكن ظهورها في أضيق الحدود وبعيدا عن أعين الأبناء لئلا تتسرب العدوى إليهم، فيكونون من الدعاة إلى الشر والضلالة، يحملون إثم أنفسهم وإثم من اقتدى بهم، إذ يقول صلى الله عليه وسلم: (... ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا" . ([[144]](#footnote-145))

8 - علاج أو مداواة النفس من الإعجاب، بل الغرور، بل التكبر على نحو ما جاء في طريق الخلاص من هذه الآفات في الجزء الأول، فإن النفس إذا سلمت من هذه الآفات، تداوت أو عولجت من كل ما يترتب عليها من آثار ولا سيما المراء أو الجدل.

9 - البعد عن الاشتغال بعلوم الجدل والمناظرة، وإذا كان ولابد من الاشتغال بهذه العلوم، فليكن بعد التحصُّن، والتحصن الشديد بكتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فإنهما عصمة وأمان من كل شر أو فتنة.

10 - التحرك من خلال منهج يسد الفراغ، ويعمل الطاقات، ويربط النفس بربها: باريها، ومالكها، والمتصرف فيها حتى لا توجد لحظة فراغ تستغل من قبل شياطين الجن والإنس في تدنيس النفس بهذه الآفة، ولا سبيل لذلك بصورة تامة دقيقة إلا في حضن جماعة مسلمة جامعة لصفات وضوابط الجماعة المسلمة حقا.

11 - مجاهدة النفس، وتعويدها على الجرأة والشجاعة في الاعتراف بالخطأ وقبول الحق من الغير وإن كان مرا، إذ الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، والمهم هو ظهور الحق بغض النظر: على لسان من ظهر هذا الحق؟ فإن مثل هذه المجاهدة تساعد كثيرا في علاج بل سلامة النفس من هذه الآفة.

12 - تذكر العواقب والآثار المترتبة على المراء أو الجدل، فإن المرء إذا أدرك العواقب الضارة والآثار المهلكة لأي عمل من الأعمال امتنع عن الإتيان بهذا العمل، خشية أن تصيبه هذه العواقب وتلك الآثار.

13 - الاستعانة التامة بالله عز وجل عن طريق ذكره الدائم المستمر، بالعقل، وباللسان، وبالقلب، وبالجوارح وبالسلوك، فإن الله بيده مقاليد السموات والأرض، وهو سبحانه يعين من استعان به ولجأ إليه إن كان صادقا في هذه الاستعانة وفي هذا اللجوء.

قال تعالى: {قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سيقولون لله...} (المؤمنون).

{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ...}(البقرة: 152).

14 - دوام النظر في سير السلف، وكيف كان بعدهم عن المراء أو الجدل، بل كراهيتهم، ومقاطعتهم لمن ابتلوا بذلك، ولكن بعد الإرشاد وبذل النصيحة.

15 - معاملة من يخالفوننا في الرأي على أن رأينا صواب يحتمل الخطأ، وأن رأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب، فإن المعاملة بهذه الصورة من شأنها أن تستل الأحقاد من الصدور، وأن تقضي على المراء أو الجدل.

16 - رؤية الكلام على أنه من العمل، فإن من يرى كلامه من عمله يقل كلامه إلا فيما يعنيه، وبذلك يغلق باب واسع من أبواب المراء أو الجدل.

الآفة الثالثة والعشرون

القعود

والآفة الثالثة والعشرون التي قد يبتلى بها نفر من العاملين لدين الله بل لقد أصيب بها بالفعل نفز من هؤلاء، وكانت وراء تمكّن الباطل وإحكامه القبضة حول أعناقنا إنما هي: "القعود".

وحتى يتطهّر منها من ابتلى بها، ويقي نفسه من سلّمه الله - عز وجل - منها، فإنه لابد من إعطاء تصور صحيح واضح عنها، وذلك على النحو التالي:

أولا: تعريف القعود:

لغة

يأتي القعود في لغة العرب على معان، منها:

1 - الجلوس بعد قيام، نقول: قعد فلان: جلس بعد أن كان قائما.

2 - الانقطاع والترك للأمر، أو التأخر عنه، نقول: قعدت المرأة عن الحيض والولد: انقطعت، وقعد عن الأمر : تركه أو تأخر عنه.

3 - الاحتباس عن الشيء، نقول: ما قعَّدك عن الأمر، وأقعدك، أي ما حبسك .

4 - عدم الاهتمام بالأمر، نقول: قعد عن الأمر: ليس مهتما به .

5 - الداء يصيب الجسد فيقعده، وقيل: داء يأخذ في أوراك الإبل، فيميلها إلى الأرض أو هو الزَّمِن الذي لا يشفى.

ولا تعارض بين هذه المعاني جميعا، فإن الداء حين يصيب الجسد ويتمكن منه، يعوق صاحبه عن مواصلة السير، فإذا هو قاعد أو منقطع، أو على الأقل متأخر مع عدم اكتراث واهتمام . ([[145]](#footnote-146))

اصطلاحا:

والقعود في اصطلاح الدعاة العاملين لدين الله: مرض يصيب الداعية من داخله يعوقه عن مواصلة السير في الطريق إلى نهايتها، فإذا هو قاعد أو منقطع، أو على الأقل متأخر عن الركب دون اكتراث أو مبالاة واهتمام.

يقول ابن عطية - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: {وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} (التوبة) والقعود هنا عبارة عن التخلف والتراخي كما في قول الشاعر:

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي . ([[146]](#footnote-147))

ويقول العلامة الألوسي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: "تمثيل لخلق الله تعالى داعية القعود فيهم، وإلقائه سبحانه كراهة الخروج في قلوبهم بالأمر بالقعود، أو تمثيل لوسوسة الشيطان بذلك، فليس هنا قول حقيقة، ونظير ذلك قوله سبحانه: {فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ}- أي أماتهم - ويجوز أن يكون حكاية قول بعضهم لبعض، أو إذن الرسول صلى الله عليه وسلم لهم في القعود، فالقول على حقيقته. والمراد بالقاعدين: الذين شأنهم القعود والجثوم في البيوت كالنساء، والصبيان، والزَّمنى - أي المرضى مرضا مقعدا - أو الرجال الذين يكون لهم عذر يمنعهم عن الخروج، وفيه على بعض الاحتمالات من الذم مالا يخفى على متدبر" . ([[147]](#footnote-148))

وواضح أن بعض الاحتمالات التي توجب الذم في نظر الألوسي ما عبَّر عنه بقوله: "ويجوز أن يكون حكاية قول بعضهم لبعض".

ثانيا: مظاهر القعود، وقيمته في ميزان الإسلام:

وللقعود مظاهر وصور تدل عليه، وأهم هذه المظاهر، وتلك الصور:

1 - ترك منهج الله بالمرة، والتحاكم إلى مناهج البشر، وهذا وإن كان قليلا لكنه - كما يشهد الواقع - موجود.

2 - ترك الدعوة إلى الله، مع الاستقامة في النفس والأهل والولد.

3 - التفرغ لإيذاء العاملين لدين الله: تارة بانتقاصهم، والطعن في أشخاصهم، وفي ذواتهم، وتارة بانتقاصهم، والطعن في منهاجهم، وتارة بتأييد من ينتقصونهم، ويطعنون فيهم تلويحا أو تصريحا، وتارة بغير ذلك من السباب، والشتائم، بل ربما الإيذاء البدني.

4 - السعي لتمزيق صف العاملين لدين الله: تارة بوضع منهاج يوافق منهج الله في الشكل، ويجافي ويختلف معه في المضمون والجوهر، ثم دعوة الناس لا سيما الشباب للانضواء تحت لواء هذا المنهاج المبتدع، وتارة بالدخول في هذا المنهج، ثم بالخروج منه، والإشاعة بين الناس أنه ما خرج إلا لفساد المنهج.

5 - الركون إلى الظالمين بصورة أو بأخرى، ثم الدفاع عن هؤلاء الظالمين بكل الأساليب، والوسائل.

6 - الاطلاع على بعض أخطاء العاملين - "وكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون" - ثم نشر هذه الأخطاء، وإعلانها على الملأ من الناس.

7 - ليُّ النصوص، أو استخدامها في غير موضعها، أو نقلها نقلا مشوَّها بصورة تعبر عن مكنون ما في النفس من الحقد والكراهية لدين الله، وللعاملين بهذا الدين ولهذا الدين، إلى غير ذلك من المظاهر والصور.

والقعود بهذه المظاهر، وتلك الصور، مذموم في دين الله، ويكفيه ذما أن الله جعله من صفات وخصائص المنافقين إذ يقول سبحانه: {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}(آل عمران).

أخرج ابن جرير عن السُّدِّي قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد في ألف رجل، وقد وعدهم الفتح إن صبروا، فلما خرجوا رجع عبد الله بن أبي في ثلاثمائة، فتبعهم أبو جابر السُّلمي يدعوهم، فلما غلبوه، وقالوا له: ما نعلم قتالا، ولئن أطعتنا لترجعن معنا، قال: فذكر الله أصحاب عبد الله بن أبي بن سلول: قول عبد الله أبى جابر بن عبد الله الأنصاري حين دعاهم، وردّهم، فقال: {الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ} الآية . ([[148]](#footnote-149))

وأخرج ابن جرير أيضا، وابن المنذر عن قتادة في قوله: {الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا} الآية، قال: "ذكر لنا أنها نزلت في عدو الله، عبد الله بن أبي" . ([[149]](#footnote-150))

ويقول سبحانه - حكاية عن قوم موسى مع موسى حين طلب منهم أن يدخلوا ا لأرض المقدسة، ولا يترددوا، فخافوا، وامتنعوا - قال: {قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} (المائدة).

يقول الألوسي: "فاذهب - أي إذا كان الأمر كذلك فاذهب - أنت وربك فقاتلا - أي فقاتلاهم، وأخرجاهم حتى ندخل الأرض، وقالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه، وبرسوله عليه الصلاة والسلام، وعدم مبالاة، وقصدوا: ذهابهما، حقيقة، كما ينبئ عنه غاية جهلهم، وقوة قلوبهم، والمقابلة بقوله تعالى: {إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} . ([[150]](#footnote-151))

و يقول سبحانه: {فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِي أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِي عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ} (التوبة).

يقول ابن جرير الطبري: "يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فإن ردك الله يا محمد إلى طائفة من هؤلاء المنافقين من غزوتك هذه، فاستأذنوك للخروج معك في أخرى غيرها،فقل لهم: لن تخرجوا أبدا، ولن تقاتلوا عدوا، إنكم رضيتم بالقعود أول مرة، وذلك عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم لأنكم منهم، فاقتدوا بهديهم، واعملوا مثل الذي عملوا من معصية الله فان الله قد سخط عليكم" . ([[151]](#footnote-152))

وأيد ما قال بالمأثور، قائلا: " حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال رجل: يا رسول الله، الحر شديد، ولا نستطيع الخروج، فلا تنفر في الحر، وذلك في غزوة تبوك، فقال الله: {قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} (التوبة). فأمره الله بالخروج، فتخلف عنه رجال، فأدركتهم نفوسهم، فقالوا: والله ما صنعنا شيئا، فانطلق منهم ثلاثة، فلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتوه تابوا، ثم رجعوا إلى المدينة، فأنزل الله: {فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ} إلى قوله: {وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِه} فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هلك الذين تخلَّفوا"، فأنزل الله عذرهم لما تابوا، فقال: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ} إلى قوله {إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (التوبة) وقال: {إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} ([[152]](#footnote-153)) ثم ساق آثارا أخرى في غير هذا المعنى، وعاد فقال: "والصواب من التأويل في قوله: {الخالفين} ما قال ابن عباس" . ([[153]](#footnote-154))

ويقول سبحانه: {وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} (التوبة: 86، 87).

يقول ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: وإذا أنزل عليك يا محمد سورة من القرآن، بأن يقال لهؤلاء المنافقين: {آمِنُوا بِاللَّهِ} يقول: صدِّقوا بالله، {وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِه} يقول: اغزوا المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، استأذنك أهل الغنى والمال منهم في التخلف عنك، والقعود في أهله، {وقالوا ذرنا} يقول: وقالوا لك: دعنا نكن ممن يقعد في منزله مع ضعفاء الناس ومرضاهم، ومن لا يقدر على الخروج معك في السفر" . ([[154]](#footnote-155))

ويقول سبحانه: {وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنْ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (التوبة).

ويقول سبحانه: {لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} (النساء).

يقول ابن جرير الطبري: "يعنى جل ثناؤه بقوله: {لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ} لا يعتدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من أهل الإيمان بالله، وبرسوله، المؤثرون الدّعة والخفض والقعود في منازلهم على مقاساة حر الأسفار، والسير في الأرض، وشقة ملاقاة أعداء الله بجهادهم في ذات الله، وقتالهم في طاعة الله، لا أهل العذر منهم، بذهاب أبصارهم، وغير ذلك من العلل التي لا سبيل لأهلها، للضرر الذي بهم، إلى قتالهم وجهادهــم في سبيـل الله {وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}، ومنهاج دينه، لتكون كلمة الله هي العليا، المستفرغون طاقتهم في قتال أعداء الله، وأعداء دينهم {بأموالهم} إنفاقا لها فيما أوهن كيد أعداء أهل الإيمان بالله، وبأنفسهم مباشرة بها قتالهم بما تكون به كلمة الله هي العالية وكلمة الذين كفروا السافلة" . ([[155]](#footnote-156))

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رابط يوما أو ليلة كان له كصيام شهر للقاعد، ومن مات مرابطا في سبيل الله، أجرى الله له أجره، والذي كان يعمل: أجر صلاته وصيامه، ونفقته، ووقى من فتان القبر، وأمن من الفزع الأكبر" . ([[156]](#footnote-157)) إلى غير ذلك من النصوص.

والآيات وإن كان أكثرها في المنافقين إلا أنها توحي من طرف خفي بذم القعود مطلقا بغير عذر مقبول، سواء انتهى بصاحبه إلى أن يكون منافقا كهؤلاء الذين نزلت فيهم هذه الآيات، أو انتهى به إلى أن يكون مسلما مرتكبا إثما عظيما.

ثالثا: أسباب القعود :

وللقعود عن العمل لدين الله - عز وجل - أسباب تؤدى إليه، وبواعث توقع فيه، وأهم هذه الأسباب، وتلك البواعث:

1 - المعصية :

ذلك أن المرء إذا تلطخ بالمعصية بكل أشكالها وصورها: الظاهرة منها والباطنة، الصغيرة منها والكبيرة، ولم يبادر بالتوبة، والإنابة والرجوع إلى الله - عز وجل - فإن هذه المعصية تؤدي إلى مرض القلب، بل موته، وحينئذ لا يكون للقلب سيطرة على الجوارح، ويجد شياطين الإنس والجن، وكذلك الدنيا ببريقها وزخارفها وزيناتها، الطريق مفتوحة للوسوسة والإغواء والإغراء بكل ما يغضب الله ورسوله، ومنه القعود عن العمل لدين الله بصورة أو بأخرى على النحو الذي قدّمنا.

وقد نبه الحق - تبارك وتعالى - إلى أن المعصية تقود إلى كل ضر في خلال ما حكاه عن بعض جرائم في إسرائيل، وأن المعصية إنما كانت السبب في ارتكاب هذه الجرائم، حيث يقول سبحانه:

{وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} (البقرة).

يقول ابن جرير - رحمه الله - في إجمال تفسير هذه الآية: "ومعنى الكلام : فعلت بهم ما فعلت من ذلك بما عصوا أمري، وتجاوزوا حدّي إلى ما نهيتم عنه " ([[157]](#footnote-158)) كما نبَّه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "تعرض الفتن كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة يضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا، لا تضره فتنة مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مُجَخِّياً لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه" . ([[158]](#footnote-159))

ولابن قيم الجوزية تصويران لأثر المعصية على العبد، أحدهما واسع مطول يكفي أن نحيل القارئ عليه ، ([[159]](#footnote-160)) والآخر موجز يقول فيه:

"والمقصود أن الذنوب والمعاصي سلاح، ومدد يمد بها العبد أعداءه، ويعينهم بها على نفسه، فيقاتلونه بسلاحه، ويكون معهم على نفسه، وهذا غاية الجهل: ما يبلغ الأعداء من جاهل، ما يبلغ الجاهل من نفسه" . ([[160]](#footnote-161))

2 - التوسع في المباحات :

وذلك أن الله عز رجل لم يمنع عباده من نصيبهم من المباحات ولكنه حماية لهم ورحمة بهم طلب منهم أن يكون أخذها بتوسط واعتدال فقال سبحانه:

{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (الأعراف).

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (المائدة).

ويوم تغيب هذه الحقيقة عن بال المسلم ويتوسع في المباحات، ينتهي به هذا التوسع إلى القعود، وترك العمل لدين الله، لا سيما وطريق الله ليست مفروشة بالحرير والورود، وإنما محفوفة بالمخاطر والمتاعب، والآلام، ومفروشة بالأشواك، ومروية بالدموع، ومزدانة بالدماء والجماجم.

وقد تنبه سلف الأمة إلى هذا السبب، فحذروا من الوقوع فيه. هذه عائشة - رضي الله عنها - تقول: "أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيها: الشبع، فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم، فضعفت قلوبهم، وجمحت شهواتهم" . ([[161]](#footnote-162))

وهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول: "إياكم والبطنة في الطعام والشراب، فإنها مفسدة للجسد، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيهما، فإنه أصلح للجسد، وأبعد من السرف، وإن الله تعالى ليبغض الحبر السمين، وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه" . ([[162]](#footnote-163))

وإذ يقول أبو سليمان الداراني: "من شبع دخل عليه ست آفات: فقد حلاوة المناجاة، وتعذر حفظ الحكمة، وحرمان الشفقة على الخلق - لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع - وثقل العبادة، وزيادة الشهوات، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد، والشباع يدورون حول المزابل" . ([[163]](#footnote-164))

3 - تمكن الدنيا من القلوب :

وذلك أن الدنيا إذا تمكنت من القلوب حملت صاحبها حملا على الركون إليها، والاطمئنان والرضا بها، والغفلة عن الآخرة وترك العمل لهذه الآخرة، وهذا هو القعود بعينه.

ولقد بيَّن سبحانه وتعالى في كتابه هذا السبب حين قال:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الآخِرَة} (التوبة: 38).

يقول ابن عطية - رحمه الله - : "هذه الآية هي بلا خلاف، نازلة عتابا على تخلف من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح بعام، غزا فيها الروم في عشرين ألفا بين راكب وراجل وتخلف عنه قبائل من الناس، ورجال من المؤمنين كثير، ومنافقون، فالعتاب في هذه الآية هو للقبائل، وللمؤمنين الذين كانوا بالمدينة، وخص الثلاثة: كعب بن مالك، ومرارة ابن الربيع، وهلال بن أمية بذلك التأنيب الشديد بحسب مكانهم من الصحبة إذ هم من أهل بدر، وممن يقتدى بهم، وكان تخلفهم لغير علة حسب ما يأتي" . ([[164]](#footnote-165))

ويقول أيضا: "وقوله: {أرضيتم} تقرير، يقول: أرضيتم نزر الدنيا على خطير الآخرة، وحظها الأسعد" . ([[165]](#footnote-166))

وكذلك نبّه رب العزة إلى هذا في قوله سبحانه:

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً} (النساء : 77).

يقول ابن عطية:

"ومعنى: {كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ}: أمسكوا عن القتال، وقوله: {يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ} يعني: أنهم كانوا يخافون الله في جهة الموت، لأنهم لا يخشون الموت إلا منه، فلما كتب عليهم قتال الناس رأوا أنهم يموتون بأيديهم فخشوهم في جهة الموت كما كانوا يخشون الله" . ([[166]](#footnote-167))

ويقول أيضا: {إِلَى أَجَلٍ قَرِيب}: الأجل القريب: يعنون به موتهم على فرشهم، هكذا قاله المفسرون، وهذا يحسن إذا كانت الآية في اليهود أو المنافقين، وأما إذا كانت في طائفة من الصحابة، فإنما طلبوا التأخر إلى وقت ظهور الإسلام، وكثرة عددهم" . ([[167]](#footnote-168))

ونبه إليه أيضا في قوله سبحانه:

{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ} (النحل).

يقول ابن عطية:

"ولما فعلوا فعل من استحب ألزموا ذلك، وإن كانوا غير مصدقين بآخرة لكن الأمر في نفسه بين، فمن حيث أعرضوا عن النظر فيه كانوا كمن استحب غيره" . ([[168]](#footnote-169))

والتعذيب، أو النفي والتشريد في الأرض، وكل هذه الجرائم بسبب قعود القاعدين. وما لقيه أبناء الحركة الإسلامية في مصر من التعذيب في أوائل الخمسينات بسبب انسحاب نفر من العلماء من الصف، ومعهم ما لا يحصى من المتأثرين بهم، والواثقين فيهم - شاهد صدق على ما نقول، ويتحمل هذا النفر إثم ما نزل بهؤلاء إلا أن يعفو الله عنهم، ويتجاوز. وما يلقاه العمل الإسلامي اليوم بعموم من انسحاب نفر من الميدان، وقبوله أن يكون سوطا في يد الباطل يلهب به ظهور العاملين ويحرّض عليهم، ويخيف الناس منهم - لهو شاهد صدق كذلك على ما نقول.

ويقول العلامة الألوسي -رحمه الله- :

"{ذلك} إشارة إلى الكفر بعد الإيمان، أو الوعيد الذي تضمنه قوله تعالى: {فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، أو المذكور من الغضب والعذاب {أنهم}، أي بسبب أن الشارحين صدورهم بالكفر {اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} أي آثروها، وقدموها، ولتضمن الاستحباب معنى الإيثار قيل ) عَلَى الآخِرَةِ( فعُدِّي بعلى، والمراد على ما في البحر - أي على ما جاء في تفسير البحر المحيط لأبي حيان- أنهم فعلوا فعل المستحبين ذلك، وإلا فهم غير مصدقين بالآخرة" . ([[169]](#footnote-170))

وكذلك نبه إليه في قوله سبحانه : {فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}(النجم).

يقول ابن عطية :

"وقوله: {وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} معناه: لا يصدق بغيرها، فسعيه كله وعمله إنما هو لدنياه" . ([[170]](#footnote-171))

ويقول الألوسي:

"فأعرض عمن أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم الحق، وهو القرآن العظيم المنطوي على بيان الاعتقادات الحقة، المشتمل على علوم الأولين والآخرين، المذكر للآخرة، وما فيها من الأمور المرغوب فيها، والمرهوب عنها، والمراد بالإعراض عنه: ترك الأخذ بما فيه وعدم الاعتناء به، وقيل: المراد بالذكر: الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالإعراض عنه: ترك الأخذ بما جاء به،وقيل: المراد به الإيمان، وقيل: هو على ظاهره، والإعراض عنه: كناية عن الغفلة عنه - عز وجل - {وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}: راضيا بها، قاصرا نظره عليها، جاهدا فيما يصلحها كالنضر بن الحارث، والوليد بن المغيرة، والمراد من الأمر المذكور: النهي عن المبالغة في الحرص على هداهم، كأنه قيل: لا تبالغ في الحرص على هدي من تولى عن ذكرنا وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته، وقصارى سعيه" . ([[171]](#footnote-172))

4 - عدم استصحاب نية المضي إلى آخر الطريق وعدم العمل بمقتضى هذه النية :

وذلك أن سنته سبحانه في خلقه مضت بأن من نوى الخير وعمل بمقتضى هذه النية، فإنه سبحانه يوفقه ويؤيده حتى يصل إلى ما يريد، ومن نوى الشر وعمل بمقتضى هذه النية، فإنه سبحانه يتخلى عنه ويخذله فلا يوفق إلى الخير أبدا، ويضيع، إذ يقول سبحانه:

{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ} ( محمد )، {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} (مريم: 76)، {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} (الصف: 5).

وانطلاقا من هذه السنة لله في خلقه فإن من لا يستصحب نية المضي في الطريق إلى نهايتها، ويترك العمل بمقتضى هذه النية، تكون عاقبته الحرمان من توفيق الله وتأييده، ويكون القعود، وقد نبه رب العزة إلى هذا السبب وهو يتحدث عن المنافقين الذين قعدوا عن شهود تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم بأعذار واهية، وأن السبب الحقيقي إنما هو عدم استصحاب نية الجهاد، والخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآية ذلك أنهم لم يعملوا بمقتضى هذه النية، فكانت العاقبة أن كره الله خروجهم فخذلهم، وذلك في قوله سبحانه:

{وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} (التوبة).

يقول ابن عطية:

"وقوله تعالى: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ} الآية حجة على المنافقين، أي ولو أرادوا الخروج بنياتهم لنظروا في ذلك، واستعدوا له قبل كونه " . ([[172]](#footnote-173))

ويقول الألوسي: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّة}، أي أهبة من الزاد والراحلة، وسائر ما يحتاج إليه المسافر في السفر الذي يريده" . ([[173]](#footnote-174))

5 - العيش وسط القاعدين:

وذلك أن المرء كثيرا ما يتأثر بالوسط الذي يعيش فيه سواء أكان هذا الوسط قريبا - وهو البيت - أم بعيدا - وهو المجتمع - لا سيما إذا لم تكن لديه الحصانة الكافية التي يقاوم بها هذا الوسط القاعد، وكان هذا الوسط حريصا على إقعاده بطريق أو بأخرى من سخرية واستهزاء، إلى إغواء وإغراء، إلى تخويف وتثبيط، إلى غير ذلك، وليست له من تهمة ولا جريرة إلا أنه عامل متحرك بدين الله عز وجل، وتكون العاقبة التخلف والقعود؟ ولذا جاء عنه صلى الله عليه وسلم قوله: "الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" ، ([[174]](#footnote-175)) "لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي" . ([[175]](#footnote-176))

6 - عدم اليقين بوعد الله ورسوله :

وذلك أن الله وعد المؤمنين العاملين الاستخلاف والتمكين، والأمن والأمان، قال تعالى :

{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ} (النور).

{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمْ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمْ الْغَالِبُونَ} (الصافات).

{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} (الفتح).

{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} (الصف).

وأكد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال:

"ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز،أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل به الكفر" ، ([[176]](#footnote-177)) "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا - وفي رواية: عضوضا- تكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبريا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة" ، ([[177]](#footnote-178)) "بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والدين، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب" ([[178]](#footnote-179)) إلى غير ذلك من الأحاديث.

ومن لم يوقن بهذا الوعد، فانه يقعد لا محالة، ويترك العمل لدين الله من الدعوة والجهاد. ولقد نبه رب العزة إلى هذا السبب، وهو يتحدث عن قعود المنافقين بقوله:

{وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنْ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَه} (التوبة: 90).

يقول ابن جرير الطبري:

"يقول تعالى ذكره: وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم في التخلف، وقعد عن المجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه الذين كذبوا الله ورسوله، وقالوا الكذب، واعتذروا بالباطل . ([[179]](#footnote-180))

7 - مباغتة معوقات الطريق مع عدم الفطنة والاستعداد لهذه ا لمعوقات:

ذلك أن هناك معوقات على الطريق من النفس الأمارة بالسوء إلى شياطين الجن، إلى شياطين الإنس، إلى الدنيا ببريقها وزيناتها، ممثلة في الزوج، والأولاد، والأموال، والمناصب، والوجاهة، والسلطان، ونحوها، إلى طول الطريق نفسها، وما لم يكن المرء فطنا مستعدا لهذه العقبات، وتباغتها، فإنه يصاب بالقعود لا محالة إلا أن يتغمده الله سبحانه وتعالى بفضل منه ورحمة.

وفي قصة الذي كان يعرف بحمامة المسجد، وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله له بالغنى، ونصحه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "قليل تؤدي شكره خير من كثير يطغيك"، وألح حتى دعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه له بالغنى، وجاءته الدنيا، وما كان فطنا مستعدا، فضاع، وفيه نزل قوله سبحانه:

{وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنْ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} (التوبة).

هذه القصة تشرح لنا هذا السبب بجلاء ووضوح.

يقول الإمام الطبري معلقا على الآيات المذكورة: "يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم {مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ}، يقول: أعطى الله عهدا {لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ} يقول: لئن أعطانا الله من فضله، ورزقنا مالا، ووسع علينا من عنده، {لَنَصَّدَّقَنَّ} يقول: لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذي رزقنا ربنا، {وَلَنَكُونَنَّ مِنْ الصَّالِحِينَ} يقول: ولنعملن فيها بعمل أهل الصلاح بأموالهم من صلة الرحم به، وإنفاقه في سبيل الله، يقول الله تبارك وتعالى: فرزقهم الله، وآتاهم من فضله، فلما آتاهم الله من فضله بخلوا به بفضل الله الذي آتاهم، فلم يصدقوا منه ولم يصلوا منه قرابة، ولم ينفقوا منه في حق الله، {وَتَوَلَّوا} يقول: وأدبروا عن عهدهم الذي عاهدوه الله {وَهُمْ مُعْرِضُونَ} عنه، فأعقبهم الله نفاقا في قلوبهم ببخلهم بحق الله الذي فرضه عليهم، فيما آتاهم من فضله، لإخلافهم الوعد الذي وعدوا الله، ونقضهم عهده في قلوبهم {إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ} من الصدقة والنفقة في سبيله، {وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُون} في قيلهم، وحرمهم التوبة منه؛ لأنه جَلَّ ثناؤه اشترط في نفاقهم أنه أعقبهم إياه إلى يوم يلقونه، وذلك يوم مماتهم، وخروجهم من الدنيا" . ([[180]](#footnote-181))

8 - التأخير إلى موقع الجندية بعد القيادة :

وذلك أن الواقع قد شهد بأن بعض الناس حين يكون في موقع القيادة، ولسبب أو لآخر يرد إلى موقع الجندية، تكبر عليه نفسه، لا سيما إذا نظر إلى القيادة على أنها تشريف لا تكليف، غنائم لا تبعات، وحينئذ لا يكون منه إلا القعود، والتخلي عن أداء الواجب، وقد شاهدت بعيني رأسي شابا نشطا عاملا لدين الله، وبلغ به نشاطه أن كانت له حلقة علمية، يحضرها كثيرون، ولسبب أو لآخر طلب منه أن يكون تلميذا لا أستاذا، جنديا لا قائدا فورمت أنفه، وشرق بريقه، وقعد عن العمل لدين الله، وترك الواجبات المنوطة به، وحين فوتح في ذلك أجاب بأن الجندية خنق وقتل للمرء، والقيادة حرية وانطلاق، فكيف تضيع مني القيادة، وأرضى بالجندية، وبينهما من الفرق ما بينهما، فكان الرد على الفور: "رحم الله أبا سليمان خالد بن الوليد، فقد جاءه كتاب العزل من أمير المؤمنين عمر لمصلحة رآها عمر، وكان هو القائد المظفر، فنفَّذ ما في الكتاب وكله فرح وسرور، وأخذ مكانه جنديا بين الجنود، وقال مقولته المشهورة: والله لو ولّى علي عمر عبدا أسود اللون لسمعت وأطعت ما دام يقودني بكتاب الله".

9 - الاغترار بوعود الباطل :

وذلك أن الباطل يحاول بطريق أو بأخرى تكثير سواد القاعدين من المسلمين الدعاة العاملين لدين الله، وله في ذلك أساليب كثيرة، ومنها الوعود البراقة بمال، أو بمنصب، أو بوجاهة مثلما حاول عتبة بن ربيعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن الناس من تنطلي عليه هذه الوعود، وينساق وراءها تاركا الالتزام بمنهج الله، والعمل لدينه من أجل الظفر بهذه الوعود، وقد شاهدنا في تاريخ الحركة الإسلامية في العصر الحاضر نفرا زين لهم أهل الباطل القعود حين منحوهم بعض المناصب العليا فقعدوا، ثم ألقى بهم هؤلاء في العراء عند أول تغيير لمن يشغلون هذه المناصب، وما أغنت عنهم هذه الوعود من الله شيئا، بل على العكس لقد أغضبوا ربهم حين ركنوا إلى الظالمين وآزروهم، أو أعانوهم على ظلمهم، وبغيهم في الأرض بغير الحق.

وفي الأدب الرمزي: قصة الذي غضب لله أول مرة: لأن شجرة تعبد من دون الله، وعبر عن غضبه هذا بمحاولة قطع الشجرة، ومناه الشيطان الذي تمثل له في صورة بشر مدافع عن الشجرة ببعض المال من كل صباح، فقعد طمعا في تحقيق هذا الوعد، وما هي إلا أيام حتى ذاب هذا الوعد، وصار سرابا وحاول قطع الشجرة هذه المرة، ولم ينجح؛ لأن غضبه لم يكن لله، وإنما كان للوعد الذي أخلف ولم يتحقق، وهكذا يؤدي الاغترار بوعود الباطل إلى القعود والتخلي عن الواجب.

10 - عدم وجود منهاج يملأ الحياة ويقضى على الفراغ :

وذلك أن المسلم إذا لم يشغل نفسه بمنهاج يملأ حياته ويقضي على الفراغ، من تدبر وتفكر إلى عبادات مخصوصة، كصلاة ونحوها، إلى رعاية للآداب الاجتماعية، إلى قيام بحق الأهل والولد، إلى كسب للعيش، إلى اشتغال بدعوة وهداية الآخرين، إلى الوقوف في وجه الكفار والمنافقين الذين يصدون عن سبيل الله، ويبغونها عوجا، إلى غير ذلك مما يعد جزءا من رسالة المسلم في الأرض - إذا لم يشغل المسلم نفسه بمنهاج كهذا، فإن نفسه الأمارة بالسوء تملي عليه، بإغواء من شياطين الجن والإنس، وبتأثير من زخرف الحياة الدنيا، منهاجا باطلا غير ما يريد الله ورسوله، ويأخذ في تنفيذ هذا البرنامج، وذلك هو عين القعود.

11 - عدم ملاءمة المنهاج للطاقات والإمكانات :

وذلك أن المسلم لا يبقى حيا نشطا متحركا إلا في ظل منهاج ملائم لطاقاته وإمكاناته، ويوم أن يخلو المنهاج من هذه الملاءمة، كأن يكون فوق المستوى، أو دون المستوى، فإن العاقبة ستكون القعود والترك إلا من رحم الله.

ولعل هذا هو سر مخاطبته ب صلى الله عليه وسلم لكل واحد من أصحابه بما يلائمه ويتناسب مع ميوله وإمكاناته وطاقاته،بل وعلله، وأمراضه، فقد كان يخاطب الجميع خطابا عاما، ويأتي إلى الخاصة ويخاطبهم خطابا فوق خطاب العامة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل، قال: "يا معاذ بن جبل"، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: "يا معاذ"، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثا). قال: "ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار". قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: "إذا يتكلوا" وأخبر بها معاذ عند موته تأثما . ([[181]](#footnote-182))

12 - عدم إعطاء العامل حقه من الاحترام والتوقير :

وذلك أن المرء غالبا ما يظل مستمرا في أداء واجبه، والقيام بما تفرضه عليه رسالته ما لم يهن أو يحتقر، فإن حدث، وحرم هذا المرء حقه من الاحترام والتوقير في حدود الضوابط الشرعية، فإنه يرد على ذلك غالبا بالقعود، والتخلي عن أداء الواجب.

ولعل هذا هو سر دعوته صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يراعوا الآداب الاجتماعية فيما بينهم إذ يقول:

"ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف، وفي عن المنكر" . ([[182]](#footnote-183))

وفي رواية: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا، أو حق كبيرنا" . ([[183]](#footnote-184))

13 - تحميل النفس من الواجبات فوق ما تطيق :

وذلك أن أي عمل من الأعمال تكون له في البداية حلاوة، وقد يلقى من العامل إقبالا، واستفراغا لكل ما في وسعه، وما في طاقته، وربما رأى ذلك من يحيطون به، فيلقون ببعض ما في أيديهم من واجبات وتكاليف عليه، ولا يلتفت هو إلى ذلك، ويقبل منهم، ويمضي، وبعد فترة من الزمان يجد نفسه قد أنهكه العمل وأضناه، فيفتر، وإذا لم يبادر بالعلاج والتخلص من هذه الحال يكون القعود، والانقطاع عن أداء الواجب، وفي آفة " الغلو في الدين أو التنطع " من الجزء الثالث من هذا الكتاب صورة دقيقة لكيفية إيصال هذه الآفة صاحبها إلى القعود والترك .

14 - عدم تجاوز الآخرين عن أي هفوة من الهفوات :

وذلك أن المرء بطبيعته مجبول على الخطأ باستثناء الأنبياء والمرسلين لما أكرمهم الله عز وجل به من العصمة، والمحاسبة سبيل من سبل التخلص من هذا الخطأ .

ومن أساليب المحاسبة التجاوز أحيانا عن بعض الهفوات والزلات اليسيرة كيلا يسيطر اليأس والقنوط على النفس، وقد لا ينتبه البعض إلى هذا الأسلوب، ويحمله إتقان العمل وإجادته على المؤاخذة في كل الأمور حتى لو كانت يسيرة بسيطة، وربما لا يتحمل العامل ذلك وتكون العاقبة القعود، والتخلي عن أداء الواجب.

ولعل هذا هو سر دعوة الإسلام إلى العفو مع القدرة على الانتقام والبطش . إذ يقول سبحانه :

{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (آل عمران).

{خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ} (الأعراف).

{وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ} ( النور: 22).

15 - الظن أن في القعود سلامة وعافية :

وذلك أن الشيطان قد يسول لبعض الناس القعود وترك العمل لدين الله بحجة حماية نفسه، وغيره من المحنة، لا سيما في عصرنا هذا الذي تَنَمَّر فيه الباطل، وتفرغ للعاملين لدين الله بحيث لم يعد لديه من شغل شاغل إلا هُم، ناسيا أو متناسيا أن السلامة والعافية منة ومحض فضل من الله سبحانه وتعالى، بيد أن سنته سبحانه وتعالى مضت أن يمنحهما للمتقين العاملين، كما قال سبحانه:

{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا} (النور: 55).

{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} (الأنعام).

{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (الرعد).

وربما يدخل الشيطان من مدخل آخر: إذ يقول للعامل: إنك تخطئ وترتكب كثيرا من المعاصي والآثام، وهذا يؤخر عون الله، وتأييده عن العاملين، بل ربما يكون سببا في كارثة أو محنة تنزل بالجميع، وخير لك أن تبتعد من طريق هؤلاء البررة الأتقياء من عباد الله لتحل عليهم السلامة، وتصيبهم العافية، ناسيا أو متناسيا أنهم مثله يصيبون ويخطئون، غير أنه وهؤلاء لا يصرون على الخطأ بل يبادرون بالتوبة، والإنابة، والرجوع إلى الله عز وجل.

16 - عدم استجابة الآخرين :

وذلك أن نفرا من الدعاة يتوهم أنه لا ينجح في مهمته إلا إذا استجاب الآخرون، وقبلوا منه ما يقول، فإن لم يستجيبوا لما يقول كان منه القعود، والتخلي عن المضي في الطريق إلى نهايتها ناسيا أو متناسيا أن قلوب العباد جميعا بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء، وأن الله قال لنبيه:

{إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاء} (القصص: 56).

{إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ} (الشورى: 48).

17 - الغفلة عن عاقبة القعود:

وأخيرا قد تكون الغفلة عن الآثار والعواقب المترتبة على القعود - فردية كانت أو جماعية، دنيوية كانت أو أخروية - هي السبب في القعود، وقد رأينا في العصر الحاضر نفرا ممن قعدوا في حال لا يحسدون عليها الآن، وهم يقولون: والله لو درينا أن القعود سيصل بنا إلى هذا المستوى، وإلى هذا الحال ما قعدنا.

رابعا: آثار ا لقعود:

هذا وللقعود آثار ضارة، وعواقب مهلكة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي، ودونك طرفا من هذه ا لآثار والعواقب:

أ - على العاملين:

فمن آثار القعود على العاملين :

1 - تفرد الشياطين بهم ثم افتراسهم :

إذ من قعدوا عن الالتزام بالإسلام بالمرة صاروا موالين للشياطين من الجن والإنس، وأما الذين انفصلوا عن العاملين لدين الله، وعاشوا وحدهم ملتزمين في أنفسهم وأهليهم بمنهج الله، فهؤلاء سمحوا للشياطين أن يتفردوا بهم، ثم يفترسوهم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(... فمن أحبّ منكم بحبوحة الجنة، فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد" . ([[184]](#footnote-185))

2 - مضاعفة الذنوب والآثام الأمر الذي ينتهي أن تكون الجحيم هي ا لمأوى:

وذلك أن القاعدين يفتحون بابا واسعا أمام كثيرين من الضعفاء والعامة، ممن يقتدون بهم، فيقعدون قعودهم، وبهذا يحملون وزرين: وزر قعودهم، ووزر إقعاد غيرهم، إذ يقول سبحانه:

{وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ} (العنكبوت: 13).

{لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ} (النحل).

وتتضاعف الذنوب والآثام بدوام القعود حتى تكون الجحيم هي المأوى والعياذ بالله.

3 - الذل والهوان :

وذلك انهم حين قعدوا عن نصرة دين الله لم يمنعهم هذا القعود من أن ينزل بهم قدر الله، وقد قدر الله حياة الذل والهوان في الدنيا والآخرة على كل من تولى وأعرض عن ذكره سبحانه وتعالى، فقال:

{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طه).

{وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا} (الجن).

وقد عشنا وشاهدنا في العصر الحاضر من قعد عن نصرة دين الله بعد أن كان شعلة نشاط، وما كان له من مبرر إلا الإبقاء على النفس، والأهل، والمال، والولد، ومضى قدر الله، ولم يظفر بما أراد، وعاد يندب حظه، ويقول: {يَالَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا} (النساء).

ب - على العمل الإسلامي :

ومن آثار القعود على العمل الإسلامي:

1 - إضعاف هذا العمل، وتعريضه للاغتيال أو على الأقل الإجهاض بحيث لا يؤتي ثماره إلا بعد تكاليف كثيرة وزمن طويل . ذلك أن هذا الصنف من القاعدين لم يقتصر قعوده على نفسه، بل تعداه إلى قعود الآخرين اقتداء، وتأسيا، بل أبعد من ذلك أغلق الباب في وجه من يريدون الالتزام بدين الله والعمل له لأول مرة، إيثارا للسلامة والعافية بزعمهم، ولا شك أن هذا إضعاف للعاملين، وللعمل الإسلامي، ومعروف أن المبطلين لا يتمكنون من العاملين والعمل الإسلامي إلا في مثل هذا الجو من الضعف والتفرق .

2 - تعريض العاملين لدين الله لشدائد وامتحانات لا تطاق من انتهاك للأعراض، وسلب للأهوال، وسفك للدماء، أو على الأقل التضييق والتعذيب، أو النفي والتشريد في الأرض، وكل هذه الجرائم بسبب قعود القاعدين .

وما لقيه أبناء الحركة الإسلامية في مصر من التعذيب في أوائل الخمسينات بسبب انسحاب نفر من العلماء من الصف، ومعهم ما لا يحصى من المتأثرين بهم، والواثقين فيهم - شاهد صدق على ما نقول، ويتحمل هذا النفر إثم ما نزل بهؤلاء إلا أن يعفو الله عنهم، ويتجاوز . وما يلقاه العمل الإسلامي اليوم بعموم من انسحاب نفر من الميدان، وقبوله أن يكون سوطا في يد الباطل يلهب به ظهور العاملين و يحرِّض عليهم، ويخيف الناس منهم - لهو شاهد صدق كذلك على ما نقول.

خامسا: علاج القعود:

وفي ضوء ما قدمنا من أسباب القعود وبواعثه يمكن رسم طريق الخلاص، بل طريق الوقاية من هذا القعود، ودونك معالم هذه الطريق:

1 - استشعار نعم الله التي أنعم بها علينا في أنفسنا، وفى الكون المحيط بنا، ظاهرة كانت هذه النعم أو باطنة، حيث يقول سبحانه:

{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (إبراهيم).

{وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} (لقمان: 20).

وأن هذه النعم ينبغي أن تقابل بالشكر كي تدوم، وشكر النعمة إنما يكون بتوظيفها فيما خلقت له،لا باستخدامها فيما يغضب الله ويسخطه، فإن مثل هذا الاستشعار قد يحرك النفر من داخلها ويحملها على النهوض من جديد.

2 - استشعار القاعد مسؤوليته أمام الله يوم القيامة عما يلقاه المسلمون المضطهدون، الملاحقون في كل مكان: في البوسنة والهرسك، في الجمهوريات الإسلامية في آسيا، في كشمير المسلمة، في بورما، في أريتريا، فى الفلبين، في دول البلقان، في إفريقيا، في بلاد العرب، في فلسطين، فيما لا نعلمه بسبب التعتيم الإعلامي المقصود، ويعلمه الله عز وجل.

وماذا سيكون جوابه لربه غدا يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله، فإن هذا الاستشعار من شأنه أن يخيف صاحب الفطرة السليمة، والعقل الراشد فيجاهد نفسه على التحرر من القعود، ويعمل على النهوض من جديد.

3 - التوسط في تعاطى المباحات من غير إفراط أو تفريط، مع اليقين أن في ذلك عافية لنا في أبداننا، وعقولنا، وأرواحنا، وأن ما نحرم أنفسنا منه اليوم سنلقاه غدا في أكمل وأبهى صورة:

{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} الأعراف :

4 - إخراج حب الدنيا - بوسيلة أو بأخرى - من القلوب فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة، وهذا لا يمنع أن تكون هذه الدنيا في أيدينا نتبوأ منها حيث نشاء، شريطة أن تكون من حلال، وأن نؤدي حق الله فيها، بل أن تتنازل عنها جميعا لله إن اقتضت الحال ذلك، كما أثر عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، فإن مثل هذا الصنيع مع الدنيا من شأنه أن يحمل القاعد على النهوض والاستمرار إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا.

5 - دوام النظر في كتاب الله، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم للوقوف على أخبار القاعدين، المخلفين، وما صاروا إليه من ذل وهوان في الدنيا والآخرة، فلعل مثل هذا النظر يخوف القاعد إن كان له قلب، فيبادر بترك القعود، ويحمل نفسه على النهوض حماية لها من أن تصير إلى ما صار إليه هؤلاء القاعدون من قبل، وأن يذيقها الله من الذل والهوان في الدنيا والآخرة مثلما صنع بهؤلاء، وسورة النساء، والتوبة، والأحزاب، والفتح من أوسع سور القرآن حديثا عن هذا الصنف من الناس.

6 - تأمل واقع هؤلاء القاعدين اليوم، وكيف صاروا أسهما في كنانة أعداء الله، ورسوله والمؤمنين، يصوبونه إلى صدور العاملين، فتقوى بهم شوكة هؤلاء الأعداء، حتى إذا استنفذوا بنيتهم منهم، خلعوهم من أقدامهم، وألقوا بهم في مزبلة التاريخ، فخسروا الحياتين جميعا الدنيا والآخرة، وخسارة الآخرة أشد:

{قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} (الزمر)

7 - مجاهدة النفس من أجل أن تستصحب نية الجهاد والعمل لدين الله عز وجل، ثم تنفيذ ما تقتضيه هذه النية، ولكن مع الصدق والإخلاص، واتباع السنة، فلعل الله عز وجل بهذه النية يمن على هذا الصنف القاعد من الناس وينتشله من وهدة القعود، إلى قمة النهوض والعمل، إذ يقول سبحانه:

{وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} (مريم: 76).

{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ} (محمد).

8 - الانقطاع عن صحبة القاعدين إلا بالقدر الذي به يكون العمل على انتشال هؤلاء من قعودهم هذا، مع الارتماء وبسرعة في وسط العاملين، فإن ذلك مما يقوّي العزيمة، ويعلى الهمة، ويثبت النفس، ويحملها على الاقتداء والتأسي، فإن لم يكن فالتشبه والمحاكاة.

9 - دوام النظر في وعد الله ورسوله للمؤمنين بالنصر والغلبة والتمكين في الأرض، وكيف حقَّق ذلك للمؤمنين أول مرة حين نهضوا، وما كانوا يوما من القاعدين، و سيظل هذا الوعد قائما إلى يوم الدين شريطة أن نكون مؤمنين حقا نرفض القعود، والذل، والهوان، ونمضي في الطريق عاملين لا نلوي على شيء إلا على مرضاة الله، ورسوله، فإن مثل هذا النظر مما يحرك النفوس الأبية الكريمة ويحملها على النهوض، وترك القعود.

10 - الانتباه إلى معوقات الطريق من الأزواج، والأولاد، والأموال، والسلطان، والجاه، ونحوها كي نأخذ لها الأهبة والاستعداد، ونعلم أن هؤلاء لن يغنوا عنا من الله عز وجل شيئا.

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} (التغابن).

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ} (المنافقون).

11- المبادرة بعمل منهاج يستوعب الحياة بأشكالها وصورها، ويكون ملائما لطاقات وإمكانات الناس، ولا سيما هذا الصنف من القاعدين، على أن يكون كتاب الله وسنة رسوله هما الأساس والأصل في وضع مثل هذا المنهاج.

فإن مثل هذا المنهاج من شأنه أن يقضي على كل لحظات الفراغ التي يمكن أن تستغل من قبل شياطين الجن وشياطين الإنس، ويفتح الباب أمام القاعدين للنهوض من جديد.

12- مجاهدة النفس على احترام وتوقير الآخرين لا سيما أهل الفضل والدين، بل مجاهدتها على ألا تحمل من التكاليف والواجبات إلا ما تطيق، نظرا لطول الطريق ومشقة التكاليف، فإن هذه المجاهدة من شأنها أن تحرك القاعدين فينهضون من جديد.

13- استقبال تغيير الموقع - ولا سيما من الأعلى للأدنى، من القيادة إلى الجندية- بفرح وسرور، وراحة بال، وهدوء خاطر، فإنه كلما علت منزلة الإنسان في المسؤولية كان الحساب أشد والمؤاخذة أعظم على حد قوله تعالى:

{يَانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} (الأحزاب).

15- مواجهة وسوسة شياطين الجن والإنس، وإغراء الحياة الدنيا بأن في القعود سلامة وراحة وعافية بأن هذا هو الهلاك بعينه، كما قال سبحانه عن هؤلاء الذين تخلفوا عن تبوك فرارا من التكاليف، وإيثار للراحة، والسلامة والعافية:

{لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمْ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} (التوبة).

{فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (التوبة).

ولعل مما يوضح أن القعود هو الهلاك بعينه، هذه الآثار عن أبى عمران - رضي الله عنه - قال:

"كنا بالقسطنطينية، وعلى أهل مصر عقبة ابن عامر، وعلى أهل الشام رجل يريد فضالة بن عبيد رضي الله عنهما، فخرج من المدينة صف عظيم من الروم، فصففنا لهم، فحمل رجل من المسلمين على الروم، حتى دخل فيهم، ثم خرج علينا فصاح الناس إليه، فقالوا: سبحان الله ألقى بيده إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ياأيها الناس، إنكم تأولون هذه الآية على هذا التأويل، إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، إنا لما أعز الله دينه، وكثر ناصروه، فقلنا - فيما بيننا بعضنا لبعض سرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم-: إن أموالنا قد ضاعت فلو أقمنا فيها، فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله عز وجل يرد علينا ما هممنا به، فقال:

{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَة} (البقرة: 195).

فكانت التهلكة في الإقامة التي أردنا أن نقيم في أموالنا نصلحها، فأمرنا بالغزو، فما زال أبو أيوب رضي الله عنه غازيا في سبيل الله حتى قبضه الله عز وجل" . ([[185]](#footnote-186))

ومن وجه آخر، عن أبى عمران رضي الله عنه قال : "غزونا المدينة - يعني القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو فقال الناس: مه، مه ، ([[186]](#footnote-187)) لا إله إلا الله، يلقي بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب. الأنصاري رضي الله عنه: إنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه، وأظهر الإسلام، قلنا: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى: {وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَة} فالإلقاء بأيدينا إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا، ونصلحها، وندع الجهاد، قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية" . ([[187]](#footnote-188))

ومن وجه ثالث، عن أبى عمران رضي الله عنه قال: "حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه، ومعنا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقال ناس: ألقى يده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية، إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدنا معه المشاهد، ونصرناه، فلما فشا الإسلام، وظهر اجتمعنا معشر الأنصار تخفيا، فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصره، حتى فشا الإسلام، وكثر أهله، وكنا قد آثرناه على الأهلين، والأموال، والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلينا، وأولادنا فنقيم فيهم، فنزل فينا: {وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَة} فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل، والمال، وترك الجهاد" . ([[188]](#footnote-189))

16- لا ينبغي أن يصرفنا عدم استجابة الآخرين إلى ما ندعوه عن الدعوة إلى الله، بل لابد من الاستمرار مع تخير أحسن الأساليب، ونكل أمر القلوب بعد ذلك إلى الله وهو سبحانه حين يرى منا الصدق والإخلاص، واستفراغ كل الأساليب والوسائل، لن يضيع علينا ثمرة جهدنا وعطائنا، وحسبنا الأجر والمثوبة: {وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} (القصص: 80).

الآفة الرابعة والعشرون

الشح

والآفة الرابعة والعشرون التي أصابت وتصيب نفرا من العاملين، وكانت سببا في كثير مما نعاني منه نحن المسلمين اليوم إنما هي: "الشح". وحتى يتطهر منها من ابتلي بها، ويتقيها من عافاه الله - عز وجل- منها، فإننا سنقف على أبعادها، ومعالمها من خلال هذه الفقرات.

أولا: تعريف الشح

لغة

يطلق الشُّح لغةً على معان منها :

1 - حرص النفس على ما تملك، وبخلها به، أو هو ضد الإيثار، إذ المؤثر غيره على نفسه تاركٌ لما هو محتاج إليه، والشحيح حريص على ما ليس بيده، فإذا حصل بيده شحَّ، وبخل بإخراجه، نقول: شح فلان بالشيء: بخل، وشحَّ على الشيء: حرص، فهو شحيح وشحاح.

2 - القلة والعسر، نقول: شحَّ الماء ونحوه، شحاًّ: قل َّ، وعَسُر، وشحَّ الزِّناد: لم يور أي لم يشتعل.

3 - التسابق إلى الشيء والتنافس عليه، نقول: تحاشوا في الأمر وعلى الأمر: تسابقوا، وتنافسوا، وتشاح الخصمان: بدا حرصهما على الغلبة.

4 - المخاصمة أو المماحكة والمجادلة، نقول: شاح فلانا: خاصمه، وماحكه، ويقول العلماء: لا مشاحة في الاصطلاح: لا مجادلة فيما تعارفوا عليه . ([[189]](#footnote-190))

وعندي أنه لا تعارض بين هذه المعاني جميعا، إذ الشُّح: حرص أو بخل يتلخص في المنع، أو العطاء بقلة، وربما يحمل على التنافس والمخاصمة أو المجادلة.

اصطلاحا:

له معنيان:

أحدهما عرفي: وهو البخل بالمال، حتى صار معروفا بين الناس أنه إذا أطلقت كلمة شح انصرفت مباشرة إلى إمساك المال وعدم بذله.

والآخر شرعي: وهو البخل بكل برٍّ ومعروف مالا أو غيره، في يده أو في يد غيره، ولهذا المعنى الشرعي شواهد وأدلة منها:

1 - قوله صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشُّح، فإن الشُّح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم و استحلوا محارمهم) ، ([[190]](#footnote-191)) وفي رواية: (إياكم والشُّح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح: أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا) . ([[191]](#footnote-192))

قوله صلى الله عليه وسلم: (البخيل مَنْ ذُكِرتُ عنده فلم يصل علي) . ([[192]](#footnote-193))

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن لفلان في حائطي عذقا ، ([[193]](#footnote-194)) وإنه قد آذاني، وشق علي مكان عذقه، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم: (بعني عذقك الذي في حائط فلان) قال: لا، قال: (فهبه لي) قال: لا، قال: (فبعنيه بعذق في الجنة) قال: لا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما رأيت الذي هو أبخل منك إلا الذي يبخل بالسلام) . ([[194]](#footnote-195))

إلى غير ذلك من النصوص الشرعية الدالة على أن الشُّح في لسان الشرع: إنما هو البخل بكل بر، ومعروف، مالا أو غيره، في يده أو في يد غيره.

ثانيا: مظاهر الشُّح وقيمته في ميزان الإسلام.

وللشح - بمعناه الشرعي الذي ذكرناه - مظاهر تدل عليه، وأمارات يعرف بها، وأهم هذه المظاهر، وتلك الأمارات:

1 - البخل بالرئاسة بأن يكون المرء صاحب رئاسة تعود على الدين والأمة بالخير، ثم يحبس هذه الرئاسة، فلا يصرفها في خدمة الدين ومصالح الأمة.

2 - البخل بالوجاهة، بأن يكون المرء من بيت معروف بشرف ووجاهة يفيدان حماية الحق ومؤازرته، ثم يحبس هذا الشرف وهذه الوجاهة عن أن يقفا مع هذا الحق ويؤازرانه.

3 - البخل براحته ورفاهيته وإجمام نفسه عن أن تكون هذه جميعا في مصلحة الغير مع قدرته على ذلك.

4 - البخل بالعلم بمعنى حبسه عن الناس وإن سألوه، أو حبس الجواب الكافي الشافي عند السؤال، والاقتصار في الجواب، ولا سيما عند الفتيا، بكتابة "نعم" أو "لا".

5 - البخل بنفع البدن في أي صورة من الصور، كالعدل بين الناس ومواساة ذوي الحاجة، وإماطة الأذى عن الطريق، وإرشاد الضال أو التائه إلى الطريق والإفساح في المجلس ونحوه.

6 - البخل بحسن الخلق من عدم مقابلة السيئة بمثلها، ومن العقود، وكف الأذى.

7 - البخل بالنفس، فلا يضحي بها ولا يبذلها فداءً لدين الله، مع أنه يرى حرمة الدين تنتهك متمثلة في نشر الشرك والإلحاد، وسفك الدماء، وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال، والعدوان على المقدسات ونحوها.

8 - البخل بالمال، بمعنى حبسه عن صرفه في أوجه الخير والاستحقاق.

9 - البخل بما يقدمه الآخرون من نفس ومال خدمة لدين الله عز وجل، على نحو ما يصنعه رسميون اليوم من ملاحقة وإيذاء كل من يصنع ذلك، متهمين إياه بأوصاف ما أنزل الله بها من سلطان بحجة تجفيف المنابع.

10 - لمز الآخرين فيما يقدمون على نحو ما قال المنافقون في نفر من المؤمنين لم يجدوا ما يتصدقون به سوى جهدهم، وحكاه الحق تبارك وتعالى في كتابه فقال: {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهـم ولهم عذاب أليم} [التوبة: 79]. وهلم جرا.

والشُّح بكل صوره، ومظاهره مذموم:

فقد بين الله في كتابه أن من طهرت نفسه من الشُّح فهو من المفلحين حقا، فقال: {ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} [الحشر: 9. التغابن: 16].

وعن أبي الهياج الأسدي قال: كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلا يقول: اللهم قني شح نفسي، لا يزيد على ذلك، فقلت له، فقال: "إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق، ولم أزن، ولم أفعل شيئا"، وإذا الرجل: عبد الرحمن بن عوف . ([[195]](#footnote-196))

وعن ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله عز وجل: {و مَنْ يوق شحَّ نفسه} قال: مَنْ وقَى شحَّ نفسه فلم يأخذ من الحرام شيئا، ولم يقربه، ولم يَدْعُه الشُّح أن يحبس من الحلال شيئا فهو من المفلحين . ([[196]](#footnote-197))

وعن ابن عباس قال: قوله: {ومَنْ يوق شحَّ نفسه} يقول: هوى نفسه، حيث يتبع هواه، ولم يقبل الإيمان . ([[197]](#footnote-198))

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: {ومَنْ يوق شحَّ نفسه}: أن يعمد إلى مال غيره فيأكله . ([[198]](#footnote-199))

ويقول ابن جرير رحمه الله: وقوله {فأولئك هم المفلحون} يقول: فهؤلاء الذين وقوا شح أنفسهم المنجحون الذين أدركوا طلباتهم عند ربهم . ([[199]](#footnote-200))

كما بين سبحانه أن الشُّح على المؤمنين بالخير من البر والمعروف من صفات المنافقين، وكفى بهذا ذما للشح، فقال: {قد يعلم الله المعوقين منكم، والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا، أشحة عليكم، فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم، كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم، و كان ذلك على الله يسيرا} [الأحزاب: 18- 19].

يقول أبو الحسن المارودي: قوله تعالى: { أشحة عليكم} فيه أربعة تأويلات:

أحدهما: أشحة بالخير، قاله مجاهد.

الثاني: بالقتال معكم، قال ابن كامل.

الثالث: بالغنائم أصابوها، قاله السدِّي.

الرابع: أشحة بالنفقة في سبيل الله، قاله قتادة . ([[200]](#footnote-201))

ويقول أيضا: قوله تعالى: {أشحة على الخير}، فيه ثلاثة أوجه:

أحدهما: على قسمة الغنيمة، قاله يحيى بن سلام.

الثاني: على المال ينفقونه في سبيل الله، قاله السدي.

الثالث: على النبي صلى الله عليه وسلم بظفره . ([[201]](#footnote-202))

وقال تعالى {ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة} [آل عمران: 18].

وقال صلى الله عليه وسلم فوق ما ذكرنا من أحاديث في تعريف الشُّح: وكلها في ذمه: (مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت، أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه، وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها ولا تتسع . ([[202]](#footnote-203))

يقول الإمام الخطابي رحمه الله: هذا مثل ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم للجواد المنفق، والبخيل الممسك، وشبههما برجلين أراد كل واحد منهما أن يلبس درعا يستجن بها - يعني يستتر - فصبها على رأسه ليلبسها، والدرع أول ما يلبس إنما يقع على موضع الصدر، والثديين إلى أن يسلك لابسها يديه في كميها، ويرسل ذيلها على أسفل بدنه فيستمر سفلا، فجعل صلى الله عليه وسلم مثل المنفق مثل من لبس درعا سابغة فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه، وحصنته، وجعل البخيل كرجل كانت يداه مغلولتين إلى عنقه، ناتئتين دون صدره، فإذا أراد لبس الدرع حالت يداه بينهما، وبين أن تمر سُفلا على البدن، واجتمعت في عنقه، فلزمت ترقوته، فكانت ثقلا ووبالا عليه من غير وقاية له، أو تحصين لبدنه.

وحقيقة المعنى: أن الجواد إذا هم بالنفقة اتسع لذلك صدره، وطاوعته يداه فامتدتا بالعطاء والبذل، وأن البخيل يضيق صدره، وتنقبض يداه عن الإنفاق في المعروف والصدقة. وإلى هـذا المعنى أشير - والله أعلم - في قوله عز وجل: {وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء} [ المائدة: 64] . ([[203]](#footnote-204))

ثالثا: أسباب الشُّح

وللشح أسباب توقع وبواعث تدعو إليه، وأهم هذه الأسباب، وتلك البواعث:

1 ـ الوسط الذي يعيش فيه المسلم.

فقد يعيش المسلم في وسط معروف بالشح، ونعني بالوسط هنا القريب - وهو البيت - والبعيد وهو المجتمع - ولا تكون لدى هذا المسلم الحصانة الكافية، وحينئذ يتأثر بهذا الوسط، وتنتقل عدواه إليه، فيبخل بكل بر أو معروف: مالا أو غيره، في يده أو في يد غيره.

ولهذا المعنى وغيره أكد الإسلام على ضرورة نظافة وطهارة واستقامة الوسط الذي يعيش فيه المسلم.

وقد ذكرنا غير مرة، وفي أكثر من آفة بعض النصوص الداعية إلى ذلك سواء في البيت أو في المجتمع.

2 ـ حب الدنيا مع توهم الفقر.

وقد يكون حب الدنيا ببريقها وزخارفها، وزينتها من الأسباب المؤدية إلى الشُّح، حيث يتوهم من ابتلاه الله بحب الدنيا أنه إن أعطى فسيخلو جيبه، وستضيع صحته وعافيته وسيريق ماء وجهه، وتذهب مكانته ومنزلته بين الناس، ويبدد أوقاته، ويعرض نفسه لما لا تحمد عقباه من الأذى بكل صنوفه وأشكاله المادية والمعنوية.

وخير له أن يمسك بره ومعروفه عن الناس كي تدوم له دنياه، ناسيا أو متناسيا أن الله يخلف على عبده كما قال: {وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه} [سبأ: 39]، ولعل هذا من بين الأسباب التي من أجلها ذم الله عز وجل حب الدنيا، والمحبين لها، إذ يقول الله سبحانه: {كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة} [القيامة: 21 ـ 20].

يقول الماوردي: قوله {كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة} فيه وجهان: أحدهما: تحبون ثواب الدنيا، وتذرون ثواب الآخرة، قاله مقاتل، وثانيهما: تحبون عمل الدنيا، وتذرون عمل الآخرة . ([[204]](#footnote-205))

ويقول سبحانه: {إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا{ [الإنسان: 27].

ويقول سبحانه: {وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة} [إبراهيم: 2 - 3].

{ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة} [النحل: 106-107].

3 ـ إهمال النفس من المجاهدة.

وقد يكون إهمال النفس من المجاهدة من بين الأسباب التي توقع في الشُّح، ذلك أن المرء مجبول بفطرته على الشُّح، كما قال سبحانه: {إن الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد} [العاديات: 6 - 8].

فقد فسر العلماء الخير هنا بالمال، أو بالدنيا، إذ يقول الماوردي: قوله: {وإنه لحب الخير لشديد} يعني الإنسان، وفي الخير ها هنا وجهان: الأول: المال، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والثاني: الدنيا، قاله ابن زيد، ويحتمل ثالثا: أن الخير ها هنا : الاختيار، ويكون معناه، وإنه لحب اختياره لنفسه شديد . ([[205]](#footnote-206))

وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ( لا يزال قلب الكبير شابا في اثنتين: في حب الدنيا، وطول الأمل ([[206]](#footnote-207))

وفي رواية: (يكبر ابن آدم، ويكبر معه اثنتان: حب المال، وطول العمر) . ([[207]](#footnote-208))

فقد قال الإمام النووي رحمه الله: هذا مجاز، واستعارة، ومعناه: أن قلب الشيخ كامل الحب للمال، متحكم في ذلك، كاحتكام قوة الشاب في شبابه، هذا صوابه، وقيل في تفسيره غير هذا مما يرتضي . ([[208]](#footnote-209))

ونقل الحافظ ابن حجر عن بعض العلماء بيان الحكمة في التخصيص بهذين الأمرين، وخلاصته: أن أحب الأشياء إلى ابن آدم نفسه، فهو في بقائها، فأحب لذلك طول العمر، وأحب المال، لأنه من أعظم الأسباب في دوام الصحة التي ينشأ عنها غالبا طول العمر، فكلما أحس بقرب نفاذ ذلك اشتد حبه له، و رغبته في دوامه . ([[209]](#footnote-210))

أجل، إن المرء مجبول بفطرته على الشُّح - كما رأينا من هذه النصوص - وقد يستسلم هذا المرء إلى هذا الذي فطر عليه، ولا يسوس نفسه، ولا يجاهدها، وتكون العاقبة تمكن هذا الشُّح من نفسه بصورة يصعب معها العلاج.

4 ـ الاستعلاء و التكبر في الأرض بغير الحق .

وقد يكون الاستعلاء والتكبر في الأرض بغير الحق من أسباب الوقوع في الشُّح، ذلك أن المستعلي، أو المتكبر في الأرض بغير الحق رسم لنفسه صورة معينة، و أحاطها بهالة خاصة، ويملي عليه هواه، وتوسوس له نفسه الأمارة بالسوء، ويغريه أقرانه من شياطين الجن والإنس، وتزين له الدنيا - أنه لا بد له كي يحتفظ بهذه الصورة التي رسمها لنفسه، وتلك الهالة التي أحاطها بها ألا يأتي ما فيه عون، وبر للآخرين، إذ هم المطالبون في خدمته وحاجته لا يكون هو في خدمتهم وحاجتهم، وحينئذ يقع في آفة الشُّح والعياذ بالله.

5 ـ عدم اليقين بما عند الله .

وقد يكون عدم اليقين بما عند الله من ثواب الدنيا والآخرة هو الباعث على الشُّح.

ذلك أن من لم يصدق تصديقا لا يقبل الشك بحال أن الله يخلف على العبد أكثر مما يعطي هذا العبد، بل هو المانح ابتداء من غير حول من الخلق، ولا قوة ولا طول.

من لم يصدق بذلك يبخل بل يشح.

وقد لفت رب العزة النظر إلى هذا السبب حين قال: {وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى} [الليل: 8 - 10].

يقول الماوردي: وفي قوله: {وأما من بخل} وجهان: أحدهما : بخل بماله الذي لا يبقى، قاله ابن عباس والحسن، والثاني: بخل بحق الله تعالى، قاله قتادة، {واستغنى} فيه وجهان: أحدهما: بماله، قاله الحسن، والثاني عن ربه، قاله ابن عباس: {وكذب بالحسنى} فيه التأويلات السبعة - التي ذكرها في قوله : {وصدق بالحسنى} وهي:

أحدها: كذب بتوحيد الله وهو قول: لا إله إلا الله، قاله الضحاك، الثاني: بموعود الله، قاله قتادة، الثالث: بالجنة، قاله مجاهد، الرابع: بالثواب، قاله خصيف، الخامس: بالصلاة، والزكاة، والصوم، قاله زيد بن أسلم، السادس: بما أنعم الله عليه، قاله عطاء، السابع: بالخلف عن عطائه، قاله الحسن، ومعاني أكثرها متقاربة . ([[210]](#footnote-211))

6 ـ الحقد.

وقد يكون الحقد من بين الأسباب التي توقع في الشُّح.

ذلك أن المرء إذا كان حاقدا على غيره فإنه سيسعى جاهدا ألا ينفعه بنافعة من نفس، أو مال، أو هما معا، وهذا أمر بديهي ألمح إليه رب العزة، وهو يتحدث عن موقف الأنصار من المهاجرين فقال: {والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} [الحشر: 9].

فقد بين سبحانه في هذه الآية أن الذي حمل هؤلاء الأنصار على التضحية التي وصلت إلى حد الإيثار، إنما هو الإيمان التابع من سلامة الصدر من الأحقاد والذي أثمر المحبة والمودة والموالاة.

يقول الماوردي: قوله: {يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا} فيه وجهان: أحدهما: غيرة وحسدا على ما قدموا به من تفضيل وتقريب، وهو محتمل، والثاني: يعني حسدا على ما خصوا به من مال الفيء، وغيره، فلا يحسدونهم عليه، قاله الحسن . ([[211]](#footnote-212))

7 ـ الغفلة عن العواقب المترتبة عن الشح.

وأخيرا قد تكون الغفلة عن العواقب والآثار المترتبة على الشُّح: دينية أو دنيوية، على العملين، أو على العمل الإسلامي هي السبب في الوقوع في الشُّح، فإن من جهل عاقبة الشيء الضارة، وأثره المهلك، تردى في هذا الشيء وهو لا يدري.

رابعا : آثار الشح.

وللشح آثار ضارة، وعواقب مهلكة، على العاملين والعمل الإسلامي، ودونك طرفا من هذه الآثار، وتلك العواقب:

أ- على العاملين.

فمن آثار الشُّح على العاملين:

1 - حمل النفس على الوقوع في كل إثم و رذيلة.

وخلاصة وفحوى هذا الأثر: أن من ابتلاه الله بداء الشُّح فبخل بكل بر ومعروف في يده أو في يد غيره، لا بد له من عمل يشغل به نفسه، وهذا العمل لا يخرج أن يكون توظيفا للنفس في الإتيان بكل إثم ورذيلة، من منطلق [أن نفسك التي بين جنبيك، إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل].

ولقد أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآثام والرذائل التي يثمرها البخل حين قال في الحديث الذي تقدم في تعريف الشُّح: (.. واتقوا الشُّح، فإن الشُّح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم) . ([[212]](#footnote-213))

وفي رواية: إياكم والشُّح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح: أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا . ([[213]](#footnote-214))

وقد فهم ذلك الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف، إذ قدمنا عن أبي الهياج الأسدي قوله: كنت أطوف بالبيت، فرأيت رجلا يقول: اللهم قني شح نفسي، لا يزيد على ذلك، فقلت له، فقال: إني إذا وقيت شح نفسي: لم أسرق، ولم أزن، ولم أفعل شيئا، وإذا الرجل: عبد الرحمن بن عوف . ([[214]](#footnote-215))

2 - القلق والاضطراب النفسي.

والأثر الثاني الذي يتركه الشُّح على العاملين: إنما هو القلق والاضطراب النفسي، وذلك أن الشحيح صار غارقا في الآثام والرذائل: صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها كما قدمنا، ومثل هذا الصنف من الناس يعاقبه الله بأشد العقاب في الدنيا، وهو القلق والاضطراب النفسي، مصداقا لقوله سبحانه: {ومن يعرض عن ذكر ربه نسلكه عذابا صعدا} [الجن: 17]، {ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا} [طه: 124].

3 - العذاب الشديد في الآخرة .

ولا يقف أثر الشُّح على العاملين عند حد العقاب في الدنيا بالقلق والاضطراب النفسي، بل يتعداه إلى عقاب الآخرة، وهو العذاب الشديد في نار جهنم، وهذا الأثر الثالث.

قال تعالى: {ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين} [النساء: 14]، {ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا} [الجن: 23].

ب- على العمل الإسلامي .

وأما آثار الشُّح على العمل الإسلامي فكثيرة أيضا، وأهمها:

1 ـ الفرقة والتمزق.

ذلك أن عمل كل المنتمين إليه، والقائمين به أو أكثرهم معروف بالشح، لا يمكن أن يجمع الله هؤلاء على قلب رجل واحد أبدا بحيث يصيرون الروح الواحد، والفكر الواحد، والمشاعر الواحدة ويصدرون عن رأي واحد، وإن تعددت منهم الأجساد، بل على العكس يمزقهم الله شر ممزق، جزاء وفاقا.

2 - طول الطريق وكثرة التكاليف.

وإذا ابتلي العمل الإسلامي بالفرقة والقطيعة بين أهله، ومزقوا شر ممزق، كانت النتيجة: تمكن العدو، وإحكامه القبضة على أعناقنا وتضييق الخناق علينا، فتطول الطريق، وتكثر التكاليف، على النحو الذي نشهده، ونعيشه نحن المسلمين اليوم.

خامسا: علاج الشُّح.

وما دمنا قد وقفنا على ماهية الشُّح، ومظاهره، وأسبابه وآثاره على العاملين، وعلى العمل الإسلامي فقد أصبح من السهل علينا وصف الدواء، بل الوقاية من هذا الداء، وإليك السبيل:

1 - النظر في العواقب والآثار المترتبة على الشُّح في الدنيا والدين، فإن مثل هذا النظر مما يخوف النفوس، ويحركها من داخلها، الأمر الذي ييسر عليها سبيل الإقلاع، والتخلص من هذا الداء.

2 - اليقين التام بما عند الله من الأجر والمثوبة، والنعيم المقيم {وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون} [القصص: 60]، {وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون} [الشورى: 36]، {ما عندكم ينفد وما عند الله باق} [النحل: 96]، {وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين} [سبأ: 39].

3 - العيش الطويل مع كتاب الله عز وجل للوقوف على خبر وعاقبة أهل الشُّح والبخل، وكذلك خبر وثواب أهل العطاء والجود، الأمر الذي ييسر علينا سبيل التخلص من أخلاق الأشحاء، ويحملنا على التحلي بأخلاق الأجواد ممن وصفنا.

3 - دوام النظر في سنة وسيرة وهدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع النعمة التي أنعم الله بها عليه من مال أو غيره، وكيف كان من أحرص الخلق على إنفاق هذه النعمة، وتوظيفها في مرضاة الله عز وجل توظيفا كاملا دون شح أو بخل : إذ يقول ابن عباس رضي الله عنهما في صفته صلى الله عليه وسلم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة . ([[215]](#footnote-216))

قال الحافظ ابن حجر: قوله: فيدارسه القرآن، قيل الحكمة فيه: أن مدارسة القرآن تجدد له العهد بمزيد غنى النفس، والغنى سبب الجود، والجود في الشرع إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي، وهو أعم من الصدقة . ([[216]](#footnote-217))

ولقد ذكر ابن القيم في كتابه مدارج السالكين مراتب عشرة للجود: مثل الجود بالنفس، والجود بالجاه، والجود بالراحة والرفاهية، والجود بالعلم، والجود بالبدن، والجود بالبشر وبسط الوجه، والجود بالصبر، والجود بالعفو والصفح، والجود بكف الأذى، والجود بالمال والتعفف عما في أيدي الناس ، ([[217]](#footnote-218)) وما من شك في أنه صلى الله عليه وسلم كان مصدر هذه المراتب تلقاها عن ربه وحيا، ثم حولها إلى واقع عملي في دنيا الناس، أجل إنه لا بد من دوام النظر في سنة وسيرة وهدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما كان عليه من الجود بنعمة الله عليه، وبذلها فيما فيه مرضاته ونفع عباده على النحو الذي بينا، فلعل ذلك يحرك نفوس الأشحاء ويحملهم على التخلص من الشُّح، ثم التحلي بالجود اقتداء وتأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم.

5 - مطالعة أخبار الأجواد من البشر، ولا سيما أبناء أمتنا المسلمة على نحو ما أثر عن قيس بن سعد بن عبادة، و كان من الأجواد المعروفين: أنه مرض مرة، فاستبطأ إخوانه في العيادة فسأل عنهم، فقالوا: إنهم كانوا يستحيون مما لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر مناديا ينادي: من كان لقيس عليه مال فهو منه في حل، فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه، لكثرة من عاده.

وقالوا له يوما: هل رأيت أسخى منك؟

قال: نعم، نزلنا بالبادية على امرأة، فحضر زوجها، فقالت: إنه نزل بك ضيفان، فجاء بناقة فننحرها، وقال: شأنكم؟

فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها، فقلنا: ما أكلنا من التي نحرت البارحة إلا اليسير، فقال: إني لا أطعم ضيفاني البائت، فبقينا عنده يومين أو ثلاثة والسماء تمطر، وهو يفعل ذلك، فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته، وقلنا للمرأة: اعتذري لنا إليه، ومضينا، فلما طلع النهار إذ نحن برجل يصيح خلفنا: قفوا أيها الركب اللئام، أعطيتموني ثمن قرأي ؟ ثم إنه لحقنا، وقال لتأخذنه أو لأطاعننكم برمحي، فأخذناه وانصرف . ([[218]](#footnote-219))

وعلى نحو ما حفظ عن مفتي الديار المصرية الأسبق المرحوم الشيخ محمد حسنين مخلوف، إذ أوى في داره واحدا من أبناء الحركة الإسلامية الفارين من جحيم زعماء ثورة يوليو المصرية المباركة لعشر سنين، وهو يعلم تمام العلم أنه لو كشف أمره، فإن رقبته هي ثمن هذا الإيواء، ولكن جوده هو الذي حمله على ذلك مستعينا بالله. نعم إن مطالعة أخبار هذا الصنف من البشر له دور كبير في تحريك الأشحاء من داخلهم، علهم يتوبون أو يذكرون.

6 ـ الانسلاخ من الوسط المعروف بالشح والارتماء في الأوساط المعروفة بالجود والسخاء، فإن مثل ذلك يحمل الشحيح على الاقتداء والتأسي، أو على الأقل المحاكاة والتشبه.

7 ـ التخلص من داء الاستعلاء والتكبر في الأرض بغير الحق، وعلى نحو ما رسمنا في الجزء الأول من هذه الآفات، فإن من تحرر من الاستعلاء، والتكبر في الأرض بغير الحق يسهل عليه أن يتحرر بعد ذلك من الشُّح على اعتبار أنه ثمرة من ثماره المرة.

8 - تطهير الصدر من الأحقاد، فإن الصدر إذا طهر من الأحقاد سهل على صاحبه أن يتحرر من الشُّح، وربما تجاوز ذلك إلى المواساة بل الإيثار، على نحو ما جاء في كتاب الله عن الأنصار {والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة} [الحشر: 9].

9 - مجاهدة النفس، وأخذها بالعزيمة، وحملها حملا على ترك الشح وأن تتحلى بالمواساة بل بالإيثار، ويحسن أن يأخذها صاحبها بالتدريج مع الترغيب تارة، والترهيب أخرى، ويصبر على ذلك زمانا، فإن هذه المجاهدة إن كانت صادقة توصل بسرعة إلى المراد، وصدق الله الذي يقول: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين} [العنكبوت: 69].

10 - كثرة الدعاء والضراعة إلى الله الذي بيده مقاليد السماوات والأرض، فإن هذا الدعاء وهذه الضراعة إن كانا صادقين أجاب الله، وأعان على النفس، ورزق التخلص من هذا الداء، وكيف لا يكون الأمر كذلك، والله سبحانه يقول: {وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين} [غافر: 60].

11 - النظر إلى النعم التي أفاض الله علينا على أنها ليست ملكا لنا حتى نمنعها عن عباده، وإنما هي ملك لله، ونحن أمناء أو خزنة فقط على هذه النعم، ومن واجب الأمين أو الخازن أن يتصدق وفق مراد صاحب النعمة، وقد دعا صاحب النعمة إلى إنفاقها على عباده، و في مرضاته، مع الوعد الحق بأنه سيخلف أضعافا مضاعفة، إذ يقول سبحانه: {آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير } [الحديد: 7]، {وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين} [سبأ: 39].

12 - محاسبة النفس أولا بأول، فإن المحاسبة لها دور كبير في التخلص من هذا الداء، ولا سيما إذا كان مع المحاسبة تأديب للنفس، واستئصال لدائها عن طريق العقاب.

13 - التذكير الدائم بكل ما يتصل بهذه الآفة على النحو الذي ذكرنا، كما قال سبحانه وتعالى: {وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين} [الذاريات: 55]} فذكر إن نفعت الذكرى} [الأعلى: 9].

14 - فتح مجالات أو ميادين يمارس فيها الأشحاء صنوف البر والمعروف، ويهون عليهم أن يوظفوا ما لديهم من طاقات وإمكانات.

15 - تشجيع هذا الصنف من الناس حين يأتي برا ومعروفا بالثناء والمدح، فإن المرء كثيرا ما ينجح مع نفسه بالثناء والمدح على نحو ما جاء في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: في مسألة غير الشُّح، إذ يقول: كنتُ غلاما شابا عزبا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكنت أبيت في المسجد، وكان من رأى مناما قصه على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: اللهم إن كان لي عندك خير، فأرنا مناما يعبره لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنمت، فرأيت ملكين أتياني، فانطلقا بي، فلقيهما ملك آخر، فقال لي: لن تراع، إنك رجل صالح، فانطلقا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا فيها ناس قد عرفت بعضهم، فأخذا بي ذات اليمين، فلما أصبحت ذكرت ذلك لحفصة، فزعمت حفصة أنها قصتها على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: (إن عبد الله رجل صالح لو كان يكثر الصلاة من الليل) . ([[219]](#footnote-220))

فقد أثر هذا الثناء في ابن عمر، قال الزهري: وكان عبد الله بعد ذلك يكثر الصلاة من الليل.

16 - الوقوف على عواقب الأشحاء والبخلاء كأصحاب الجنة المذكورين في سورة القلم، ويمكن الاعتماد على كتاب البخلاء للجاحظ في تغطية هذا الجانب، فإن مثل ذلك مما يحمل العقلاء غالبا على تجنب ما يؤدي إلى هذه العواقب، أعني: الشُّح، وما ذلك على الله بعزيز.

الآفة الخامسة والعشرون

الغضب

والآفة الخامسة والعشرون التي أصابت وتصيب نفرا من العاملين وكانت سببا في كثير مما نشهده على ساحة العمل الإسلامي اليوم إنما هي: "الغضب".

ولا بد من أن نعمل جاهدين على التخلص بل التحصن ضد هذه الآفة، وبداية ذلك أن يكون في أيدينا تصور واضح ودقيق عن أبعاد ومعالم هذه الآفة، وذلك من خلال هذه الجوانب:

أولا: تعريف الغضب:

لغة

يأتي الغضب في اللغة على معان، منها:

أ - السخط، أو عدم الرضى بالشيء، وعن الشيء، نقول: غضب عليه غضبا، ومغضبة: سخط أولم يرض، وغضب له: سخط أولم يرض على غيره من أجله.

ب - العض على الشيء، نقول: غضبت الخيل على اللجم: عضت.

ج - العبوس، نقول: ناقة غضوب، وامرأة غضوب: عبوس.

د - ورم ما حول الشيء، تقول: غَضِبَتْ عينه، وغُضِبَتْ: ورم ما حولها.

هـ - الكدر في المعاشرة والخلق، نقول: هذا غُضَاِبي: كدر في معاشرته وخالقه.

و - الجُنَّة: تتخذ من جلود الإبل، تلبس للقتال، والغضبة: جلد المسن من الوعول حين يسلخ . ([[220]](#footnote-221))

ولا تعارض بين هذه المعاني جميعا، إذ منها ما يعبر عن حقيقة الغضب، وهو المعنى الأول، ومنها ما يعبر عن مظاهره وأماراته الدالة عليه، وهو المعنى الثاني، والثالث، والرابع، ومنها ما يعبر عن آثاره وهو المعنى الخامس، ومنها ما يعبر عن هدفه، وغايته، وهو المعنى السادس والأخير.

اصطلاحا:

أما في الاصطلاح فهو: تغير داخلي أو انفعال يحمل على السطو والانتقام شفاء لما في الصدر، وأشد منه الغيظ حتى قالوا في تعريفه: إنه شدة الغضب . ([[221]](#footnote-222))

ثانيا: مظاهر، وحقيقته في الإسلام:

وللغضب مظاهر دالة عليه، وأمارات يعرف بها، ومنها:

1 - انتفاخ العروق والأوداج مع احمرار الوجه والعينين.

2 - عبوس وتقطيب الوجه والجبين.

3 - العدوان على الغير باللسان، أو باليد، أو بالرجل، أو ما يقوم مقام ذلك.

4 - مقابلة العدوان بمثله وأشد مع عدم تقدير للعواقب الناجمة عن ذلك ، ([[222]](#footnote-223)) وهلم جرا.

وحقيقة الغضب في الإسلام: أن منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم.

\* فما كان منه دفاعا عن نفس، أو عرض، أو مال، أو دين، أو حقوق عامة، أو نصرة مظلوم فمحمود. ويشهد بذلك أدلة كثيرة منها:

1 - أن الله خلق الإنسان ليكون خليفة في الأرض كما قال سبحانه:

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً} (البقرة: 30).

وحتى ينهض الإنسان بهذه المهمة خلق مكونا من روح، وعقل، وبدن، واقتضت حكمته سبحانه: أن يجعل البدن في خدمة الروح، وأن يكون البدن في هيئة تجعله صالحا لخدمة الروح مدة بقاء الإنسان في الأرض، فخلق فيه قوتين:

الأولى: القوة الشهوية، ومهمتها جلب كل ما ينفع البدن ويغذيه.

الثانية: القوة الغضبية، ومهمتها دفع كل ما يضر البدن ويهلكه.

كما خلق له الأعضاء والجوارح لتكون في خدمة كل من القوة الشهوية والقوة الغضبية، وخلق له العقل كذلك ليكون بمثابة مشير أو ناصح للروح، بحيث إن مالت كل من القوتين الشهوية والغضبية، عن حد الاعتدال، أشار العقل على الروح أو نصحه بضرورة اتخاذ موقف صارم مع القوة التي مالت، ليعود للإنسان توازنه وتكامله.

وعلم الله أن العقل قد يعتريه ما يحول بينه وبين بذل النصح والإرشاد لسبب أو لآخر، فأنزل له منهاجا يتمثل في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ينير الطريق، ويهدي للحق، ويحفظ التوازن والتكامل بين سائر الجوانب التي يتكون منها الإنسان، كي تبقى شخصيته سوية مستقيمة، ليس بها خلل أو اعوجاج . ([[223]](#footnote-224))

فالغضب إذن خلق في الإنسان ليدافع به عن كل ما تقدم، ويصون به الحرمات، والمقدسات.

2 - وأن الله - عز وجل - أثنى على أصحاب نبيه بأنهم أشداء على الكفار، فيقول:

{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّار} (الفتح: 29).

والشدة على الكفار لا تنبعث إلا عن الحمية، والغضب، وهم لم يغضبوا فيما أخبر عنهم ربهم إلا له سبحانه وتعالى، حيث يقول:

{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ} (الحشر).

يقول ابن جرير-رحمه الله : " قوله : {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ}: يقول تعالى ذكره: محمد رسول الله، وأتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينه أشداء على الكفار: غليظة عليهم قلوبهم، قليلة بهم رحمتهم" . ([[224]](#footnote-225))

3 - وذكر الله - عز وجل - أن من صفات الصنف المرشح لحماية دين الله والتمكين له في الأرض بعد إذ يعرض من يعرض، إنما هي العزة على الكافرين فقال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِين} (المائدة: 54). يقول ابن جرير-رحمه الله:

"ويعني بقوله {أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِين} أشداء عليهم، غلظاء بهم، من قول القائل: قد عزني فلان إذا أظهر العزة من نفسه له، وأبدى له الجفوة والغلظة" . ([[225]](#footnote-226))

4 - وقال تعالى : {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (التوبة، التحريم: 9).

ومعلوم أن الغلظة على هؤلاء إنما تنبع من الغضب عليهم بسبب كفرهم ونفاقهم المؤدين إلى الصد عن سبيل الله، وإرادتها عوجا.

5 - وجاء في صفته صلى الله عليه وسلم أنه "ما خير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنهك حرمة الله، فينتقم الله بها" . ([[226]](#footnote-227))

وعلى هذا النوع من الغضب يتنزل قول الشافعي رضي الله عنه: "من استغضب فلم يغضب فهو حمار" . ([[227]](#footnote-228))

\*وما كان منه انتقاما لنفس فمذموم، وهو المقصود هنا، وبذمه جاءت الأخبار والآثار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" . ([[228]](#footnote-229))

وعن أبي هريرة أيضا: أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال: "لا تغضب"، فردد مرارا، قال: "لا تغضب" . ([[229]](#footnote-230))

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما تعدون الصرعة فيكم؟"، قلنا: الذي لا تصرعه الرجال، قال: "ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب" . ([[230]](#footnote-231))

وعن عبد الله بن عمرو: أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ينقذني من غضب الله؟ قال: "لا تغضب" . ([[231]](#footnote-232))

وقال أبو الدرداء: قلت: يا رسول الله، دلني على عمل يدخلني الجنة، قال: "لا تغضب" . ([[232]](#footnote-233))

وقال عبد الله بن مسعود : انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه، وأمانته عند طمعه، وما علمك بحلمه إذا لم يغضب، وما علمك بأمانته إذا لم يطمع . ([[233]](#footnote-234))

وكان عمر رضي الله عنه إذا خطب، قال في خطبته:

"أفلح منكم من حفظ من الطمع، والهوى، والغضب" . ([[234]](#footnote-235))

وقيل لعبد الله بن المبارك: أجمل لنا حسن الخلق في كلمة، فقال: اترك الغضب . ([[235]](#footnote-236))

تلك هي حقيقة الغضب في الإسلام، وقد لخص هذه الحقيقة بأسلوب سهل ميسور الشيخ علي محفوظ نقلا عن الغزالي في الإحياء فقال:

للغضب ثلاث درجات:

الأولى: درجة الاعتدال، بأن يغضب ليدافع عن نفسه، أو دينه، أو عرضه، أو ماله، أو ليدافع عن الحقوق العامة، ونصرة المظلوم، وتلك الحالة التي من أجلها خلق الغضب، فهو مخلوق لحكمة ضرورية اقتضتها طبيعة العمران، وطلبها نظام المجتمع الإنساني، فإن التنافس في هذه الحياة، والتزاحم على مرافقها يستدعي دفاعا قويا عن النفس، والدين، والمال، والعرض والحقوق العامة، ولولا ذلك لفسدت الأرض بانتشار الفوضى، وتقويض نظام الاجتماع؛ لأن من لا يغضب لنفسه كان معرضا للزوال من هذا الوجود، أو معرضا لأن يسخره غيره تسخير الدواب التي لا تغضب لنفسها، ومن لا يغضب لدينه، فإنه يكون عرضة لتقليد القوي في كل ما يراه ويستحسنه، فينتقل من دين إلى دين بسبب التقليد الأعمى، ومن لا يغضب لعرضه لا يغار على نسائه، وتختلط الأنساب، وتشيع الفاحشة في طبقات الأمة، ويصبح الإنسان كالحيوان ينزو ذكره على أنثاه بدون غيرة ولا حمية، ومن لا يغضب لماله فإنه لا يلبث أن يسلبه الناس منه فيصبح فقيرا معدما، وإذا فشا سلب المال تعطل نظام العمل، بل بطلت الأعمال التجارية، والصناعية، والزراعية، واعتمد الناس على سلب بعضهم بعضا، وذلك شر ووبال في العاجل والآجل، ومن لا يغار للحقوق العامة، وإنصاف المظلومين فقد خالف مقتضى الطبيعة التي فطر الله الناس عليها، وفي مثله يقول الإمام الشافعي - رحمه الله: من استغضب فلم يغضب فهو حمار؟ أي بليد الطبع، فاقد الحمية، والى ذلك يشير قوله تعالى: {وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} (البقرة).

الثانية: درجة التفريط، وهي أن ينحط الغضب عن درجة الاعتدال، بأن يضعف في الإنسان، أو يفقد منه رأسا، وتلك الحالة مذمومة شرعا، وعقلا؛ لأن من لا يغضب لنفسه، أو لدينه، أو لعرضه، أو لماله، أو للمصالح العامة فهو جبان لم يجر على سنن الله في خلقه.

وفي ذلك خطر عظيم على الاجتماع؛ لأنه مثار الفوضى في جميع مرافق الحياة كما علمت.

الثالثة: درجة الإفراط، وهي أن يخرج الغضب عن حد الاعتدال، ويطغى على العقل والدين، ويندفع في سبيل الشر اندفاعا قد يؤدي إلى الهلاك من حيث لا يدري، وربما جره غضبه لأجل أمر يسير إلى ارتكاب أكبر الجرائم، وشر الموبقات، ومعلوم أن الغضب في تلك الحالة مذموم شرعا وعقلا، وتتفاوت درجات الذم بتفاوت الآثار المترتبة عليه قوة وضعفا، فكلما اشتد ضررها كان الغضب أكبر حجما، وأكثر ذما" . ([[236]](#footnote-237))

ثالثا: أسباب الغضب:

وللغضب أسباب تؤدي إليه، وبواعث توقع فيه، وأهم هذه الأسباب وتلك البواعث:

1 - البيئة المحيطة بالمرء:

والسبب الأول الذي يؤدي بالمرء إلى الغضب إنما يرجع إلى البيئة المحيطة بهذا المرء، أعمّ من أن تكون قريبة - وهي البيت، أو بعيدة - وهي المجتمع؛ إذ قد تحيط بالمرء بيئة مليئة بأشرار يحسبون التهور شجاعة، وطغيان الغضب الموجب للظلم رجولة، فتتأثر نفسه بذلك، وتصبح سرعة الغضب عادة له، وشعارا.

2 - المراء أو الجدل:

والسبب الثاني المؤدي إلى الغضب إنما يرجع إلى المراء أو الجدل بالباطل؛ ذلك أن كلا من المتخاذلين يريد الانتصار على الآخر، ولو بالباطل، وحين لا يتم له ذلك يغضب ويثور، قاصدا السطو أو الانتقام، لا سيما إذا كان يرى نفسه أقوى وأشد ممن يناظره أو يجادله.

ولعل هذا هو السبب في التحذير من المراء أو الجدل بالباطل على النحو الذي قدمنا في آفة: "المراء أو الجدل لا من هذه السلسلة أعني سلسلة: "آفات على الطريق".

3 - المزاح بالباطل:

والسبب الثالث المؤدي إلى الغضب إنما يعود إلى المزاح بالباطل؛ ذلك أن المزاح إذا تجاوز حدود الحق إلى الباطل أدّى إلى الخصومة، وتنتهي الخصومة إلى إشعال نار الغضب في القلب بصورة تنعكس على الجوارح، فإذا هي ساعية إلى السطو والانتقام.

ولعل هذا هو السبب في أنه صلى الله عليه وسلم كان يمزح ولا يقول إلا حقا، وأنه نهى عن المزاح بالباطل، إذ يقول: "لا تمار أخاك ولا تمازحه، ولا تعده موعدة فتخلفه" . ([[237]](#footnote-238))

4 - عدوان الآخرين بأي لون من ألوان العدوان:

والسبب الرابع الذي يؤدي إلى الغضب إنما يرجع إلى عدوان الآخرين بأي لون من ألوان العدوان، ذلك أن المرء إذا وقع عليه عدوان من الآخرين بأي لون من ألوان العدوان: سخرية، أو استهزاء، أو تجسسا وتتبعا لعوراته، أو غيبة، ونميمة، أو سبا وتجريحا، أو اعتقالا وسجنا، أو ضربا وتعذيبا، على نحو ما تصنعه أكثر حكومات العالم الإسلامي - بل العربي على وجه الخصوص - مع بعض الشباب المتدين الغيور الذي أخطأ الطريق، الأمر الذي يثيره من داخله، ويحمله على الرد بصورة أو بأخرى.

ولعل هذا هو السبب في تحذير الله ورسوله من العدوان على الآخرين دون مبرر يقتضي ذلك، إذ يقول سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}

وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، ولا يخذله..." الحديث . ([[238]](#footnote-239))

5 - الاستعلاء والتكبر في الأرض بغير الحق:

والسبب الخامس الذي يؤدي إلى الغضب إنما يرجع إلى الاستعلاء والتكبر في الأرض بغير الحق؛ ذلك أن المستعلي المتكبر في الأرض بغير الحق يتأثر كلما فاته ما يعتقد أنه يستبقي عظمته ومنزلته بين الناس، فإذا طالبه أحد بحق استشاط غضبه، وكذا إذا نهاه عن رذيلة، أو عارضه في أي أمر كان، لاعتقاده أنه كامل من جميع الجهات، فلا يصح لأحد أن يأمره، أو ينهاه، أو يقف في سبيله، وهو في الواقع ناقص من كل وجه، يحاول أن يجبر نقصه باستعلائه، وتكبره.

6 - نسيان النفس من المجاهدة:

والسبب السادس الذي يؤدي إلى الغضب إنما يعود إلى نسيان النفس من المجاهدة؛ ذلك أن أي داء يبتلى به الإنسان يتفاقم ويعظم، ويصبح كأنه قطعة من جبلة الإنسان حين يهمله، ولا يجاهد نفسه أن تقلع عنه، وتتخلص منه. ولهذا دعا الله - كما قدمنا غير مرة -إلى المجاهدة، فقال سبحانه:

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (العنكبوت).

7 - عدم قيام الآخرين بواجبهم نحو من ابتلى بالغضب:

والسبب السابع الذي يؤدي إلى الغضب إنما يرجع إلى عدم قيام الآخرين بواجبهم نحو من ابتلي بالغضب؛ ذلك أن الإنسان قد يعرف عجبه وآفته، ولكنه لضعفه أمام نفسه، وأمام إغراءات شياطين الإنس والجن، وزينة الحياة الدنيا، يعجز عن التخلص من هذا العيب، وهذه الآفة، وحينئذ لا بدّ له من عون الآخرين، ووقوفهم بجانبه حتى يتخلص من عيبه بالغضب، فإن هذا الغضب يتفاقم، ويعظم حتى يصبح وكأنه جزء من شخصية صاحبه لا ينفك عنه بحال.

8 - الوصف بما يراه المرء منقصة له أو عيبا:

والسبب الثامن الذي يؤدي إلى الغضب إنما يرجع إلى الوصف بما يراه المرء منقصة له أو عيبا؛ ذلك أن الإنسان إذا وصف بأوصاف يرى فيها انتقاصا له، ونيلا من كرامته بأن يقال له: لو كنت رجلا للقيت فلانا وفلانا، وأظن أنك ما تريد أن تلقى فلانا إلا فرقا أو خوفا من بأسه، وهكذا، الأمر الذي يحركه من داخله وينعكس ذلك على جوارحه فإذا هو محمر الوجه والعينين، مرغيا، مزبدا، ساعيا إلى السطو والانتقام على نحو ما جاء في سبب خروج أمية بن خلف إلى مصرعه يوم بدر:

إذ يروي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيقول:

"انطلق سعد بن معاذ معتمرا، فنزل على أمية بن خلف أبي صفوان، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية لسعد: انتظر، حتى إذا انتصف النهار، وغفل الناس، انطلقت فطفت، فبينا سعد يطوف إذا أبو جهل، فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة؟ فقال سعد: أنا سعد، فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمنا، وقد آويتم محمدا وأصحابه، فقال: نعم، فتلاحيا بينهما، فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، فإنه سيد أهل الوادي، ثم قال سعد: والله، لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام، قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه، فغضب سعد فقال: دعنا عنك، فإني سمعت محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم: أنه قاتلك، قال: إياي؟ قال: نعم، قال: والله، ما يكذب محمد إذا حدّث، فرجع إلى امرأته، فقال: أما تعلمين ما قال أخي اليثربي؟ قالت: وما قال؟ قال: إنه سمع محمدا يزعم أنه قاتلي، قالت: فو الله ما يكذب محمد، قال: فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ، قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي، قال: فأراد ألا يخرج، فقال أبو جهل: إنك من أشراف الوادي، فسر يوما أو يومين، فسار معهم، فقتله الله" . ([[239]](#footnote-240))

وفي رواية عن ابن إسحاق، قال: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح: "أن أمية بن خلف كان أجمع القعود، وكان شيخا جليلا، جسيما ثقيلا، فأتاح عقبة بن أبي معيط وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه بمجمرة يحملها، فيها نار ومجمر، حتى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا علي، استجمر، فإنما أنت من النساء، قال: قبحك الله، وقبح ما جئت به، قال: ثم تجهز، وخرج مع الناس" . ([[240]](#footnote-241))

وفي رواية: "أن أبا جهل هو الذي ما زال به يدفعه ويحرضه حتى قال: أما إذ غلبتني لأشترين أجود بعير بمكة" . ([[241]](#footnote-242))

فانظر كيف استطاع عقبة بن أبي معيط أو أبو جهل إغضاب أمية بن خلف إغضابا حمله على شراء أجود بعير ليشاركهم الخروج إلى بدر، وكانت وسيلة كل منهما في ذلك إنما هي وصف أمية بن خلف بما اعتبره انتقاصا، وعجبا، وإهانة له، ورأى أن أحسن وسيلة للرد على كل هذه الأوصاف، إنما هي الخروج مع القوم على أجود راحلة.

9 - التذكير بالعداوات والثارات القديمة:

والسبب التاسع الذي يؤدي إلى الوقوع في الغضب إنما يرجع إلى التذكير بالعداوات والثارات القديمة ؛ ذلك أن المرء قد يكون له ثأر عند آخرين، ويتنازل عنه ديانة أو إيمانا، وتلتقي القلوب ويكون الحب والإخاء، وهنا يعمل الحاقدون والحساد على تسويد هذه القلوب، والنيل من الأخوة بوسيلة أو بأخرى، ويتخذون من التذكير بالثارات القديمة وسيلة من أنجح الوسائل لذلك.

على نحو ما جاء في علاقة الأنصار- أوسهم وخزرجهم - فقد كانت بينهم حروب وثارات في الجاهلية، ولما جاء الإسلام أبطل هذه الثارات، وألّف بين قلوبهم، وجمع كلمتهم.

وغاظ ذلك اليهود، فحاولوا الوقيعة بينهم - على ما أورده ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ( إلى قوله تعالى: )وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (آل عمران).

إذ يقول: "وقد ذكر أن هاتين الآيتين من قوله: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} والآيات بعدهما إلى قوله : {وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} نزلت في رجل من اليهود حاول الإغراء بين الحيَّين من الأوس والخزرج بعد الإسلام ليراجعوا ما كانوا عليه في جاهليتهم من العداوة والبغضاء، فعنفه الله بفعله ذلك، وقبح له ما فعل، ووبخه عليه، ووعظ أيضا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاهم عن الافتراق والاختلاف، وأمرهم بالاجتماع والائتلاف وذكر الرواية بذلك فقال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني الثقة، عن زيد بن أسلم قال: مرَّ شاس بن قيس، وكان شيخا قد عسا في الجاهلية - يعني: كبر-عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال : قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد -يعني أمهم، وكانت تسمى قيلة - والله ما لنا معهم - إذا اجتمع ملؤهم - بها من قرار، فأمر فتى شابا من اليهود، وكان معه، فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم، وذكرهم يوم بعاث، وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا، وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيّين على الركب، أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس، وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن جذعة. وغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا، السلاح السلاح، موعدكم الظاهرة - والظاهرة الحرة - فخرجوا إليها، وتحاور الناس، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج : بعضها إلى بعض، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبلغ ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم، فقال: "يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر، وألّف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا"، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاش بن قيس، وما صنع، فأنزل الله في شاس بن قيس وما صنع: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا} (آل عمران)، وأنزل الله - عز وجل - في أوس بن قيظي، وجبار بن صخر، ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا مما أدخل عليهم شاس بن قيس من أمر الجاهلية {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} إلى قول: {وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (آل عمرا ن)" . ([[242]](#footnote-243))

10 - الغفلة عن العواقب المترتبة على الغضب:

وأخيرا، قد تكون الغفلة عن العواقب والآثار المترتبة على الغضب فردية أو جماعية، دنيوية أو أخروية، هي السبب في الوقوع في الغضب؛ ذلك أن المرء إذا غفل عن الآثار والعواقب المترتبة على أمر ما وقع في ذلك الأمر من حيث لا يدري، ولا يشعر.

ولعل هذا هو السر في دعوة الشارع الحكيم إلى الفقه في الدين إذ يقول الله عز وجل في أول آيات الوحي: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} (العلق).

ويقول: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} (التوبة). {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} (طه). ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين..." الحديث . ([[243]](#footnote-244))

رابعا: آثار الغضب:

وللغضب آثار ضارة، وعواقب مهلكة على العاملين، وعلى العمل الإسلامي، ودونك طرفا من هذه الآثار، وتلك العواقب:

أ - على العاملين :

فمن آثار الغضب على العاملين:

1 - الإضرار بالبدن:

ذلك أن الغضب ينشأ من غليان الدم في القلب، ثم اندفاعه في العروق، كما يظهر من احمرار الوجه والعينين، وتكرار ذلك ينشأ عنه غالبا ضغط الدم، وربما تصلب الشرايين، ثم الشلل والعياذ بالله، وهكذا ينتهي الغضب إلى الإضرار بالبدن.

2 - نقصان الدين:

وذلك أن الغضب قد يؤدي بصاحبه إلى غيبة الآخرين، وربما إلى انتهاك أعراضهم، وسلب أموالهم وسفك دمائهم، وذلك كله إثم، ونقصان في الدين.

3 - عدم القدرة على الإمساك بزمام النفس:

ذلك أن العقل في ساعة الغضب يكون كالمستور أو كالمغطى، وإذا ستر العقل أو غطي صار الإنسان غير قادر على الإمساك بزمام النفس، وحينئذ يصدر منه مالا يحمد عقباه، وما يؤدي إلى الندم، ولكن بعد فوات الأوان. وقد قال سليمان بن داود عليهما السلام: "إياك وكثرة الغضب، فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم" . ([[244]](#footnote-245))

وعن وهب بن منبه: "أن راهبا كان في صومعته، فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع، فجاءه حتى ناداه، فقال له: افتح، فلم يجبه، فقال: افتح فإني إذا ذهبت ندمت، فلم يلتفت إليه... قال: فولى مدبراً، فقال الراهب: ألا تسمع؟ قال: بلى، أخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم؟ فقال: الحدّة، إن الرجل إذا كان حديدا قلبتاه كما يقلب الصبيان الكرة" . ([[245]](#footnote-246))

وقال بعضهم لولده: "يا بني، لا يثبت العقل عند الغضب، كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة، فأقل الناس غضبا أعقلهم، فإن كان للدنيا كان دهاءً ومكرا، وإن كان للآخرة كان حلما وعلما، فقد قيل: الغضب عدو العقل، والغضب غول العقل" . ([[246]](#footnote-247))

4 - الوقوع في مذلة الاعتذار:

ذلك أن المغضب يقع منه حال الغضب مالا يدري ولا يشعر به، وهذا بدوره يوقعه في مذلة الاعتذار. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ارتكاب كل ما يؤدي إلى الوقوع في مذلة الاعتذار، فقال: "إياك وكل ما يعتذر منه" . ([[247]](#footnote-248))

وكان بعضهم يقول: "إياك والغضب، فإنه يصيرك إلى ذلة الاعتذار" . ([[248]](#footnote-249))

5 - العذاب الشديد:

إذ الغضبان كثير الخطأ، والوقوع في المعاصي والسيئات، وهذه توجب العذاب الشديد في الآخرة فقط، أو في الدنيا والآخرة جميعا، وصدق الله إذ يقول: {وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا} (الجن)، {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا} (طه: 124).

وصدق النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول - وقد سأله عبد الله بن عمرو بن العاص: ما ينقذني من غضب الله؟ "لا تغضب" ، ([[249]](#footnote-250)) وإذ يقول - وقد سأله أبو الدرداء قائلا: دلني على عمل يدخلني الجنة؟: "لا تغضب" . ([[250]](#footnote-251))

ب - على العمل الإسلامي :

ومن آثار الغضب على العمل الإسلامي:

1 - قلة كسب الأنصار والمؤيدين:

ذلك أن النفوس تألف العاقل المنضبط الحكيم في تصرفاته وتقبل عليه، وتلتف حوله، وتعينه وتؤازره ما استطاعت أما الطائش الأرعن في سلوكياته وتصرفاته، فإنها تعرض وتنفض عنه، وعليه فإذا كان العاملون لدين الله ممن يغضبون لأنفسهم ويطيرون لكل هيعة، ويستجيبون لكل مثير دون تقدير للنتائج أو العواقب، فان الناس لن يقبلوا على هؤلاء العاملين، ولن يؤازروهم، ويخسر العمل الإسلامي بذلك كثيرا من الأنصار والمؤيدين.

2 - الفرقة والتمزق:

وثمة أثر ثان على العمل الإسلامي من وراء الغضب، ألا وهو الفرقة والتمزق؛ ذلك أن الغضب للنفس يعني أن العمل لغير الله، وكل ما كان كذلك فلن يرجى من ورائه مودة، أو ترابط، بل على العكس تكون الفرقة والتمزق.

فقد جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: "والأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف" . ([[251]](#footnote-252))

3 - طول الطريق وكثرة التكاليف:

والأثر الأخير للغضب على العمل الإسلامي، إنما هو طول الطريق وكثرة التكاليف، وهذا أمر بدهي، إذ أن قلة كسب الأنصار، والمؤيدين، مع شيوع الفرقة والتمزق ينتهيان حتما بهذا العمل إلى طول الطريق وكثرة التكاليف.

خامسا: علاج الغضب:

وما دمنا قد وقفنا على ماهية الغضب، وحقيقة موقف الإسلام منه، والأسباب الحاملة عليه، وآثاره على العاملين، وعلى العمل الإسلامي، فقد صار سهلا وميسورا أن نرسم طريق العلاج، بل طريق الوقاية من هذا الغضب، وتتلخص هذه الطريق في:

1 - التبصير بالآثار الضارة والعواقب المهلكة المترتبة على الغضب، سواء على العاملين، أو على العمل الإسلامي، دنيوية كانت أو أخروية، فإن مثل هذا التبصير يفيد في تحريك النفس من داخلها، فإذا هي ساعية في طريق العلاج، بل الوقاية من هذا الداء.

2 - تطهير البيئة التي يعيش فيها المرء في البيت أو في المجتمع من هذا الداء ما أمكن، وإلا لزم التحول إلى بيئة أو إلى وسط آخر نظيف، يساعد في التخلص بل الوقاية من هذا الداء.

3 - التداوي من المراء أو الجدل، وكذلك من المزاح بالباطل، فإن التداوي منهما يقضي على رافدين في غاية الأهمية بالنسبة للغضب، من باب أن القضاء على الداء ينبع من القضاء على أسبابه.

4 - عدم العدوان على الآخرين ظلما وعدوانا، فإن مثل هذا العدوان يحمل على الرد مهما تكن التكاليف والتضحيات، وهناك ألف طريق وطريق لعلاج الخطأ، وآخرها العدوان من باب: أن آخر الدواء الكي.

5 - التحرر من الاستعلاء والتكبر في الأرض بغير الحق، مع التحلي بنقيضهما، وهو التواضع، فإن ذلك من شأنه أن يحمل المعروفين بالغضب عند رؤية هؤلاء، وقد تحرروا من أمراضهم أو أدوائهم، أن يتخلصوا بل أن يتوقوا هذا الغضب.

6 - قيام الأمة - حكاما ومحكومين - بواجبها نحو المعروفين بالغضب، مرة بالنصيحة، ومرة بالإنكار، ومرة بالتخويف، ومرة بالثواب ومرة بالهجر والمقاطعة، وهكذا فإن القيام بمثل هذا الواجب يفيد كثيرا في التخلص بل الوقاية من هذا الداء.

7 - إنزال الناس منازلهم، وإعطائهم حقهم من الاحترام، والتقدير، وتجنب وصفهم بما لا يليق أو بما لا ينبغي، فإن هذا من شأنه أن يحمل على التخلص بل الوقاية من هذا الداء.

8 - عدم إثارة العداوات أو الثارات القديمة، فإن ذلك من شأنه أن يقضي، بل يقي الوقوع في هذا الداء.

9 - تغيير الحال التي يكون عليها الإنسان ساعة الغضب بأن يتوضأ أو يغتسل، ويجلس إن كان قائما، ويمرغ خده ووجهه في التراب إن كان جالسا، ويكثر من ذكر الله دعاءً، وتوبة واستغفارا، وثناء على الله - تبارك وتعالى - أو يمشي إن كان واقفا، وهكذا حتى تهدأ ثائرته، ويعود إلى رشده وصوابه.

ولقد أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا الدواء، إذ يقول سليمان بن صُرَد: استبَّ رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه، مغضبا قد احمر وجهه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم". فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: إني لست بمجنون . ([[252]](#footnote-253)) ويقول صلى الله عليه وسلم في حديث طويل: ".... ألا إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه، فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض" الحديث . ([[253]](#footnote-254))

وعن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبي ذر قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا :

" إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع " . ([[254]](#footnote-255))

وعن أبي وائل القاص قال: دخلنا على عروة بن محمد السعدي، فكلمه رجل فأغضبه، فقام، فتوضأ، ثم رجع وقد توضأ، فقال : حدثني أبي، عن جدي عطية، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الغضب من الشيطان، وان الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ" . ([[255]](#footnote-256))

10 - تذكير الغضبان بحاله وقت الغضب، وأنه أشبه ما يكون بالمجانين، أو بالوحش الهائج، وأن مثل هذا ما لا يليق بإنسان خلقه ربه في أحسن تقويم، وفضله على كثير من خلقه إذ يقول : {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا} (الإسراء). {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} (التين)، فلعل مثل هذا التذكير يفيد في العلاج بل الوقاية من الغضب.

11 - لفت النظر إلى ضرورة مجاهدة النفس ضد الغضب، وأن هذه المجاهدة دليل القوة والشجاعة حقا، إذ يقول صلى الله عليه وسلم: "ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" . ([[256]](#footnote-257))

فإن مثل هذا الأسلوب كثيرا ما يفيد في العلاج بل الوقاية من الداء.

12 - بيان الأجر الذي ينتظر المسلم حين يجاهد نفسه، ويكظم غيظه، إذ يقول سبحانه:

{وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} (الشورى).

{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (آل عمران).

وإذ يقول صلى الله عليه وسلم: "ما جرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى" ، ([[257]](#footnote-258)) "من كتم غيظا، وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من الحور العين، يزوجه منها ما شاء" . ([[258]](#footnote-259))

فإن من لاح له بريق الأجر هانت عليه مشقة التكليف .

13 - دوام المعايشة لكتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنها تبصر الطريق، وتربي ملكة التقوى، وهما خير ما يعين على التخلص بل الوقاية من الغضب .

14 - النظر في تاريخ من عرف عنهم كظم الغيظ والتحلي بالحلم والعفو كالأحنف بن قيس، وعمر بن عبد العزيز، والشافعي وغيرهم، فإن هذا النظر يحمل على الاقتداء والتأسي أو على الأقل المحاكاة والتشبه.

15 - الدعاء إلى الله أن يشفي القلوب مما بها من غيظ، وأن يسكب فيها الرضا، والرحمة، والشفقة على عباد الله، فإن الدعاء سهام نافذة لا تكاد تخطئ، بل هو العبادة حقا.

الآفة السادسة والعشرون

الحقد

والآفة السادسة والعشرون التي قد ابتلي بها نفر من العاملين، بل لقد ابتلي بها كثيرون بالفعل، وكانت سببا فيما نشهده على الساحة اليوم من كيل الاتهامات للمجاهدين الصادقين إنما هي: "الحقد".

وحتى يتطهر منها من ابتلي بها، ويسلم منها من عافاه الله - عز وجل - منها، فإنه لابد من إعطاء تصور دقيق، وواضح عنها على النحو التالي:

أولا: تعريف الحقد:

لغة

الاحتباس والمنع، يقال: حقد المطر حقدا، وأحقد: احتبس ومنع.

وقال ابن الأعرابي: حقد المعدن وأحقد: إذا لم يخرج منه شيء، وذهبت منالته، ومعدن حاقد: إذا لم ينل شيئا، وأحقد القوم: إذا طلبوا من المعدن شيئا، فلم يجدوا، والحقود: كثير الحقد ، ([[259]](#footnote-260)) والأحقاد: التصيير إلى الحقد، نقول: أحقده الأمر، وأحقده غيره، صيره حاقدا.

والضغن لغة:

أ - الميل أو الجور نقول: ضغنوا عليه: مالوا عليه، واعتمدوا بالجور، وقال ابن الأعرابي: ضغنت إلى فلان: ملت إليه، كما يضعن البعير إلى وطنه، وإذا قيل في الناقة: هي ذات ضغن، فإنما يراد نزعها - أي الشوق إلى وطنها - وربما استعير ذلك في الإنسان.

ب - الانطواء على الحقد، نقول: تضاغن القوم واضطغنوا: انطووا على الأحقاد.

ج - الامتناع عن إعطاء كل ما في النفس لسبب ما، نقول: فرس ضاغن، وضغن: لا يعطي كل ما عنده من الجري حتى يضرب، وقال أبو عبيدة: فرس ضغون - الذكر والأنثى فيه سواء - وهو الذي يجري كأنما يرجع القهقرى، وفي حديث عمر: "والرجل يكون في دابته الضغن فيقومها جهده، ويكون في نفسه الضغن فلا يقومها"، والضغن في الدابة أن تكون عسرة الانقياد. ولا تعارض بين هذه المعاني الثلاثة؛ إذ هو الانطواء على الحقد ، ([[260]](#footnote-261)) المعبر عنه أحيانا بالميل أو الجور بصورة تمنع من إعطاء كل ما في النفس.

والوغر لغة:

أ - شدة توقد الحر أو الاحتراق من الغيظ، نقول: في صدره علي وغر - بالتسكين: ضغن، وعداوة، وتوقد من الغيظ، والمصدر الوغر بالتحريك.

ب - الامتلاء غيظا، نقول: وغر صدره عليه، يوغر وغرا، ووغر يغر: إذا تجرع أو امتلأ غيظا وحقدا، والتوغير: الإغراء بالحقد، وأوغرت صدره على فلان: أوقدته، وأحميته من الغيظ.

ج - الصوت، وهو مشتق من إيغار الخراج، وهو أن يؤدي الرجل خراجه إلى السلطان الأكبر فرارا من العمال.

ولا تعارض؛ إذ هو امتلاء القلب غيظا وحقدا، بصورة توقده وتحرقه . ([[261]](#footnote-262))

والدّوى لغة:

الضغن أو المرض والسل، أو هو داء باطن في الصدر يقال: تركت فلانا دوى، ما أرى به حياة، وفي حديث أم زرع: كل داء له داء، أي كل عيب يكون في الرجال فهو فيه، فجعلت العيب داء، وقولها: له داء: خبر لكل، ويحتمل أن يكون صفة لداء، وداء الثانية خبر لكل، أي كل داء فيه بليغ متناه، كما يقال: إن هذا الفرس فرس . ([[262]](#footnote-263))

والغل لغة:

الغش أو الضغن والحقد، نقول: غل صدره غلا وغليلا: كان ذا غش، أو ضغن، وحقد ، ([[263]](#footnote-264)) ومنه قوله سبحانه في التنزيل: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ} (الأعراف: 43، الحجر: 47).

اصطلاحا:

أما في الاصطلاح فإن الحقد وما في معناه من: الضغن، والوغر، والدوي والغل يعني: حبس أو إمساك العداوة والبغضاء في الصدر للعجز عن التشفي حالا مع التربص أو التحين للتعبير عنها بصورة من الصور، أو شكل من الأشكال مآلا، وعرفه الشريف الجرجاني بقوله: "الحقد: هو طلب الانتقام، وتحقيقه أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه، فصار حقدا " ، ([[264]](#footnote-265)) أو هو: "سوء الظن في القلب على الخلائق لأجل العداوة" ، ([[265]](#footnote-266)) والتعريف الأول الذي نقلناه عن الجرجاني لا يختلف كثيرا عن التعريف الذي ذكرناه، أما التعريف الثاني فإنه تعريف للحقد ببيان آثاره.

وقال الغزالي: "ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله، والبغضة له، وأن يدوم ذلك ويبقى" . ([[266]](#footnote-267))

ويعرفه الشيخ عبد الرحمن الميداني بقوله: "والحقد هو العداوة الدفينة في القلب، والعداوة هي كراهية يصاحبها رغبة بالانتقام من الشخص المكروه إلى حدِّ إفنائه وإلغائه من الوجود، ومن مرادفات الحقد تقريبا: كلمة الغل، فالغل هو العداوة المتغلغلة في القلب، ومن مرادفاته أيضا: الضغن، والشحناء، فهي جميعا كلمات تدور حول معنى واحد أو معان متقاربة، ترجع بوجه عام إلى معنى العداوة، مع بعض فروق في الدلالات" . ([[267]](#footnote-268))

ثانيا: صور الحقد وحقيقته في الإسلام:

وللحقد صور تدل عليه، وأمارات يعرف بها، منها:

1 - تشويه صورة وسمعة البررة المجاهدين الذين وقفوا حياتهم على دين الله فعاشوا وماتوا لهذا الدين، وعلى هذا الدين، وما كان لهم من جريرة أو ذنب إلا أنهم يقولون: ربنا الله، وأن سمعتهم، ودعوتهم طارت في الخافقين.

2 - الوقوف عند بعض الأخطاء التي تاب منها أصحابها، وانتشرت هذه التوبة في كل الأوساط حتى عرفها العام والخاص، والقاصي والداني، ثم إشاعة هذه الأخطاء بين الناس في كتب ومؤلفات أو أشرطة كاسيت، لتشويه صورة أصحابها، والتشويش على المنهج الذي يعتنقون، والدعوة التي لها يعملون، مثل التعليق المستمر على موقف الأستاذ سيد قطب من بعض الصحابة مع أنه تاب ورجع عن ذلك.

3 - تفسير بعض المواقف التي أملتها وتمليها حكمة الدعوة إلى الله من بعض الدعاة على أنها عمالة، وجاسوسية، وعلى أن أهلها ماسونيون أو رافضة، أو كفار مبتدعون.

4 - الحط على كل من لا يذعن لهم بالولاء، أو يخالفهم المذهب والمشرب، أو كان سببا في تعريتهم، وكشف سوءاتهم على الملأ من الناس .

5 - الامتناع عن الجهاد بالنفس أو المال، أو بهما معا.

قال تعالى: {إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ} (محمد).

يقول الماوردي:

"قوله تعالى: {إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا} فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الإحفاء أخذ الجميع، قاله ابن زيد، وقطرب.

والثاني: أنه الإلحاح وإكثار السؤال، مأخوذ من الحفاء، وهو المشي بغير حذاء، قاله ابن عيسى،

الثالث: أن معنى معه {فَيُحْفِكُم}، أي فيجدكم تبخلوا، قاله ابن عيينة.

وقوله تعال: {يُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ} يحتمل وجهين: أحدهما: يظهر بامتناعكم ما أضمرتموه من عدوانكم، والثاني: يظهرون عند مسألتكم ما أضمرتموه من عداوتكم" . ([[268]](#footnote-269))

والحقد وما في معناه من الضغن، أو الوغر أو الدوي أو الغل، إن كان مصوبا نحو أهل الصلاح والتقوى فهو قبيح مذموم. دلنا على قبحه وذمه: أن الله مدح صنفا من الناس أنه كان إذا دعا ضمن دعاءه سؤال ربه أن يطهر قلبه من هذا المرض فقال:

{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} (الحشر).

يقول ابن كثير-رحمه الله:

"وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}: هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء، وهم المهاجرون ثم الأنصار، ثم التابعون لهم بإحسان، كما قال في آية براءة : {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} (التوبة: 100) فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة، وأوصافهم الجميلة، الداعون لهم في السر والعلانية، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ} أي قائلين: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا} أي بغضا وحسدا {لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}. وما أحسن ما استنبط الإمام مالك - رحمه الله - من هذه الآية الكريمة: أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء" . ([[269]](#footnote-270))

وبين الله أن من تمام منته، وفضله على أهل الجنة أنه طهر قلوبهم من الغل، فلا يبغض بعضكم بعضا، ولا يكره بعضهم بعضا، قال تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} (الأعراف: 43).

يقول الماوردي: "قوله عز وجل: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ} فيه أربعة أوجه: أحدها: الأهواء والبدع، قاله سهل بن عبد الله، والثاني: التباغض والتحاسد، والثالث: الحقد، والرابع: نزع من نفوسهم أن يتمنوا ما لغيرهم.

وفي نزعه وجهان: أحدهما: أن الله نزع ذلك من صدورهم بلطفه، والثاني: أن ما هداهم إليه من الإيمان هو الذي نزعه من صدورهم، وفي هذا الغل قولان: أحدهما: أنه غل الجاهلية، قاله الحسن، والثاني: أنهم لا يتعادون ولا يتحاقدون بعد الإيمان، وقد روي عن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله فيهم: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ} وقيل: إنها نزلت في أهل بدر، ويحتمل قوله: {وَقَالُوا الْحَمْـدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} وجهين: أحدهما: هدانا لنزع الغل من صدورنا، والثاني: هدانا بثبوت الإيمان في قلوبنا حتى نزع الغل من صدورنا، وفيه وجه ثالث قال جويبر: هدانا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة" . ([[270]](#footnote-271))

وقـال تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} (الحجر). يقول المـاوردي: "قوله عز وجل: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ} فيه وجهـان: أحدهما: نزعنا بالإسلام ما في صدورهم من غل الجاهلية، قـاله علي بن الحسين، الثـاني: نزعنا في الآخرة ما في صدورهم من غل الدنيا قاله الحسن، وقـد رواه أبـو سعيد الـخدري مرفوعـا" . ([[271]](#footnote-272))

وبين سبحانه أنه قادر على فضح المنافقين بإبراز ما في قلوبهم من ضغن وحقد فقال:

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ} (محمد).

قوله عز وجل: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَض} فيه وجهان: أحدهما: شك، قاله مقاتل، الثاني: نفاق، قاله الكلبي. وقوله تعالى: {لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ} فيه أربعة أوجه: أحدها: غشهم، قاله السدي، الثاني: حصدهم، قاله ابن عباس، الثالث: حقدهم، قاله ابن عيسى، الرابع: عدوانهم، قاله قطرب، وأنشد:

قل لابن هند ما أردت بمنطق ساء الصديق، وسرَّ ذا الأضغان ([[272]](#footnote-273))

وعن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاث من لم يكن فيه غفر له ما سواه لمن شاء: من مات لا يشرك بالله شيئا، ولم يكن ساحرا يتبع السحرة، ولم يحقد على أخيه" . ([[273]](#footnote-274))

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة"، فطلع رجل من الأنصار تنطف ([[274]](#footnote-275)) لحيته من وضوئه، وقد تعلق بعلقة بيده الشمال، فلما كان الغد، قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو، فقال: إني لاحيت أبي، فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي، فعلت، قال: نعم، قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئا، غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله - عز وجل - وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر.

قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا، فلما مضت الثلاث الليالي، وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله، لم يكن بيني وبين أبي غضب، ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنا ثلاث مرات: "يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة "، فطلعت أنت الثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك فأنظر: ما عملك، فأقتدي بك، فلم أرك عملت كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، قال: فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسه لأحد من المسلمين غشا، ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق" . ([[275]](#footnote-276))

وهكذا تكشف لنا هذه النصوص عن قبح وذم الحقد، وما في معناه، لا سيما إذا كان منصبا على واحد من المسلمين أهل التقوى والصلاح.

ثالثا: أسباب الحقد:

وللحقد أسباب توقع فيه، وبواعث تؤدي إليه، وأهم هذه الأسباب وتلك البواعث:

1 - الحرمان:

وذلك أن الحق تبارك وتعالى قد يحرم المرء نعمة من النعم من مال، أو حرفة، أو سلطان، أو وجاهة، أو لسان، أو صحة، أو عقل وذكاء، أو زوجة وضيئة، أو ولد، أو عشيرة، أو هيبة ووقار، أو قبول ونحو ذلك، ويعطيها غيره، ويقف المرء عند هذا الحرمان ناسيا أو متناسيا أن الله عز وجل يقسم النعم على عباده تبعا لما سبق في علمه، وفي كتابه، وحسب عمل كل منهم ونواياه، حيث يقول سبحانه في نعمة كالمال مثلا: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ} (الشورى).

وحيث يقول في الحديث القدسي: "إن من عبادي من لا يصلحه إلا الغني، ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه" . ([[276]](#footnote-277))

وحين يقف المرء عند حدّ هذا الحرمان ناسيا حكم الله في خلقه، يمتلئ حقدا وغلا من داخله، ويظل ينتهز الفرصة للتعبير عن هذا الحقد، وذلك الغل في صورة من الصور، أو شكل من الأشكال.

2 - سوء التوزيع والتفريق في المعاملة:

وقد يكون سوء التوزيع للثروة وكذلك التفريق في المعاملة بين أفراد البيت الواحد، والعشيرة الواحدة، وبين أبناء الوطن، أو المجتمع الواحد، وكذلك الأمة الواحدة، من الأسباب التي توقع في الحقد لا سيما والتوزيع والمعاملة ما باتا يقومان الآن على أساس المواهب والطاقات والإمكانات كما كان في العصور الإسلامية الزاهرة، وإنما أصبحا يقومان على اتباع الهوى والمحاباة والمجاملة.

ولعل هذا هو السر في تأكيد الإسلام على العدالة في التوزيع، والتسوية في المعاملة من مستوى الأسرة البسيطة إلى مستوى الإمارة والدولة، إذ يقول سبحانه:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} (النساء).

{وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} (الأنعام: 152).

{وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (المائدة).

وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم لبشير، وقد أراد تفضيل ولده من عمرة بنت رواحة بطلب منها، على إخوانه من غيرها:

"اتقوا الله واعدلوا في أولادكم" ، ([[277]](#footnote-278)) وفي رواية: "قاربوا بين أولادكم" . ([[278]](#footnote-279))

3 - الكبت والقهر:

وقد يكون الكبت والقهر وراء الوقوع في آفة الحقد؛ ذلك أن المرء إذا حيل بينه وبين التعبير عما يجيش بصدره، وما يجول بخاطره وأضيف إلى ذلك القهر على أي صورة كان: من سب، وتجريح، إلى سخرية واستهزاء، إلى اعتقال أو تحديد للإقامة، إلى سجن وتجويع، وضرب وتخويف، ودا م هذا الكبت وذلك القهر زمانا طويلا، فإن المرء يظل يختزن كل ذلك، في صورة عداوة تملأ الصدر، ويتحين الفرص والمناسبات ليعلن عما بداخله وهذا هو الحقد.

ولعل هذا هو السر في دعوة الإسلام، وأمره بالشورى، وتحريم جلد الظهور، وسلب الناس أموالهم، والسخرية أو الاستهزاء بهم، إذ يتول الحق تبارك وتعالى:

{وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ} (آل عمران: 159).

{وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} (الشورى: 38).

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ} (الحجرات: 11).

وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "رجلان من أمتي لا تنالهما شفاعتي: سلطان ظلوم غشوم، وآخر غال في الدين، مارق،منه" ، ([[279]](#footnote-280)) وفي رواية. "صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي: سلطان ظلوم غشوم، وغال في الدين يشهد عليهم ويتبوأ منهم" ، ([[280]](#footnote-281)) "إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قلتم فأحسنوا، فإن الله - عز وجل - محسن يحب المحسنين" ، ([[281]](#footnote-282)) "كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله، وعرضه" . ([[282]](#footnote-283))

ولعل ما نشهده على الساحة الإسلامية اليوم من القيام في وجه أصحاب السلطان في كثير من أنحاء العالم الإسلامي بل العربي: مرده إلى حالات الكبت والقهر المفروض على الناس، والتي لا أمل في زوالها، أو على الأقل التخفيف من حدتها ولو على المدى البعيد .

4 - عدم رعاية حقوق الأخوة الإسلامية:

وقد يكون عدم رعاية حقوق الأخوة الإسلامية من: المواساة بالنفس وبالمال، ومن إظهار الفضائل والمحاسن، وإخناء المعايب والرذائل، ومن الوفاء بحق الصحبة، ومن الدعاء بظهر الغيب، ومن ترك التكلف، ونحوها، من وراء الوقوع في آفة الحقد؛ ذلك أن المسلم إذا رأى أخاه في النعمة، ولا يواسيه بنفس، أو مال، ولا يبرز فضائله ومحاسنه حين تقتضي الظروف ذلك، ولا يخفي عيبه ورذيلته، ويحاول التشهير به، ولا يفي له بحق الصحبة ويعرض عنه، ويتكلف له في اللقاء، والتوديع، والضيافة ونحوها، يتغير من داخله عليه، وبمرور الزمن يتولد لديه الكراهية والبغضاء والعداوة، ويكون الحقد.

ولعل هذا هو السر في تأكيد المنهج الإلهي على رعاية حقوق الأخوة الإسلامية، إذ يقول الحق تبارك وتعالى:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} (المائدة: 54).

ويقول في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرين وأنصار: {رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} (الفتح: 29). ويقول: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الحجرات).

وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

"إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا" ، ([[283]](#footnote-284)) وفي رواية: "لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه" . ([[284]](#footnote-285))

"مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" . ([[285]](#footnote-286))

5 - غرور بل تكبر الآخرين:

وقد يكون غرور بل تكبر الآخرين مما يوقع في آفة الحقد؛ ذلك أن المغرور هو المعجب بنفسه إلى حد احتقار واستصغار كل ما يصدر عن الآخرين في جنب ما يصدر عنه، والمتكبر هو ما يصنع ذلك من النيل من ذوات الآخرين، والترفع على أشخاصهم، ولا شك أن هذا مما يترك آثاره في النفوس، فإذا هي مليئة من داخلها بالعداوة والبغضاء، وما هذه العداوة، وتلك البغضاء إلا الحقد، ولعل من حرص الإسلام وتأكيده على طهارة النفوس من الغرور والتكبر إنما هو العمل على حماية الآخرين من الوقوع في هذه الآفة بذمها و التحذير منها على النحو الذي ذكرنا في علاج كل من الغرور والتكبر . ([[286]](#footnote-287))

6 - استغلال الآخرين:

وقد يكون استغلال الآخرين للمرء، ولا سيما في أوقات الشدائد والمحن، من الأسباب الحاملة على الحقد، فقد تنزل بالمرء شدة أو ضائقة، ويتلفت فلا يجد عونا من الآخرين إلا إذا كانت هناك منفعة مادية بحتة، وتحت وطأة الحاجة يقبل، ولكنه والحالة هذه لا يسلم صدره من العداوة والبغضاء بل يتحين الفرصة للانتقام، وهذا هو الحقد.

ولعل هذا هو السر في مجيء النصوص الكثيرة التي تحظر على المسلم استغلال الآخرين في أي صورة من صور الاستغلال كالربا، والاحتكار، والغبن، وأكل أموا ل اليتامى ظلما ونحوها، إذ يقول سبحانه:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة).

{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} (النساء).

وإذ يقول صلى الله عليه وسلم: "درهم ربا يأكله الرجل - وهو يعلم - أشد عند الله من ست وثلاثين زنية" ، ([[287]](#footnote-288)) (لا تلقوا البيوع، ولا يبع بعض على بعض، ولا يخطب أحدكم - أو أحد - على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب الأول أو يأذنه فيخطب" . ([[288]](#footnote-289))

7 - التفريط في حق الجار:

وقد يكون التفريط في حق الجار مسلما أو غير مسلم، قريبا أو غير قريب، من الأسباب المؤدية إلى الحقد؛ ذلك أن المرء إذا رأى جاره لا يرعى حقوق الجار، وأبسط شيء في ذلك المواساة بالنفس والمال، فإنه يبغضه، ويظل هذا البغض ينمو حتى يصل إلى أن يصير حقدا.

ولعل هذا من بين الأسرار التي من أجلها دعا الإسلام إلى رعاية حق الجوار، إذ يقول الحق - تبارك وتعالى:

{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالا فَخُورًا} (النساء).

وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" ، ([[289]](#footnote-290)) "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره..." الحديث . ([[290]](#footnote-291)) إلى غير ذلك من النصوص .

8 - تفكك الأسرة مع عدم سعي الأمة في علاج هذا التفكك:

وقد يكون تفكك الأسرة بسبب موت العائل أو الطلاق، والزواج بأخرى في ضوء غياب القيم، والضوابط الشرعية ومع عدم سعي الأمة، حكاما، ومحكومين في القيام بواجبها نحو علاج هذا التفكك، من بين الأسباب المؤدية إلى الحقد ؛ ذلك أن الأسرة هي المحضن الأساسي في تخريج وحماية الأجيال. ويوم يطرأ على الأسرة ما يؤدي إلى تفككها على النحو الذي ذكرنا، وينساها المجتمع، فإن الأولاد يتعرضون لحرمان وتشريد ينتهي بهم إلى الحقد على كل أجناس وطبقات المجتمع.

ولعل هذا من بين الأسرار التي من أجلها أوجب الإسلام الولاية بين المؤمنين بعضهم بعضا، إذ يقول سبحانه:

{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} (التوبة: 71).

كما أوجب العدل عند تعدد الزوجات، وكذلك كفالة اليتامى وحذر من إهمالهم، إذ يقول سبحانه:

{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم} (النساء: 3).

{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} (البقرة).

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنْ الْمُصْلِحِ} (البقرة: 220).

9 - السماع للوشاة من غير تثبيت:

وقد يكون السماع للوشاة من غير تثبيت هو المسبب في الحقد ذلك أن المرء كثيرا ما يتأثر بما يسمع، وإذا لم يكن عاقلا، وتبين أو تثبت من كل ما يسمع، فإنه يبني على ذلك أحكاما قد يكون من بينها العداوة والبغضاء والحقد.

وخير ما نستدل به على ذلك: ما يلقيه أعداء الله على حكام المسلمين من أن الإسلاميين يريدون أخذ الكرسي والسلطة منهم ويصدقهم الحكام من غير تبين أو تثبت، وتكون العاقبة الحقد والسعي للانتقام، والتنكيل بهؤلاء.

ومن هذا الباب أيضا: ما يصنعه نفر من الجماعات الإسلامية تجاه جماعة أخرى أكثر ظهورا وانتشارا وقبولا في الناس، واستقامة على منهج الحق، إذ يلقون في روع خالي الذهن من أي تصور عن هذه الجماعات أن الجماعة ذا السمت الفلاني جماعة مبتدعة بل كافرة، ذات صلة بالاستعمار والصهيونية، والرافضة، ويظلون يكيلون مثل هذه التهم، ولا يطالبهم المخاطب بالدلائل الواضحات القطعيات البينات، بل ربما يأخذون عليهم العهد والميثاق ألا يتصلوا بأي واحد له انتماء لهذه الجماعة، وألا ينظروا في فكرهم، وألا يشهدوا أي تجمع لهم، وألا يسمعوا لأي متحدث فيهم، وتكون النتيجة العداوة والبغضاء أو الحقد. ومن أجل هذا وغيره دعانا الله - عز وجل - إلى التثبيت أو التبين فقال سبحانه:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} ( الحجرات).

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمْ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} (النساء).

10 - القطيعة أو الهجر الطويل:

وقد تكون القطيعة أو الهجر الطويل من بين الأسباب التي تؤدي إلى الحقد؛ ذلك أنه قد يختلف المرء مع غيره لسبب أو لآخر، وربما تكون النتيجة القطيعة أو الهجر، ولا ضير في قطيعة خفيفة، أو هجر يسير ريثما تهدأ النفوس، وتكون المراجعة، وعودة المياه إلى مجاريها، لكن أن تدوم القطيعة، وأن يطول الهجران، فذلك هو الخطر بعينه؛ لأنه مع كل يوم يتعمق البغض، وترسخ البغضاء، وتكون العاقبة الوقوع في الحقد، والعياذ بالله.

ولعل هذا هو سر تحريم طول القطيعة أو الهجران بين المتخاصمين، إذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام" . ([[291]](#footnote-292))

"لا هجر بعد ثلاث" . ([[292]](#footnote-293))

11 - المراء أو الجدل:

وقد يؤدي المراء أو الجدل إلى الوقوع في الحقد؛ ذلك أن كلا من المتجادلين أو المتمارين يكون حريصا على إفحام الآخر وغلبته، وحين ينهزم أحدهما أمام الآخر، ويكون غير قادر على الانتقام، يضمر في نفسه الحقد، والعداوة، والبغضاء.

وفي هذا يقول المناوي: الحقد من البلايا التي ابتلى بها المناظرون، قال الغزالي: لا يكاد المناظر ينفك عنه، إذ لا تكاد ترى مناظرا يقدر على ألا يضمر حقدا على من يحرك رأسه عند كلام خصمه، ويتوقف في كلامه، فلا يقابله بحسن الإصغاء، بل يضمر الحقد، ويرتبه في النفس.

12 - البيئة المحيطة بالمرء:

وقد تكون البيئة التي يوجد فيها المرء قريبة كانت كالبيت، أو بعيدة كالمجتمع هي السبب في الوقوع في الحقد؛ ذلك أن المرء كثيرا ما يتأثر بالوسط الذي يعيش فيه، وإذا كان هذا الوسط مبتلى بالحقد، فإنه يعمل على توريثه للمستعدين لذلك ممن يعيشون معه، وقد رأينا كثيرين ورثوا الحقد من آبائهم أو من مجتمعهم قيادة، وجندية، كما نبهنا على ذلك غير مرة فيما سبق من آفات.

13 - الجهل بالعواقب المترتبة على الحقد:

وأخيرا قد يكون الجهل بالعواقب المترتبة على الحقد، سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي - كما سنذكر هذه العواقب بعد قليل - هو السبب في الوقوع في الحقد، فإن المرء إذا جهل العواقب الضارة، والآثار المهلكة المترتبة على أمر ما، فإنه يقع في هذا الأمر، بل ربما كان نصيرا له مدافعا عنه، وهذا شأن كثير من الناس؛ ولهذا دعا الله إلى الفقه في الدين، وجعله من الجهاد فقال:

{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} (التوبة).

وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: "وقل ربي زدني علما" (طه : 114).

رابعا: آثار الحقد:

وللحقد آثار ضارة، وعواقب مهلكة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي، ودونك طرفا من هذه الآثار، وتلك العواقب :

أ - على العاملين:

فمن آثار الحقد على العاملين:

1 - القلق والاضطراب النفسي:

وذلك أن كراهية الناس إلى حد الحقد عليهم بغير موجب ولا مبرر مع عدم السعي في التطهر منها، تكون عاقبتها القلق والاضطراب النفسي، وكفى بذلك عقابا؛ إذ قد ينتهي بصاحبه إلى الموت كما حكى سبحانه عن صنف من المنافقين لم يكن لهم من عمل إلا الحقد على المؤمنين: ملأ

{إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ} (آل عمران: 120).

{قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (آل عمران).

2 - الحسد:

وذلك أن الحاقد ممتلئ عداوة وبغضا من داخله، ويحاول التنفيس عن هذا الذي بداخله، ويرى الحسد - وهو تمني زوال نعمة من يحقد عليه - ميدانا واسعا من ميادين هذا التنفيس، فيأخذ به، والحسد مما يحبط العمل، ويبطله كما سيظهر من خلال الحديث عن هذه الآفة مستقبلا إن شاء الله تعالى.

3 - الشماتة بالغير:

وذلك بالسرور والفرح حين تلم بالمحقود عليه مصيبة أو تنزل به كارثة، كما قال سبحانه عن المنافقين: {وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا} (آل عمران: 125) والمسلم منهي عن الشماتة بالمسلمين، إذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تظهر الشماتة لأخيك، فيرحمه الله ويبتليك" . ([[293]](#footnote-294))

4 - تضييع ما تبقى من حقوق الأخوة الإسلامية:

وذلك أنه قد مضى معنا أن من أسباب الوقوع في الحقد: عدم رعاية الأخوة الإسلامية، ويحاول الحاقد الرد على ذلك بأن يضيع هو الآخر ما تبقى من حقوق الأخوة الإسلامية، فيكون منه الهجران والقطيعة، والاحتقار والاستهزاء والسخرية، والنيل منه بما لا يحل من سوء الظن، وتتبع العورات، والغيبة والنميمة، وقد يتفاقم هذا الحقد، فيصل إلى حد الإيذاء البدني بالضرب ونحوه، ومنعه حقه من قضاء دين، أو صلة رحم، أو رد مظلمة، أو نصرته في وقت يوجب النصرة، وذلك كله حرام يأكل الحسنات ويؤدي إلى عذاب جهنم والعياذ بالله.

5 - الحرمان من الأجر والثواب:

وذلك أن الحاقد يخاف الوقوع في العواقب المذكورة آنفا نظرا لما يترتب عليها من الإثم والعذاب، فيجاهد نفسه ويبتعد عنها غير أنه لا يتجاوز ذلك إلى ما يوجب الفضل العظيم والثواب الجزيل من البشاشة، والرفق، والإفساح في المجلس، وإظهار المحاسن والفضائل والتحريض على البر والمواساة بل والإيغار.

يقول أبو حامد الغزالي عن آثار الحقد التي ذكرنا في إجمال: "والحقد يثمر ثمانية أمور:

الأول: الحسد، وهو أن يحملك على أن تتمنى زوال النعمة عنه، فتغتم بنعمة إن أصابها، وتسر بمصيبة إن نزلت به، وهذا من فعل المنافقين، وسيأتي ذمه إن شاء الله تعالى.

الثاني: أن تزيد على إضمار الحسد في الباطن، فتشمت بما أصابه من البلاء.

الثالث: أن تجهره، وتصارمه، وتنقطع عنه، وإن طلبك، وأقبل عليك.

الرابع: وهو دونه، أن تعرض عنه استصغارا له.

الخامس: أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب، وغيبة، وإفشاء سر، وهتك ستر، وغيره.

السادس: أن تحاكيه استهزاء به، وسخرية منه.

السابع: إيذاؤه بالضرب، وما يؤلم بدنه.

الثامن: أن تمنعه حقه من قضاء دين، أو صلة رحم، أو رد مظلمة، وكل ذلك حرام.

وأقل درجات الحقد : أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تعصي الله به، ولكن تستثقله في الباطن ولا تنهي قلبك عن بغضه، حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة، والرفق، والعناية، والقيام بحاجاته، والمجالسة معه على ذكر الله تعالى، والمعاونة على المنفعة له، أو بترك الدعاء له، والثناء عليه، والتحريض على بره ومواساته، فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين، ويحول بينك وبين فضل عظيم، وثواب جزيل، وإن كان لا يعرضك لعقاب الله" . ([[294]](#footnote-295))

ب - على العمل الإسلامي:

وأما آثار الحقد على العمل الإسلامي فتتلخص في:

1 - قلة كسب الأنصار:

وذلك أن الحاقد قد أتى من المعاصي والآثام ما يوجب نفرة الآخرين منه، بل عدم تأثرهم بما يصدر عنه، إذا لم يجدوا فيه النموذج الذي ينبني الاقتداء أو التأسي به، فيتولون عنه ويخسر العمل الإسلامي سواعد تشارك في حمل الأمانة وإبلاغها للناس، وحمايتها من كيد الكائدين، وعبث العابثين أو على الأقل تؤيد ولو بالدعاء من يحملون هذه الأمانة ويحاولوا الخروج من هذه التبعة وتلك المسؤولية.

وقد جاء في الحديث: (... والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف" . ([[295]](#footnote-296))

2 - الفرقة والتمزق:

وكذلك تكون عاقبة الحقد على العمل الإسلامي الفرقة والتمزق ذلك إذا شاع الحقد في هذا الوسط، فإنه يثمر عدم رعاية حقوق الأخوة الإسلامية، وتكون العاقبة الفرقة والتمزق الأمر الذي يفتح الطريق على أعداء الله فيمسكون بخناقنا، ويضيقون هذا الخناق حول أعناقنا يوما بعد يوم ويحرمنا الله عز وجل تأييده ونصره، فتطول الطريق وتعظم التكاليف.

خامسا: علاج الحقد:

وما دمنا قد عرفنا حقيقة الحقد، ومظاهره، وموقف الإسلام منه وأسبابه، وآثاره، فقد سهل علينا تحديد سبيل العلاج بل الوقاية، وتتلخص هذه السبيل في هذه الخطوات:

1 - اليقين التام بأن الله عز وجل عليم حكيم، يعطي العباد من النعم تبعا لما سبق في علمه، وما اقتضته حكمته، وما فيه مصلحة للعبد، فإن هذا اليقين يحمل صاحبه على الرضا بما قسم الله وأعطى من النعمة، أعم من أن تكون هذه النعمة له، أو للآخرين.

2 - الحرص على العدالة في التوزيع، والتسوية في المعاملة من الأب لأولاده، ومن الأخ لإخوانه، ومن الحاكم للرعية، فإن ذلك له دور كبير في اقتلاع جذور الحقد من النفس، وأن يحل محله العفو، والصفح، والإحسان.

3 - إعطاء الغير الحق في التعبير عما يدور بداخله، ومنع جلد الظهور، والاعتداء على الدماء، والأموال والأعراض، فإن هذا مما يساعد كذلك في تطهير النفس من الحقد، وصبغها بصبغة العفو والتسامح.

4 - رعاية حقوق الحقوق الإسلامية - على النحو الذي شرحنا - فإن هذا له دور كبير في القضاء على هذا الحقد، وآثاره، وأن يعيش المسلمون أعزة كرماء، وفي رفاهية ورخاء.

5 - التخلص من أمراض الإعجاب بالنفس، والغرور، والتكبر على النحو الذي تقدم في الجزء الأول من هذه الآفات، فإنه بالتخلص من هذه الأمراض تكون طهارة النفس من الحقد.

6 - التحذير بعدم استغلال الآخرين في أي صورة من الصور ببيان أن هذا الاستغلال تكون له عواقب وخيمة، ومنها الحقد، فلعل هذا التحذير يؤدي إلى تلاشي الاستغلال، وأن يحل محله الرحمة، والمواساة بل والإيثار .

7 - التأكيد على رعاية حقوق الجار بغض النظر عن عقيدة وجنسية هذا الجار، فإنه إذا روعيت هذه الحقوق وكانت صادقة أثمرت اقتلاع جذور العداوة والبغضاء والحقد.

8 - السعي لحل المشكلات الأسرية، ورعاية العدالة عند تعدد الزوجات، وكفالة اليتامى حين يموت عائلهم كفالة تحميهم من سائر العلل والأمراض الظاهرة والباطنة، فلعل هذا يسهم في اقتلاع جذور الحقد من النفس.

9 - التثبت من كل ما نرى، وما نسمع، فإن هذا له دور كبير في عدم الوقوع في الحقد أصلا، ومن باب أولى التخلص منه، إن كان قد ألقي بجرانه في الصدر.

10 - السعي لقطع الهجران بطريق أو بأخرى، فإن هذا له دور كبير في اقتلاع بذور الحقد من النفس، قبل أن تنبت وتثمر، والقصة التالية تشرح ذلك:

"جاء عن عوف بن مالك بن الطفيل - هو ابن الحارث - وهو ابن أخي عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لأمها: أن عائشة حدثت أن عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها، فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم، قالت: هو لله علي نذر، ألا أكلم ابن الزبير أبدا، فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة، فقالت: والله لا أشفع فيه أبدا ولا أتحنث إلى نذري، فلما طال ذلك على ابن الزبير، كلم المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث - وهما من بني زهرة - وقال لهما: أنشدكما بالله لما أدخلتماني على عائشة، فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي، فأقبل به المسور، وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما، حتى استأذنا على عائشة، فقالا : السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا: قالوا: كلنا؟ قالت: نعم ادخلوا كلكم، ولا تعلم أن معهما ابن الزبير، فلما دخلوا: دخل ابن الزبير الحجاب، فاعتنق عائشة، وطفق يناشدها، ويبكي، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته، وقبلت منه ويقولان : إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عما قد علمت من الهجرة، فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فلما أكثروا على عائشة من التذكرة، والتحريج طفقت تذكرهما، وهي تبكي، وتقول: إلي نذرت، والنذر شديد، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك، فتبكي حتى تبل دموعها خمارها" . ([[296]](#footnote-297))

11 - تنقية المحيط الذي يعيش فيه المرء، قريبا كالبيت أو بعيدا كالمجتمع، من الحقد، بل تهيئة الأجواء الطاهرة النظيفة القائمة على سلامة الصدر من الأحقاد، بل المواساة والإيثار فإن ذلك له دور كبير في العلاج من الحقد، بل والتحصن ضده.

12 - دوام العيش مع كتاب الله وسنة وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وكيف جاء الذم للغل، والبغضاء، والدغل، والضغن، ونحوها مما يصب في النهاية في إناء الحقد فإن ذلك يساعد أولا على مجاهدة النفس والتطهر أو التخلص من الحقد، وثانيا يقوي الإيمان في النفس، بحيث تسد الطريق في وجه الحقد، فلا يدخل إلى هذه النفس مرة أخرى.

13 - محاسبة النفس أولا بأول، وإفهامها أن الحقد على الآخرين ؛ لأنهم أوتوا من النعمة ما حرمت منه يعني الاعتراض على الله وعدم الرضا بقضائه وقدره، وهذا خدش في أصل الإيمان يوجب أن يحبط العمل، وأن يحل غضب الله في الدنيا والآخرة.

14 - دوام المطالعة في التاريخ الإسلامي، والسماع والنظر فيما جاء عن السلف في علاج الحقد عند الآخرين، حيث كانوا يقابلون السيئة بالحسنة، فيقدمون لهؤلاء النفقة، والهدية، ويحسنون جوارهم، وضيافتهم، وتفقدونهم، ويشاركونهم أفراحهم ولا يؤذونهم في غياب أو حضور، ويدعون لهم بظهر الغيب وهكذا، وحسبنا هنا موقف الصديق من مسطح بن أثاثة، وكان قريبا له، وكان الصديق يتعهده بالنفقة، وحين تورط في حادثة الإفك حلف الصديق أن يمنع عنه رفده وعطاءه، فنزل القرآن يقول:

{وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (النور).

وحين سمع الصديق ذلك قال: بلى يا رب أحب أن تغفر لي، وعاد إلى النفقة عليه وكفر عن يمينه . ([[297]](#footnote-298))

وهذا الفاروق عمر كان يرى عدم قسمة أراضي سواد العراق والشام ومصر ونحوها محتجا بأن مثل هذا الفتح لا يكون كل يوم، وأنه إذا قسمت هذه الأراضي بين المقاتلين لم يبق شيء لمن بعدهم، ولم يبق لبيت المال مورد ثابت، كما استند إلى آيات سورة الحشر:

{مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحيمٌ} (الحشر).

قائلا: "قد أشرك الله الذين يأتون من بعدكم في هذا الفيء، فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شيء، ولئن بقيت ليبلغن الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفيء، ودمه في وجهه - يعني كرامته مصونة، إذ يقال لمن يسأل الناس: أراق ماء وجهه" . ([[298]](#footnote-299))

يقول الدكتور يوسف القرضاوي معقبا على هذه الآيات، وفقه عمر هذا:

"وقررت الآيات توزيع عائد الفيء توزيعا عادلا، لا زال غرة في جبين الإنسانية، فجعلت نصيبا فيه للجيل الحاضر من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، وصودرت ملكياتهم بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله، ومن الأنصار الذين فتحوا صدورهم، ودورهم لإخوانهم المهاجرين، فآووا ونصروا، وآثروا على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة، وأشركت مع هذا الجيل الذي بذل، وضحى أجيالا أخرى، عبر عنهم القرآن بقوله:

{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا}(الحشر: 10).

وبهذا علمتنا الآيات الكريمة: أن الأمة كلها وحدة متكاملة على اختلاف الأمكنة، وامتداد الأزمنة، وأنها - على مر العصور - حلقات متماسكة، يعمل أولها لخير آخرها، ويغرس سلفها ليجني خلفها، ثم يأتي الآخر، فيكمل ما بدأه الأول، ويفخر الأحفاد بما فعله الأجداد، ويستغفر اللاحق للسابق، ولا يلعن آخر الأمة أولها، وبهذا التوزيع العادل تفادى الإسلام خطأ الرأسمالية التي تؤثر مصلحة الجيل الحاضر، ومنفعته مغفلة- في الغالب - ما وراءه من الأجيال، كما تجنب خطأ الشيوعية التي تتطرف كثيرا إلى حد التضحية بجيل، أو أجيال قائمة في سبيل أجيال لم تطرق بعد أبوب الحياة.

ولهذا قال الفقيه الجليل معاذ بن جبل لأمير المؤمنين عمر- حين هم بقسمة الأرض أول الأمر على الفاتحين -: والله إذن ليكونن ما تكره، إنك إن قسمتها اليوم صار الريع العظيم في أيدي القوم، ثم يبيدون، فيصير إلى الرجل الواحد، والمرأة، ثم يأتي بعدهم قوم يسدون من الإسلام سدا - يعني يدافعون عنه - وهم لا يجدون شيئا، فانظر أمرا يسع أولهم، وآخرهم، قال: فصار عمر إلى قول معاذ.

ومن هنا قال عمر لبلال وغيره - ممن عارض وقف الأرض على الأمة كلها-: تريدون أن يأتي آخر الناس ليس لهم شيء" . ([[299]](#footnote-300))

وبالجملة فإن عمر كان يرى أن بقاء هذه الأرض ملكا للأمة كلها دون قسمة لها على الأجيال الحاضرة، مما يتفق وجوهر هذا الدعاء: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا} (الحشر: 10).

15 - التذكير الدائم بهذا الداء وخطورته على الفرد والجماعة، وأسبابه وسبيل الوقاية منه، فإن الإنسان ينسى، وعلاج النسيان إنما يكون بالتذكير.

16 - كثرة الدعاء والتبتل والضراعة إلى الله - عز وجل - أن يطهر القلوب من هذا الداء، وخير ما ندعو به في هذا المقام ما قدمنا مما علمنا الله في كتابه.

الآفة السابعة والعشرون

تنافس الدنيا

والآفة السابعة والعشرون التي يمكن أن تصيب العاملين لدين الله، بل لقد أصابت بالفعل نفرا منهم، وخلفت وراءها آثارا خطيرة وعواقب مهلكة إنما هي "تنافس الدنيا".

وحتى يداوى منها من أصيب بها، ويسلم من شرها وغوائلها من عافاه الله - عز وجل - منها، فإننا سنعطي تصورا صحيحا وواضحا عنها من خلال هذه الجوانب:

أولا: تعريف تنافس الدنيا:

"تنافس الدنيا" مركب إضافي مؤلف من كلمتين هما:

"تنافس" و"دنيا"، والأمر يقتضي معرفة ماهية كل منهما على حدة، كي يسهل تعريف هذا المركب "تنافس الدنيا"، ودونك ذلك:

التنافس لغة:

يأتي التنافس في اللغة على معان، منها:

أ - محبة الشيء، والرغبة فيه، وأصله من الشيء النفيس في نوعه يقال: نافست في الشيء منافسة، ونفاسة، ونفاسا، ونفس الشيء بالضم نفاسة، صار مرغوبا فيه محبوبا.

ب - الضن بالشيء أو البخل به، يقال: نفست عليه الشيء بالكسر أنفسه نفاسة: ضننت أو بخلت عليه به، وما أحب أن يصل إليه.

ج - رؤية الغير فاقد الأهلية للشيء مع حسده عليه، نقول : تنافس الشيء، وبالشيء على فلان: لم يره أهلا لهذا الشيء وحسده عليه.

د - التسابق، والتباري في الشيء من غير إلحاق الضرر به -أي بالتنافس - نقول: نافس فلان فلانا في كذا: سابقه وباراه من غير أن يلحق الضرر به، وتنافس القوم في كذا: تسابقوا فيه، وتباروا دون أن يلحق بعضهم - الضرر ببعض ، ([[300]](#footnote-301)) ومنه قوله سبحانه:

{وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ} (المطففين).

ولا تعارض بين هذه المعاني جميعا فإن رؤية الغير ليس أهلا للشيء أو للأمر قد تحمل أو تقود إلى التسابق والتباري في تحصيله رغبة فيه، ومحبة له، وضنا به على هذا الغير.

"الدنيا" لغة:

والدنيا لغة، مؤنث الأدنى، يعني: الأقرب الألصق، يقال: هو ابن عمي دنيا (منون، وغير منون) قريب لاصق النسب، ثم صارت تطلق على الحياة الحاضرة أو العاجلة التي تسبق الحياة الغائبة أو الآجلة، وسميت بذلك لدنوها، أي لقربها منا، إذ يقال: دنا من الشيء دناوة، فيهو دان: قرب، أو لخستها، وحقارتها، إذا طلبت لذاتها، يقال: هذا دنيء: خسيس دون، أو لنقص وقصر عمرها في جنب عمر الآخرة، نقول: أعطى الدنية في دينه: النقيصة . ([[301]](#footnote-302))

"تنافس الدنيا" لغة:

وإذ عرفنا معنى كل من: "التنافس" و"الدنيا" على حدة، ونقول: إن "تنافس الدنيا" لغة: رؤية الغير أنه ليس أهلا للدنيا بصورة تحمل على التسابق والتباري في تحصيلها، رغبة فيها، ومحبة لها، وضنا بها على هذا الغير.

"تنافس الدنيا" اصطلاحا:

أما "تنافس الدنيا" اصطلاحا فهو- كما يقولالإمام النووي - رحمه الله -:

"التباري في الرغبة في الدنيا، وأسبابها وحظوظها " ، ([[302]](#footnote-303)) ولعله يريد: "على وجه الانفراد، والاستئثار بها" على نحو ما جاء لغة، وواضح من هذا التعريف أنه لا يختلف كثيرا عن المعنى اللغوي.

ثانيا: بعض مظاهر تنافس الدنيا وموقف الإسلام من هذا التنافس:

وهناك مظاهر وسمات تدل على تنافس الدنيا، وأهم هذه المظاهر وتلك السمات:

1 - إهمال أو إهدار الورع في المطاعم، والمشارب، والملابس، والمراكب ونحوها.

2 - بغض طلاب الآخرة، والنيل منهم، بل والتظاهر والتحريف عليهم بوسيلة أو بأخرى.

3 - بغض أو معاداة كل من يسبقه في الدنيا، ولا يستطيع اللحاق به.

4 - ازدراء نعمة الله وعدم الرضى بها وبقضاء الله وقدره.

5 - المخاصمة المستمرة على الدنيا وما فيها من متاع أو عرض زائل.

6 - التشتت الدائم مع كثرة الهموم والأحزان، ولا سيما عند فوات شيء من الدنيا.

7 - الاشتغال الدائم بالسعي في طلب الدنيا مع نسيان الآخرة بالمرة أو مع تذكرها، ولكن بتهاون وفتور.

8 - الحديث الدائم عن الدنيا، وزخارفها، وزيناتها، وسبل اقتناصها... وهلم جرا.

وتنافس الدنيا للدنيا مع نسيان أو إهمال الآخرة قبيح مذموم، كما شهدت بذلك نصوص الكتاب والسنة.

أما نصوص الكتاب فقوله تعالى:

{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ{ (الملك).

}وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ{ (المطففين) .

}لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ{ (الصافات).

}يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ{ (الجمعة).

}وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ{ ( آل عمران).

}اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ{ (الحديد).

إن هذه النصوص حين تتحدث عن الآخرة، تدعو صراحة إلى المنافسة والمسارعة، والمسابقة، والسعي، وحين تتحدث عن الدنيا تدعو صراحة إلى المشي الهوينا، والانتشار في الأرض، وعدم التكالب أو التنافس في طلب هذه الدنيا.

ومن نصوص الكتاب -كذلك - قوله سبحانه:

{لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ{ (الحجر: 88).

{وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى{ (طه).

يقول ابن كثير-رحمه الله: "يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تنظر إلى ما هؤلاء المترفون وأشباههم، ونظراؤهم فيه من النعيم، فإنما هي زهرة زائلة، ونعمة حائلة لنختبرهم بذلك، وقليل من عبادي الشكور" . ([[303]](#footnote-304))

وأما نصوص السنة النبوية فقوله صلى الله عليه وسلم:

"فأبشروا، وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتم" ، ([[304]](#footnote-305)) "إذا فتحت عليكم فارس والروم، أي قوم أنتم؟"، قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله ، ([[305]](#footnote-306)) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أو غير ذلك، تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض" ، ([[306]](#footnote-307)) "إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه من المال، والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه" ، ([[307]](#footnote-308)) "انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو اجدر ألا تزدروا نعمة الله" . ([[308]](#footnote-309))

وعن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: "إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها" . ([[309]](#footnote-310))

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا"، قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال: "بركات الأرض..." الحديث . ([[310]](#footnote-311))

وعن الحسن أنه قال: من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره" ، ([[311]](#footnote-312)) "والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه، ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت، ذهبت إلى ذا، أو ذهبت إلى ذا" . ([[312]](#footnote-313))

أما إذا كان التنافس في الدنيا من أجل إحراز سبق أو كفاية يستغني بها المسلمون، كابتكار علمي، أو سبق اقتصادي، ولا يبقون عالة على أعدائهم، مع نية التقرب بذلك إلى الله، والطمع في جنته ورضوانه، ومع الاهتمام بكل أعمال الآخرة الأخرى والمتمثلة في النزول على حكم الله - عز وجل - في كل ما يأتي المرء وما يدع، فذلك حسن ومحمود ؛ لأنه لا يخرج عن أن يكون من عمل الآخرة.

وقد أمرنا الله - عز وجل - أن تكون الدنيا التي في أيدينا موجهة نحو عمل الآخرة، وذلك في قوله سبحانه : {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا} (القصص: 77).

ثالثا: أسباب تنافس الدنيا:

ولتنافس الدنيا أسباب توقع فيه، وبواعث تؤدي إليه، وأهم هذه الأسباب وتلك البواعث:

1 - الغفلة عن أن حظوظ الدنيا تجري بالمقادير:

فقد تكون الغفلة عن أن حظوظ الدنيا تجري بالمقادير من الأسباب المؤدية إلى تنافس الدنيا ؛ ذلك أن الله - عز وجل - قدر أزلا حظ كل واحد من هذه الدنيا، كما قال سبحانه: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} (الزخرف: 32).

يقول العلامة ابن جرير الطبري - رحمه الله: "وقوله: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} يقول تعالى ذكره: بل نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا، فنجعل من شئنا رسولا، ومن أردنا صديقا، ونتخذ من أردنا خليلا، كما قسمنا بينهم معيشتهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة، بل جعلنا هذا غنيا، وهذا فقيرا، وهذا ملكا، وهذا مملوكا، ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك، حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الله تبارك وتعالى: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} (الزخرف: 32): فتلقاه ضعيف الحيلة، عيي اللسان، وهو مبسوط له في الرزق، وتلقاه شديد الحيلة، سليط اللسان وهو مقتور عليه" . ([[313]](#footnote-314))

بل أبرز ذلك للملك الذي يتولى نفخ الروح في كل إنسان بإذنه سبحانه حيث يؤمر: أن يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيا أم سعيدا. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها" . ([[314]](#footnote-315))

ومهما تبارى الناس، وتسابقوا فلن يغيروا شيئا مما قضى الله وقدر كما قال سبحانه:

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيد} (الإسراء: 18).

يقول ابن كثير-رحمه الله: "يخبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعم يحصل له، بل إنما يحصل لمن أراد الله، وما يشاء، وهذه مقيدة لإطلاق ما سواها من الآيات، فإنه قال: {عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيد} ". ([[315]](#footnote-316))

ومن ينسى ما قدمنا من أن حظوظ الدنيا تجري بالمقادير يبتلى لا محالة بداء التنافس في الدنيا.

2 - الغفلة عن حقيقة الدنيا:

وقد تكون الغفلة عن حقيقة الدنيا هي السبب في الوقوع في آفة تنافس هذه الدنيا ؛ ذلك أن الله خلق الحياة الدنيا لتكون معبرا أو قنطرة يمر الناس من فوقها إلى الدار الآخرة، ولكنه سبحانه جعلها بما فيها من زخارف وزينات، وشهوات دار امتحان وابتلاء، من ركن إليها ونسي آخرته فقد ضيع نفسه، إذ ركن إلى حقير قصير، ومن انتبه إليها وأخذ منها بالقدر الذي يسلمه من شرها، ويوصله إلى آخرته سلم، ونجا، بل غنم.

فقال سبحانه :

{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (آل عمران)

{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا} (الكهف).

{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} (الملك).

{قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلا} (النساء).

{فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ} (التوبة).

{إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (يونس).

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (هود).

{وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} (طه).

{وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ} (القصص).

{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا} (القصص: 77).

{ياأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} (فاطر: 5) إلى غير ذلك من الآيات.

تلك هي حقيقة الحياة الدنيا، ومن غفل عن هذه الحقيقة، ركن إلى الحياة الدنيا وحرص عليها، وحمله هذا الركون وذلك الحرص إلى تنافس الدنيا.

3 - العيش في وسط حريص يتنافس الدنيا:

وقد يكون الوسط الذي يعيش فيه المرء: قريبا - وهو البيت - أو بعيدا - وهو المجتمع - من بين أسباب تنافس الدنيا؛ ذلك أن المرء إذا وجد في وسط شغله الشاغل التسابق والتباري في حيازة الدنيا، ولم تكن لديه الحصانة الكافية التي تحميه من الأثر بهذا الوسط، فإنه يبتلى- لا محالة-بتنافس الدنيا.

يقول الغزالي في التحذير من صحبة الحريص على الدنيا المتنافس فيها: "وأما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل؛ لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه، فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص، ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا، فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا، ويستحب صحبة الراغبين في الآخرة" . ([[316]](#footnote-317))

4 - حب الدنيا:

وقد يكون حب الدنيا من بين الأسباب المؤدية إلى تنافس الدنيا ؛ ذلك أن حب الدنيا إذا تمكن من القلوب حمل على التباري والتسابق فيها من غير شبع أبدا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب" . ([[317]](#footnote-318))

5 - إقبال الدنيا:

وقد يكون إقبال الدنيا من بين الأسباب المؤدية إلى تنافسن هذه الدنيا.

ذلك أن الدنيا إذا أقبلت، وغابت معايير وضوابط تعاطي هذه الدنيا تبارى الناس فيها، وتنافسوها خشية أن تضيع أو تنتهي كما يتصورون.

ولقد نبّه النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا السبب حين قال في الحديث الذي ذكرناه آنفا: "... فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم" ، ([[318]](#footnote-319)) "أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا"، قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال: "بركات الأرض..."الحديث . ([[319]](#footnote-320))

6 - الاستعلاء والتكبر في الأرض بغير حق :

وقد يكون الاستعلاء والتكبر في الأرض بغير الحق من بين الأسباب المؤدية إلى تنافس هذه الدنيا؛ ذلك أن المستعلي والمتكبر في الأرض بغير الحق تسوّل له نفسه الأمارة بالسوء، بإغراء من شياطين الجن والإنس، أنه لن يحتفظ لهذه النفس بما حصَّلته من علو وتكبر، ومنزلة لنفوس الآخرين إلا بأن يكون صاحب النصيب الأوفى، والحظ الوافر من هذه الدنيا، وهذا بدوره يحمله على التسابق والتباري في طلب هذه الدنيا وهذا هو تنافس الدنيا.

7 - طول الأمل:

وقد يكون طول الأمل من بين الأسباب المؤدية إلى تنافس الدنيا ؛ ذلك أن من يطول أمله في الدنيا يحرص على أن يجمع من هذه الدنيا ما يغطي هذا الأمل، ولا يتأتى له ذلك إلا بالتسابق والتباري في طلب الدنيا، يعني: التنافس فيها، ولعل هذا هو سر التحذير من الاسترسال في طول الأمل؛ إذ يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

خط النبي صلى الله عليه وسلم خطا مربعا، وخط خطا في الوسط خارجا منه، وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: "هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به - أو قد أحاط به - وهذا الذي هو خارج: أمله، وهذه الخطط الصِّغار: الأغراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا" . ([[320]](#footnote-321))

وعن أنس رفعه: "أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب وطول الأمل، والحرص على الدنيا" . ([[321]](#footnote-322))

قال ابن حجر: "ويتولد من طول الأمل: الكسل عن الطاعة، والتسويف بالتوبة، والرغبة في الدنيا، والنسيان للآخرة، والقسوة في القلب" . ([[322]](#footnote-323))

8 - الغفلة عن الموت والدار الآخرة :

وقد تكون الغفلة عن الموت والدار الآخرة من أسباب الوقوع في تنافس الدنيا؛ ذلك أن من بقي متذكرا أنه مهما طال به الأجل، وامتد به العمر، فإنه ميت لا محالة، وأنه راحل عن هذه الدار إلى الدار الآخرة حيث يلقى ربه، ويسأل عن كل شيء، حتى عن النقير، والقطمير، بل وعن المكحل لم وضعه في عينيه، والذر لم فتته. يقول تعالى:

{قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} (السجدة).

{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ} (المؤمنون).

{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الحجر).

{ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّعِيمِ} ( التكاثر) .

ويقول صلى الله عليه وسلم: "يا معاذ، إن المرء يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه، حتى كحل عينيه، وعن فتات الطين في أصبعه، فلا ألفينك يوم القيامة، وأحد غيرك أسعد بما آتاك الله منك" ، ([[323]](#footnote-324)) "ما فوق الإزار، وظل الحائط، وخبز يحاسب به العبد يوم القيامة، أو يسأل عنه" . ([[324]](#footnote-325))

وقال الصحابة يوما لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: "هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة، ليست في سحابة؟ "قالوا: لا، قال: "فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، ليس في سحابة؟ "قالوا: لا، قال: " فوالذي نفسي بيده، لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما"، قال: "فيلقى العبد، فيقول: أي فل - يعني: يا فلان - ألم أكرمك، وأسوِّدك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ ، ([[325]](#footnote-326)) فيقول: بلى"، قال: "فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل، ألم أكرمك وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس، وتربع؟ فيقول: بلى أي ربي، فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: إني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك، وبكتابك، وبرسلك، وصليت، وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: هاهنا إذا"، قال: " ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه: من ذا الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه، ويقال لفخذه، ولحمه، وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه، ولحمه، وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه" . ([[326]](#footnote-327))

من بقي متذكرا هذه الحقيقة فإنه يضع الدنيا في يديه، وتحت قدميه، ولا يبالي أقبلت أو أدبرت. أما من نسي هذه الحقيقة فإنه يقيم للدنيا وزنا، ويعمل لها حسابا ويبذل قصارى جهده في تحصيلها ولو كان بالتسابق والتباري فيها، ولعل هذا من بين الأسباب التي من أجلها دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى دوام ذكر الموت والاستعداد للدار الآخرة قائلا: " أكثروا ذكر هاذم اللذات - يعني الموت" ، ([[327]](#footnote-328)) "الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، ثم تمنى على الله " . ([[328]](#footnote-329))

9 - الغفلة عن الآثار المترتبة على تنافس الدنيا :

وأخيرا قد تكون الغفلة عن الآثار المترتبة على تنافس الدنيا دنيوية أو أخروية، فردية أو جماعية، هي السبب في الوقوع في هذا التنافس، انطلاقا من مبدأ: أن من غفل عن الآثار الضارة المترتبة على أمر ما، ولم تكن لديه الحصانة الكافية التي تحميه من الوقوع في هذا الأمر: فإنه يقع فيه لا محالة، ومن هنا كانت الدعوة إلى الفقه في الدين على النحو الذي قدمنا غير مرة فيما مضى من آفات.

رابعا: آثار تنافس الدنيا:

ولتنافس الدنيا آثار ضارة، وعواقب مهلكة دنيوية وأخروية سواء على العاملين، أو على العمل الإسلامي . ودونك طرفا من هذه الآثار، وتلك العواقب:

أ - على العاملين :

فمن آثار تنافس الدنيا :

1 - القلق والاضطراب النفسي :

وذلك أن من سيطرت عليه الدنيا، وابتلى بجمعها، والتنافس فيها فيصاب لا محالة بالقلق والاضطراب النفسي، خوفا من أن تضيع عليه هذه الدنيا، بل خوفا من ألا يحصل الكثير منها، ويحق فيه قول الحق - تبارك وتعالى:

{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا} (طه: 124).

{وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا} (الجن).

2 - إهدار حقوق الأخوة الإسلامية :

ذلك أن تنافس الدنيا سيجر صاحبه حتما إلى الظنون الكاذبة وما تؤدي إليه من تتبع للعورات، والغيبة، والنميمة، والسخرية والاستهزاء والمزايدة على أخيه المسلم في بيع أو شراء أو نكاح، بل ربما تصل الأمور إلى حد الكيد والتآمر، وانتهاك الأعراض، وسفك الدماء، وسلب الأموال لئلا يسبق في تحصيل الدنيا، وهذا شر.

3 - الانصراف عن أعمال الآخرة:

ذلك أن من جعل الدنيا أكبر همه، ومبلغ علمه، وسعى إلى سبق ومجاراة الآخرين في تحصيلها ينصرف لا محالة عن أعمال الآخرة، وربما لا يجد من الأوقات والتفكير ما يعينه على إتيان هذه الأعمال.

4 - كراهية الموت والدار الآخرة :

ومن انصرف عن أعمال الآخرة، واشتغل بالدنيا، وبالتسابق والتباري في تحصيلها يكره الموت والدار الآخرة؛ لأنهما يقطعانه عما هو مشتغل متعلق، متلذذ به، فضلا عن أنه لم يقدم شيئا يسعى إليه في الآخرة.

ولعل هذا هو ما فقهه ذلك العالم الجليل أبو حازم الأعرج وقد سأله سليمان بن عبد الملك قائلا: يا أبا حازم، ما لنا نكره - الموت ؟ فأجاب : لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم آخرتكم، فكرهتم الانتقال من العمران إلى الخراب . ([[329]](#footnote-330))

ب - على العمل الإسلامي :

وأما آثار تنافس الدنيا على العمل الإسلامي فأهمها:

1 - الفرقة والتمزق:

ذلك أن التنافس على الدنيا يؤدي إلى الخصومات، وهي بدورها تؤدي إلى العداوة، والكراهية، والبغضاء، وحينئذ لا يكون وحدة ولا اجتماع ولا ترابط، وهذه هي قاصمة الظهر حقا.

2 - طول الطريق مع كثرة التكاليف:

ذلك أنه حين ينتهي الأمر بالعمل لدين الله إلى حد الفرقة، تفسح الطريق أمام العدو فيمتطي الظهور، ويطوق الأعناق، ويشدد الخناق، فتعظم التكاليف، وتطول الطريق، وينتفش الباطل، وينتشي، ويعود من جديد لبذر بذور الشر والفساد. ولقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى كل هذه الآثار سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي، ولكن في إجمال حين قال: "... فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم، كما بسطت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم" ، ([[330]](#footnote-331)) " أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا..." الحديث . ([[331]](#footnote-332))

خامسا: علاج تنافس الدنيا:

وإذ قد فرغنا من تعريف تنافسن الدنيا، وتحديد مظاهره وموقف الإسلام منه، والأسباب المؤدية إليه، والآثار المترتبة عليه، سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي، فإن من السهل بعون الله وتوفيقه رسم طريق العلاج، وتتلخص هذه الطريق في:

1 - اليقين التام بأن حظوظ الدنيا تجري بالمقادير، وأنه مهما أتعب المرء نفسه، وتكالب على الدنيا، وتبارى مع الآخرين في تحصيلها أو نيل حظ منها، فإنه لن يصل إلى شيء فوق ما قسم الله، إذ قد يقود اليقين صاحبه إن كان صادقا أن يمشي الهوينا، وأن يأخذ بالأسباب البشرية فقط، ويدع ما قسم الله له، والله سبحانه لا يضيع أجر المحسنين.

2 - والبصيرة التامة بحقيقة الدنيا، وأنها ليست غاية أو هدفا، وإنما هي وسيلة لغاية وهدف، وعليه فلا يصح أن يقف عندها طويلا أو يركن إليها، ويسابق الآخرين في جمعها وتحصيلها.

3 - وأن ينزع المسلم نفسه أو أن ينتزعه الآخرون من الوسط الحريص على الدنيا المتنافس فيها، ثم يلقي بنفسه في وسط من يريدون الله ورسوله، والدار الآخرة، ولا ينسون نصيبهم من الدنيا، فلعل ذلك يسهم في اقتلاع الدنيا من القلوب ويجعلها في الأيدي، وبذلك يقضي على سبب وليس من أسباب تنافس الدنيا.

4 - وأن يوقن أن المرء مهما حصَّل من الدنيا فلن يشبع أبدا، إذ لو كان لابن آدم واديان من مال، لابتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب،كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح.

5 - وأن يعدّل من نظرته إلى إقبال الدنيا بحيث لا يراها مجالا للتنافس، وإنما يراها فتنة يخاف على نفسه منها كما قال سبحانه :

{وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} (الأنبياء).

{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} (الأنعام).

6 - وأن يداوي المرء نفسه من آفات الإعجاب بالنفس، والغرور والتكبر، فيقضي بذلك على باب كبير يمكن أن يؤدي إلى التسابق والتباري في تحصيل الدنيا.

7 - وأن يخفف من طول الأمل ما استطاع ذلك سبيلا، واضعا في حسابه أن طول الأمل لا يليق بعبد ضعيف جاهل لا يدري متى الرحيل عن هذه الدار، ولا ما يكون بعد هذا الرحيل.

8 - وأن ينعم النظر في كتاب الله وسنة وسيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ليرى ماهية وحقيقة الدنيا في جنب ماهية وحقيقة الدار الآخرة، و لعل هذه الرؤية تولد لديه قناعة ويقينا أن الدنيا أقل وأحقر من أن يتكالب الناس عليها، ويتنافسوها .

9 - دوام تذكر الموت والدار الآخرة، وحاله عند سكرات الموت، وعند دخوله قبره، وقد انقطع عنه كل شيء، وأوله هذه الدنيا، تلك التي أفنى عمره في طلبها، والتكالب عليها، والتنافس فيها، ثم حاله عند السؤال، وما يكون بعده من نعيم وراحة، أو شقوة وتعب، وحاله عند البعث والنشور، والحشر والعرض على الله، إلى غير ذلك مما يكون يوم القيامة حتى يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، ولعل تذكر ذلك يخوفه من داخله، ويحمله على أن يخرج حب الدنيا من القلب، ويجعلها في اليد، وينسيه التسابق والتباري في طلبها وحيازتها.

10 - طول النظر في سيرة سلف هذه الأمة، وكيف كان تواصيهم فيما بينهم، وأخذهم أنفسهم بمنهج: أن الدنيا أقل وأحقر من أن يفنوا أعمارهم في طلبها والتنافس فيها لذاتها مستخدمين معها قول الله - عز وجل:

{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} (القصص: 77).

هذا الحسن يقول: "من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره" . ([[332]](#footnote-333))

وهذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، يقدم عليه أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج، فيعرفه عمر، وأبو حازم لا يعرفه، فيقول له عمر: ادن مني يا أبا حازم، وحين يدنوا منه يعرفه، فيقول له: أنت أمير المؤمنين؟ فيقول عمر: نعم، فيقول: ألم تكن بالمدينة بالأمس أميرا؟ قال: نعم، قلت: كان مركبك وطيئا، وثوبك نقيا، ووجهك بهيا، وطعامك شهيا، وحرسك كثيرا، فما الذي غير ما بك، وأنت أمير المؤمنين؟ فبكى، ثم قال: يا أبا حازم، كيف لو رأيتني بعد ثالثة في قبري، قد سالت حدقتاي على وجنتي، وانشق بطني، وجرت الديدان في بدني، لكنت أشد إنكارا لي من يومك هذا، أعد علي الحديث الذي حدثتنيه بالمدينة، قلت: نعم يا أمير المؤمنين، سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن بين أيديكم عقبة كؤودا مضرسة، لن يجوزها إلا كل ضامر مهزول"، فبكى، ثم قال: تلومني يا أبا حازم أن أضمر نفسي لتلك العقبة، لعلي أنجو منها، ما أظنني بناج منها . ([[333]](#footnote-334))

وقال أبو حازم هذا:

"نعمة الله فيما زوى عني من الدنيا أفضل من نعمته فيما أعطاني منها، إني رأيته أعطاها قوما فهلكوا"، " رأيت الدنيا شيئين : شيئا منها هو لي فلن أعجله قبل أجله، ولو طلبته بقوة السموات والأرض، وشيئا منها هو لغيري، فذاك ما لم أنله فيما مضى، ولا أرجوه فيما بقى، يمنع الذي لغيري مني، كما يمنع الذي لي من غيري، ففي أيّ هذين أفني عمري؟"، "الناس عاملان: عامل في الدنيا للدنيا، قد شغلته دنياه عن آخرته، يخشى على من يخلف الفقر، ويأمنه على نفسه، فيفني عمره في بغية غيره، وعامل في الدنيا لما بعدها، فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل، فأصبح ملكا عند الله، لا يسأل الله شيئا فيمنعه".

ومن قبل كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسعد عندما فتح الله عليه: أما بعد، فأعرض عن زهرة ما أنت فيه حتى تلقى الماضين الذين دفنوا في أسمالهم ، ([[334]](#footnote-335)) لاصقة بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجاب، لم تفتنهم الدنيا، ولم يفتنوا بها، أرغبوا فطلبوا، فما لبثوا أن لحقوا، فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك، ورسوخ علمك، وحضور أجلك، فمن يلزم الحدث في سنه، الجاهل بعلمه، المأفون ([[335]](#footnote-336)) في رأيه، المدخول في عقله، إنا لله وإنا إليه راجعون" . ([[336]](#footnote-337))

إلى غير ذلك من أخبار هؤلاء في هذا الباب.

ولعل طول هذا النظر يولد في النفس معنى الاقتداء والتأسي أو على الأقل المحاكاة والتشبه.

11 - دوام التذكير والتبصير بالدنيا، والتنافس فيها، فإن الإنسان كثيرا ما ينسى وعلاج هذا النسيان، إنما يكون بالتذكير والتبصير، ولهذا يقول الحق - تبارك وتعالى: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَـعُ الْمُؤْمِنِينَ} (الذاريات)، {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَى} (الأعلى).

12 - دوام مراقبة الله في الدخول والخروج، في السر والعلانية، في كل الظروف وفي سائر الأحايين، فإنها إن كانت صاقة تحجز عن كل شر، وتدفع إلى كل خير، ثم يكون مع المراقبة، المشارطة، والمحاسبة، وتصحيح الخطأ بالإنابة والتوبة النصوح، ولعل هذه الخطوات بمرور الزمن، مع الجدية وأخذ الأمر بحزم وقوة، تفيد في القضاء أو على الأقل التخفيف من تنافس الدنيا.

الآفة الثامنة والعشرون

الاحتقار أو الانهزام النفسي

والآفة الثامنة والعشرون التي يبتلى بها كثير من المسلمين، وكانت من بين أسباب كثير ما نعاني نحن المسلمين اليوم، إنما هي: "الاحتقار أو الانهزام النفسي". وحتى يبرأ من هذه الآفة من ابتلى بها، ويبقى صحيحا معافى من سلّمه الله - عز وجل - منها، فإننا سنتناولها من خلال هذه الجوانب:

أولا: تعريف الاحتقار أو الانهزام النفسي

الاحتقار لغة:

والاحتقار لغة: الإذلال، والإهانة، والتصاغر، يقال: احتقره، حَقَرَه وحَقُر الشيء حقرا، وحقارة، فهو حقير: ذل، وهان، وصغر . ([[337]](#footnote-338))

وفي الحديث: "إياكم ومحقرات الذنوب" ([[338]](#footnote-339)) : صغائر، واحدتها: محقَّرة.

والانهزام لغة: الانهزام لغة: الانكسار والتشقق، نقول: انهزم العدو: انكسرت شوكته، وشق صفه، وانتصر عليه، فهو منهزم، ومهزوم، والهزيمة في القتال: الكسر، والفل . ([[339]](#footnote-340))

اصطلاحا:

أما الاحتقار أو الانهزام النفسي في الاصطلاح، فهو: استصغار النفس الخيّرة، واستذلالها، والاستهانة بها أو انكسارها أمام ما يمليه عليه أعداؤها من النفس الأمارة بالسوء، ومن شياطين الإنس والجن، ومن الدنيا بشدائدها، وامتحاناتها، ببريقها، وزخارفها وزيناتها، بصورة تشعرها أنها ليست أهلا لعمل أي بر أو معروف، حتى وإن كان هذا البر وذلك المعروف بسيطا أو يسيرا.

ثانيا: بعض مظاهر الاحتقار أو الانهزام النفسي مع بيان حكمه في ميزان الإسلام

وللاحتقار أو الانهزام النفسي صور يعرف بها، ومظاهر تدل عليه وأهم هذه الصور، وتلك المظاهر:

1 - القعود عن العمل لدين الله - عز وجل - من الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومجاهدة الكفار والمنافقين الذين يصدون عن سبيل الله، ويبغونها عوجا، بدعوى أن الشر قد تفشى وانتشر، وأن المنكر قد استفحل وتمكن، ومهما عملنا فلن نغيِّر شيئا، ولن نجني سوى التعب والمشقة.

2 - اعتزال المجتمع بل الهجرة إلى الشعاب والأودية ورءوس الجبال اعتمادا على الدعوى التي قدمنا، واحتجاجا بقوله صلى الله عليه وسلم: "يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن" . ([[340]](#footnote-341))

3 - الخضوع والانقياد والاستسلام للأهواء، وما يمليه شياطين الجن والإنس، والدنيا ببريقها وزخارفها، بدعوى عدم القدرة على المواجهة.

4 - الخوف من الباطل، والانقياد له في كل ما يقول، وما يفعل، بدعوى أنه يملك كل شيء، ونحن مهما أوتينا من قوة، ومن سلطان فلن نعمل شيئا، وبالتالي فلن نغير شيئا.

5 - رفض أي مسئولية قيادية حتى وإن كانت في أمر جزئي بسيط، بدعوى عدم الفقه في المسئوليات، بل عدم القدرة على ما تتطلبه هذه المسئوليات من أعباء، وتبعات، وهلم جرا.

والاحتقار بالمعنى الذي ذكرنا من استصغار النفس، والاستهانة بها أمام دور الإنسان، بل المسلم ورسالته في هذه الأرض، قبيح مذموم نفى عنه الشارع الحكيم، إذ يقول الله - تبارك وتعالى:

{وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (آل عمران).

{وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ} (النساء: 104).

{فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} (محمد).

{إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي} (البقرة: 150).

{الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إِنَّمَا ذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (آل عمران).

{الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي} (المائدة: 3).

{فَلا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا} (المائدة: 44).

{الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا} (الأحزاب).

وإذ يقول صلى الله عليه وسلم: "لا يحقر أحدكم نفسه" قالوا: يا رسول الله، كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: "يرى أمرا لله عليه فيه مقال، ثم لا يقول فيه، فيقول الله - عز وجل- له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا، وكذا؟ فيقول: خشية الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى" ، ([[341]](#footnote-342)) "احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز..." الحديث . ([[342]](#footnote-343))

وانطلاقا من نهي الشارع الحكيم عن الاحتقار أو الانهزام النفسي زكى يوسف الصديق عليه السلام نفسه، فقال: {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} (يوسف).

يقول ابن عطية-رحمه الله: "وطلب يوسف للعمل إنما هي حسبة منه عليه السلام لرغبته في أن يقع العدل... فجائز للفاضل أن يعمل، وأن يطلب العمل إذا رأى ألا عوض عنه، وجائز أيضا للمرء أن يثني على نفسه بالحق إذا جهل أمره" . ([[343]](#footnote-344))

ويقول ابن كثير- رحمه الله:

"وفيه دليل على جواز طلب الولاية، إذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل، وإجراء أحكام الشريعة، وان كان في يد الجائر أو الكافر" . ([[344]](#footnote-345))

ويقول الألوسي -رحمه الله: "وفيه دليل على جواز مدح الإنسان نفسه بالحق إذا جهل أمره، وجواز طلب الولاية إذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل وإجراء أحكام الشريعة، وان كان من يد الجائر أو الكافر، وربما يجب عليه الطلب إذا توقف على ولايته إقامة واجب مثلا، وكان متعينا لذلك، وما في الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن سمرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها"، وارد في غير ما ذكر" . ([[345]](#footnote-346))

ومدح النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بقوله: "أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له..." ، ([[346]](#footnote-347)) "أنا سيد الناس يوم القيامة" ، ([[347]](#footnote-348)) "أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة" ، ([[348]](#footnote-349)) إلى آخر ما جاء عنه في هذا الشأن. ومدح عثمان رضي الله عنه نفسه بقوله: ... ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من حفر بئر رومة فله الجنة"، فحفرتها؟ ألستم تعلمون أنه قال: "من جهز جيش العسرة فله الجنة"، فجهزتها؟ قال: فصدقوه بما قال . ([[349]](#footnote-350))

يقول ابن حجر في شرح هذا الحديث: "وفيه جواز تحدث الرجل بمناقبه عند الاحتياج إلى ذلك لدفع مضرة أو تحصيل منفعة، وإنما يكره ذلك عند المفاخرة، والمكاثرة، والعجب" . ([[350]](#footnote-351))

واستأذن أبو موسى الأشعري على عائشة رضي الله عنها فأذنت له، فقال لها: يا أماه، أو يا أم المؤمنين، إني أريد أن أسألك عن شيء، وإني استحييك فقالت: لا تستحي أن تسألني عما كنت سائلا عنه أمك التي ولدتك، فإنما أنا أمك، قلت: فما يوجب الغسل؟ قالت: على الخبير سقطت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان، فقد وجب الغسل" . ([[351]](#footnote-352))

وقال ابن مسعود رضي الله عنه ثقة بنفسه، وتقديرا لها: "والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله، إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه" . ([[352]](#footnote-353))

قال ابن حجر تعليقا على كلام ابن مسعود هذا:

"وفي الحديث جواز ذكر الإنسان نفسه بما فيه من الفضيلة بقدر الحاجة، ويحمل ما ورد من ذم ذلك على من وقع ذلك منه فخرا أو إعجابا" . ([[353]](#footnote-354))

وهؤلاء المشاهير علماء المسلمين ولا سيما المؤلفون ن منهم يثقون بأنفسهم فيمدحونها، حتى يقول الواحد منهم عن نفسه: "ما رأيت مثل نفسي" وهكذا.

أما الاحتقار أو الانهزام النفسي أمام نعمة الله وعظمته، فمرغوب فيه محمود، وهو التواضع الذي مدحه الحق - تبارك وتعالى - في قوله:

{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا} (الفرقان)، {وَلَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (آل عمران)، وقال: {قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِي وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنْ الْمُحْضَرِينَ} (الصافات)، {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} (يوسف).

ومدح النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في قوله:

"الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز، من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني" . ([[354]](#footnote-355))

وانطلاقا من دعوة الشارع الحكيم إلى هضم النفس، وأنها لا تساوي شيئا في جنب عظمة الله، ونعمته،جاءت الأخبار عن السلف بهضم النفس، والتواضع لله، وعدم الترفع على عباده بحال، يقول بكير بن الأشج: إن عبد الله بن سلام خرج من حائط له بحزمة حطب يحملها، فلما أبصره الناس، قالوا: يا أبا يوسف، قد كان - يعني في ولدك، وعبيدك - من يكفيك هذا، قال: أردت أن أجرب قلبي هل ينكر هذا . ([[355]](#footnote-356))

ويقول المبارك بن فضالة: إنه سمع الحسين يقول: يا ابن آدم، طأ الأرض بقدمك، فإنها عن قليل قبرك، وأنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك . ([[356]](#footnote-357))

وأثر عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام (ت 660 ه): أن أمراء المماليك الذين اشتراهم الملك نجم الدين أيوب لا زال حكم الرق مستصحبا عليهم لبيت مال المسلمين، وأنه لابد من تصحيح هذا الخطأ الشنيع، وذلك ببيعهم، وشرائهم، ثم عتقهم مرة ثانية. وكان من جملة هؤلاء نائب السلطنة، فغضب عليه لهذا الأمر لما فيه من إهانة بعد أن أصبحوا ذوي مناصب في الدولة، وقد استدعى نائب السلطنة الشيخ عز الدين فلم يجبه، فانزعج نائب السلطنة لذلك وقصد بيته مع جماعة لقتله، فخرج ولد الشيخ، فرأى من نائب السلطنة ما رأى، فأخبر أباه، فما اكترث لذلك، ولا تغير، وقال: يا ولدي، أبوك أقل من يقتل في سبيل الله، وخرج الشيخ وهو مطمئن، فحين وقع بصره على النائب يبست يده ووقع السيف منها، فبكى، وسأل الشيخ أن يدعوا له، وخضع لرأيه في البيع، وقال له: ففيم تصرف ثمننا؟ قال في مصالح المسلمين، قال: من يقبضه؟ قال: أنا، فتم له ما أراد، ونادى على الأمراء واحدا واحدا في المزاد العلني، وغالى في ثمنهم، وقبضه، وصرفه في وجوه الخير، ثم أعتقهم بعد ذلك، رحمه الله، ورضي عنه ، ([[357]](#footnote-358)) وعلى أثرها لقب الشيخ ببائع الملوك.

وفحوى هذه القصة: احتقار الشيخ عز الدين نفسه أمام حماية دين الله ومنهجه، وهي من جانب آخر دليل على ما ينبغي أن يكون عليه المسلم من الثقة التامة بالنفس، وعدم احتقارها في مواجهة المنكر، ومجاهدة الباطل.

ثالثا: أسباب الاحتقار أو الانهزام النفسي

وللاحتقار أو الانهزام النفسي أسباب تؤدي إليه، وبواعث توقع فيه، وأهم هذه الأسباب، وتلك البواعث:

1 - إهمال المرء من التعويد على المسؤولية بل من التشجيع:

فقد يكون إهمال المرء من التعويد على المسئولية، بل من التشجيع من بين الأسباب المؤدية إلى الاحتقار، والانهزام النفسي؛ ذلك أن التعويد على المسئولية، بل التشجيع يمنح المرء ثقة بنفسه، واحتراما وتقديرا لها، بحيث يوقن أنه ليس في الدنيا ما يكون صعبا، أو بعيد المنال، وحين يهمل المرء من التعويد على المسئولية، ومن التشجيع يوسوس له الشياطين، وتسول له النفس الأمارة بالسوء أنه ما أهمل بهذه الصورة إلا لأنه لا يحسن أو لا يجيد شيئا، فيفقد الثقة بنفسه، بل يأخذ في احتكارها، ويكون الانهزام النفسي.

ولا جرم أن نشير هنا إلى أننا لا نعني بالمسئولية القيادة، بقدر ما نعني بها التكليف بما يوجب التبعة، والمساءلة، وهذا الذي نعنيه من العموم بحيث يشمل الحياتين جميعا الدنيا والآخرة، فتكليف المرء بالاهتمام ببدنه، وروحه، وعقله، وخلقه، ودعوة الآخرين، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ومجاهدة الكفار والمنافقين الذين يصدون عن سبيل الله، ويبغونها عوجا، هذه وغيرها مسئولية.

وكذلك لا نعني بالتشجيع الغناء أو المدح دون قيود أو ضوابط، بل لابد أن يكون محفوفا بالقيود، والضوابط الشرعية، وأهمها: الخلو من الكذب والمبالغة، وأن يكون مبنيا على الظن أو التخمين الغالب لا على اليقين والقطع، فذلك مرده إلى الله - تبارك وتعالى - بأن يقول: أحسب فلانا كذا، والله حسيبه ولا أزكى على الله أحدا، وخير ما يشهد بصحة هذا السبب حركة التاريخ والواقع:

أما حركة التاريخ: فقد طالعتنا من قديم: أن آباءنا وأجدادنا ولا سيما عرب الجزيرة العربية ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الثقة بالنفس، والعزة والإباء والشمم، تلك التي عرفوا بها قبل الإسلام إلا بالتعويد على المسئولية منذ نعومة أظفارهم بل والتشجيع المستمر، وجاء الإسلام وأكد على هذا، بل حوله من مجرد أن يكون عادة وعرفا إلى أن يكون شرعة ودينا، فقال الحق - سبحانه:

{وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (التوبة )، {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الحجر).

وعرفنا من سيرته صلى الله عليه وسلم أنه عمل في صباه في رعي الغنم، وفي التجارة، وساعد في تجديد الكعبة، وشارك في حرب الفجار، وحلف الفضول، وأن هذه الأعمال أسهمت في إعداده وتهيئته لحمل أمانة الدعوة، والبلاغ، والجهاد بعد ذلك.

وقد أفتى الحنفية بأن للأب أن يؤاجر ابنه الصغير في عمل من الأعمال . . . من باب النظر-أي رعاية المصالح - ولأن ذلك من باب الأديب والتهذيب والرياضة، ومثل الأب في ذلك الوصي، والقا ضي . ([[358]](#footnote-359))

ولعل سندهم في هذا ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما، حتى إذا رأيت أني قد فرغت من خدمتي، قلت: يقيل - أي ينام بعد الظهر- ويعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت إلى صبيان يلعبون قال: فجئت أنظر إلى لعبهم، قال: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على الصبيان وهم يلعبون، قال: فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثني إلى حاجة له، فذهبت فيها، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في فيء - أي ظل - حتى أتيته، واحتبست عن أمي عن الإتيان الذي كنت أتيها فيه، فلما أتيتها قالت: ما حسبك؟ قلت: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة له، قالت: وما هي؟ قلت: هو سر، قالت: فاحفظ على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره، قال ثابت - راوي الحديث عن أنس: قال لي أنس: لو حدثت به أحدا من الناس -أو لو كنت محدثا به - لحدثتك به يا ثابت . ([[359]](#footnote-360))

وأما الواقع: فهو ما نرى وما نشاهد من أن أبناء البادية والقرى غالبا ما يكونون أكثر ثقة بأنفسهم من أبناء المدينة أو الحاضرة؛ نظرا لأن قسوة البادية والقرية أوجبت عليهم أن يدربوا على المسئولية في حال الصبا، والأولاد في الغرب الآن يوضعون على المحك، وهم لا يزالون صغارا حتى إذا ما شبوا كان منهم القادة، والمبتكرون، والمخترعون، وهكذا فإن التعويد على المسئولية بل التشجيع يولد الثقة بالنفس، وإهمال ذلك ينشأ عنه الاحتقار أو الانهزام النفسي.

2 - انتقاص الآخرين وتحقيرهم للمرء على الدوام:

وقد يكون انتقاص الآخرين وتحقيرهم للمرء على الدوام من بين الأسباب المؤدية إلى الاحتقار أو الانهزام النفسي؛ ذلك أن المرء إذا رأى كل من حوله لا يستحسنون منه شيئا، بل يلاحقونه على الدوام بالانتقاص، والاحتقار، والفشل، فانه غالبا ما يتأثر بذلك، لا سيما إذا كان في المراحل الأولى من حياته أو كان مكلفا بالأمر لأول مرة، وتكون العاقبة أن يصاب بالإحباط، والاحتقار أو الانهزام النفسي.

ولعل هذا من بين الأسرار التي من أجلها نهى الشارع الحكيم أن يحقر المسلم أخاه المسلم أو ينال منه بحال، إذ يقول الحق - تبارك وتعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَان} (الحجرات: 11).

وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم..." الحديث . ([[360]](#footnote-361))

3 - العيش في وسط معروف بالانهزام واحتقار النفس:

وقد يكون عيش المرء في وسط معروف بالانهزام واحتقار النفس من بين الأسباب المؤدية إلى الوقوع في الاحتقار، والانهزام النفسي، أعم من أن يكون هذا الوسط قريبا وهو البيت، أو بعيدا وهو المجتمع، ذلك أن المرء شديد التأثر بالوسط الذي يعيش فيه، وعليه فإذا كان هذا الوسط محتقر لنفسه أو منهزما أمامها سرت عداوة إلى الآخرين، وأصيبوا هم كذلك بالاحتقار والانهزام النفسي، وقد نبهنا غير مرة في هذه الآفات إلى ضرورة طهارة ونظافة الوسط الذي يعيش فيه المرء ليسلم من شره، بل ليتداوى إن كانت عدوى الأوساط العفنة قد سرت إليه، وأفسدته.

4 - تمكن حب الدنيا من القلوب:

وقد يكون تمكن حب الدنيا من القلوب من بين الأسباب المؤدية الاحتقار أو الانهزام النفسي، ذلك أن حب الدنيا إذا تمكن من القلوب حمل على الوقوع في المعاصي والسيئات لا محالة، وأقل هذه المعاصي وتلك السيئات، الشح أو البخل بهذه الدنيا.

وحين يقع المرء في المعاصي والسيئات على الدوام يسود قلبه، ويصير عليه ران، وربما انتهت الحال إلى قفل هذا القلب، بل الختم عليه والعياذ بالله، ويظهر أثر ذلك في أمور كثيرة أهمها: القلق، والخوف، والاضطراب النفسي، وكذلك الاحتقار والانهزام النفسي. وواقع العصاة اليوم خير ما يشهد بذلك، ولهذا حذر الشارع الحكيم من الوقوع في المعاصي والسيئات، وأرشد من وقع في المعاصي والسيئات - لسبب أو لآخر - أن يبادر بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الله.

فقال سبحانه:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} (المجادلة).

{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمْ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} (النساء).

{قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (الزمر).

{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} (النساء).

{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} (الجن).

{قُلْ يَاعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنْ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنْ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنْ الْكَافِرِينَ} (الزمر).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه: (بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفراة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله، فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه )، فبايعناه على ذلك . ([[361]](#footnote-362))

5 - دوام إخفاق المرء وفشله في كل ما يقصد:

وقد يكون دوام إخفاق المرء وفشله في كل ما يقصد من بين الأسباب المؤدية إلى الاحتقار، والانهزام النفسي؛ ذلك أن للنجاح والتوفيق سننا لابد من رعايتها، وحين تهمل أو تهدر هذه السنن كلا يكون دوام الإخفاق والفشل، سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا، وحين يرى المرء نفسه في إخفاق وفشل على الدوام يسقط في يده، وربما انتهى به ذلك إلى احتقار نفسه، وهزيمته أمامها، وخير ما يشهد بذلك واقعنا نحن المسلمين اليوم في صراعنا مع أعدائنا. ومن أجل حماية المسلم من أن تنتهي به الأمور إلى هذا الاحتقار وذلك الانهزام النفسي جاءت دعوة الشارع الحكيم إلى ضرورة الإعداد، والإتقان، والحذر أو أخذ الأهبة والاستعداد في الأمور البسيطة قبل المركبة، والسهلة قبل الصعبة.

قال تعالى:

{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ} (الأنفال).

{وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (البقرة).

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا} (النساء).

وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء... ) الحديث . ([[362]](#footnote-363))

"إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه" . ([[363]](#footnote-364))

6 - منافسة ذوي الجد بالقول دون العمل :

وقد تكون منافسة ذوي الجد بالقول دون العمل من بين الأسباب المؤدية إلى الوقوع في الاحتقار أو الانهزام النفسي، ذلك أن الحياة دنيوية كانت أو أخروية إنما تبنى أساسا على المنافسة والمسابقة، وقد يكون أحد الطرفين جادا يأخذ الأمور بحزم وعزم وقوة، وينتفع بكل ما لديه من طاقات وإمكانات، ولا تضيع منه لحظة واحدة هباء أو بددا، ويكون الآخر لاهيا لاعبا لا هم له سوى الكلام والقول أما العمل فهو بمعزل عنه تماما، وبمرور الزمان يجد هذا الأخير نفسه أمام الأول عدما أو في حكم العدم، وحينئذ لا يملك إلا أن يكون فريسة للاحتقار أو الانهزام النفسي.

ولعل واقعنا نحن المسلمين اليوم أمام واقع أعدائنا خير ما يشهد بصحة ما نقول، إذ عمل هؤلاء وما زالوا يعملون بالليل والنهار، منتفعين بكل ما منحهم الله من طاقات وإمكانات ومواهب، وقعدنا نحن المسلمين، بل غرقنا في اللهو واللعب حتى سبقونا وتقدموا علينا، بل وأمسكوا بخناقنا، وضيقوا الخناق حول أعناقنا، ولما انتبهنا وأفقنا وأدركنا حقيقة هذا الواقع الأليم المرير واجهناه بالقول دون العمل، وحينئذ لم نستطع السباق أو اللحاق، وصرنا فريسة الاحتقار والانهزام النفسي، وقد جاء عن علي رضي الله عنه خبر فيه راو مجهول إلا أن معناه صحيح موافق لضرورة مواجهة الأعداء بالعمل لا بالقول، وإلا ركب أعناقنا هؤلاء، وكان الاحتلال أو ما يعرف الآن بالاستعمار.

إذ أخرج ابن أبي شيبة في: المصنف من حديث الأعمش عن شهر، عن رجل قال: " كنت عريفا في زمن علي، فأمرنا بأمر فقال: أفعلتم ما أمرتكم؟ قلنا: لا، قال: والله لتفعلن ما تؤمرون به، أو لتركبن أعناقكم اليهود والنصارى" . ([[364]](#footnote-365))

7 - الكبت أو الاستبداد والقهر:

وقد يكون الكبت أو الاستبداد والقهر من بين الأسباب المؤدية إلى الاحتقار والانهزام النفسي، ذلك أن المرء إذا حيل بينه وبين التعبير عما بداخله، وفرض عليه على سبيل الاستبداد والقهر ما لا يقره ولا يرضاه، واستمرت الحال هكذا دون انفراج أو تنفيس أصابه اليأس والقنوط ثم الإحباط والاحتقار والانهزام النفسي.

ومن أجل الوقاية من الوقوع في ذلك منع الشارع الحكيم القهر، فلا إكراه في الدين، ولا إكراه في تزويج المرأة، ولا إمامة لحاكم أو أمير، أو ذي سلطان إلا بمشورة وبيعة... وهكذا.

قال تعالى:

{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ} (البقرة: 256).

{وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْر} (آل عمران: 159).

{وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} (الشورى: 38).

وعن خنساء بنت خذام الأنصارية: أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك، فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له، فرد نكاحها . ([[365]](#footnote-366))

8 - عدم الثقة بالله وبمنهجه:

وقد يكون عدم الثقة بالله وبمنهجه، من بين الأسباب التي توقع في الاحتقار والانهزام النفسي، ذلك أنه سبحانه ذو الكمال والجلال، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون، وقد امتن على عباده بمنهاج معصوم فيه سعادة الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه:

{يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} (يونس).

ووعد بإعلاء شأن هذا المنهج، والتمكين له في العالمين، فقال سبحانه:

{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ} (النور).

وطلب سبحانه منهم أن يصدقوا ذلك تصديقا لا شك فيه ولا ريب أبدا، فقال:

{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (التغابن).

ومن شك في الله وفي منهجه، ولم يثق بهما وكله الله إلى نفسه بحيث يبقى وحيدا أمام حزب الشيطان، وحينئذ لا يسعه إلا أن ينهار وأن ينهزم نفسيا، وربما انقلب فصار من حزب هؤلاء الخاسرين .

9 - عدم إدراك نعمة الله في النفس وفي الكون:

وقد يكون عدم إدراك نعمة الله في النفس وفي الكون، من بين الأسباب التي توقع في الاحتقار والانهزام النفسي؛ ذلك أن الله قد امتن علينا في أنفسنا بنعم لا تعد ولا تحصى من السمع، والبصر، والفؤاد، واعتدال القامة، والأيدي، والأرجل، واللسان، والشفتين، ومن الأعضاء الداخلية ما لا يعلمه إلا هو، كما امتن علينا بمثلها في الكون المحيط بنا من الليل والنهار، والشمس والقمر، والنجوم، والشجر والدواب، والأنهار والبحار والهواء، والأرض والسماء، وهلم جرا فقال سبحانه:

{وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (النحل).

{أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} (البلد).

{وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} (النحل).

{وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ} (الذاريات).

{وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} (لقمان: 20).

{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا} (إبراهيم: 34، النحل: 18).

ومن غفل عن هذه النعم، أو لم يدركها إدراكا حقيقيا، ورأى انتفاع الأعداد واستثمارهم لها، فإنه يصاب لا محالة باليأس والإحباط أو الانهزام النفسي.

10 - الغفلة عن العواقب المترتبة على الاحتقار أو الانهزام النفسي:

وقد تكون الغفلة عن العواقب المترتبة على الاحتقار أو الانهزام النفسي من بين الأسباب المؤدية إلى الوقوع في الاحتقار أو الانهزام النفسي؛ إذ من غفل عن العواقب الضارة، والآثار المهلكة لأمر ما، وقع في هذا الأمر لا محالة، ومن أجل هذا جاءت طائفة كبيرة من المنهجات والمحظورات مقرونة بعواقبها وآثارها، كي يخاف الناس، ويحذروا، بل ويتجنبوا الوقوع في هذه المنهيات، وتلك المحظورات.

11 - الوقوع في المعاصي والسيئات مع الإصرار وإهمال التوبة

وقد يكون الوقوع في المعاصي والسيئات مع الإصرار وإهمال التوبة من بين الأسباب المؤدية إلى الاحتقار أو الانهزام النفسي ؛ ذلك أن للمعصية مع الإصرار عليها وإهمال التوبة عواقب ضارة في الدنيا والآخرة.

ولعل من أبرز العواقب الدنيوية الابتلاء بالاحتقار أو الانهزام النفسي، وصدق الله إذ يقول :

{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} (الشورى).

{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ} (الحج).

12 - قياس واقع الأعداء اليوم بحاضرنا مع الغفلة عن ماضينا :

وقد يكون قياس واقع الأعداء واقع اليوم بحاضرنا مع الغفلة عن ماضينا من بين الأسباب المؤدية إلى الاحتقار، والانهزام أم النفسي ؛ ذلك أن واقع الأعداء اليوم بالقياس إلى حاضرنا ينطق بأنهم يتربعون على عرش البشرية، ويوجهونها كما يريدون، وأننا لا نعدو أن نكون ذيولا أو أذنابا لهم، ولكن هذا الواقع يتغير، ولا يتجاوز أن يكون صفرا بالإضافة إلى ماضينا المشرق الزاهر الذي يصوره الشاعر بقوله:

ملكنــا هذه الدنيا قــرونا \*\*\* وأخضعـها جـدود خالدونا

وسطرنا صحائف من ضــياء \*\*\* فمــا نسي الزمان ولا نسينا

حملناها سيوفا لامعــــات \*\*\* غــداة الروع تأبى أن تلينا

إذا خرجت من الأغماد يومـا \*\*\* رأيـت الهون والفتـح المبينا

وكـنا حين يرمـينا أنــاس \*\*\* نؤدبهم أبــاة قــادريـنا

وكـنا حـين يأخـذنـا ولي \*\*\* بطغيــان ندوس له الجـبينا

تفـيض قلوبنا بالهـدي بأسـا \*\*\* فما نعـصي عن الظلم الجفونا

بنينا حقبة في الأرض ملكــا \*\*\* يـدعـمه شباب طـامحونا

شباب ذللوا سـبل المعــالي \*\*\* وما عرفوا سوى الإسلام دينا

تعهدهم فأنبتهم نباتا كريـما \*\*\* طـاب في الدنيا غـصـونا

هم وردوا الحياض مباركـات \*\*\* فسـالت عندهم ماء معـينا

إذا شهدوا الوغى كانوا كمـاة \*\*\* يـدكون المعاقل والحصـونا

وإن جـن المسـاء فلا تراهـم \*\*\* من الإشفـاق إلا ساجـدينا

شـباب لم تحطـمـه الليـالي \*\*\* ولم يسلم إلى الخصم العـرينا

ولم تشهـدهم الأقداح يومـا \*\*\* وقد ملأوا نواديهم مـجـونا

عـرفـوا الأغـاني مائعـات \*\*\* ولكـن العلا صنعت لـحونا

وقد دانوا بأعظمهم نـضـالا \*\*\* وعلما، لا بأجـرئهم عيـونا

فيتحدون أخـلاقـا عــذابا \*\*\* ويـأتلفون مجتمـعـا رزينـا

فما عرف الخلاعـة في بنـات \*\*\* ولا عرف التخنث في بنيـنـا

ولم يتشدقوا بقـشـور عـلـم \*\*\* ولم يتقيبوا في الملــحــدينا

ولم يتبـجـحـوا كـل أمـر \*\*\* خطير، كي يقال مثقـفـونـا

كـذلك أخـرج الإســلام \*\*\* قومي شبابا مخلصا حـرا أمينا

وعلمه الكـرامة كيـف تبنى \*\*\* فيأبى أن يقـيـد أو يهـونا ([[366]](#footnote-367))

رابعا: آثارا لاحتقار أو الانهزام النفسي:

وللاحتقار أو الانهزام النفسي آثار ضارة وعواقب مهلكة، سواء على العاملين، أو على العمل الإسلامي:

أ - على العاملين :

أما على العاملين فكثيرة، وأهمها:

1 - مداهنة بل الارتماء في أحضان الظالمين:

ذلك أن من ابتلى بالاحتقار أو الانهزام النفسي يتصور أن الظالمين والجبارين بمقدورهم أن يعملوا له شيئا، فيداهنهم بل ويرتمي في أحضانهم، على نحو ما نشهده في عالم المسلمين اليوم من مداهنة وانحناء قيادات، وتمريغها لوجهها وأنفها في التراب لا لشيء إلا الخوف والرجاء من هؤلاء الظالمين المتجبرين، وأولئك في حقيقة الحال لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، فضلا عن أن يملكوا ذلك لغيرهم من الخلق.

2 - الغزو في النفس، وفى الحرمات:

ذلك أن الاحتقار أو الانهزام النفسي يفتح الطريق أمام الماكرين والمتربصين لغزو هؤلاء المحتقرين أو المنهزمين نفسيا، في أنفسهم وفي حرماتهم، ومقدساتهم من دين، ونسل، وعرض، ومال، وأوطان، على نحو ما يصنعه أعداؤنا بنا اليوم في فلسطين، وفي غيرها من كل بقاع العالم، وإذا غزى الإنسان في نفسه، وفي حرماته فماذا بقي له، وما قيمة الحياة بعد ذلك؟

3 - زيادة الرصيد من الإثم:

وذلك أنه باحتقاره أو انهزامه نفسيا قد فتح الباب أمام كثيرين ممن لديهم استعداد للوقوع في مثل هذه الآفة كي يحاكوه، ويصنعوا مثله لا سيما إذا كان هو في موقع الأسوة والقدوة ويتحمل هو إثم هؤلاء جميعا انطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم: "... ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا" . ([[367]](#footnote-368))

4 - الخسران المبين في الآخرة ما بقى الإصرار ولم تكن توبة:

إذ هو بتضييعه لنفسه ولغيره، قد حمل وزرا وإثما عظيما ويلقي ربه بهذا كله، ولا إقلاع ولا توبة فتكون النار والعياذ بالله، وهذا هو الخسران المبين حقا، إلا أن تتداركه رحمة الله، قال تعالى :

{قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنْ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَل} (الزمر).

ب - على العمل الإسلامي:

وأما على العمل الإسلامي فكثيرة أيضا، وأهمها:

1 - قلة كسب الأنصار والمؤيدين:

ذلك أن الناس يتأثرون ويقتدون بالأقوياء الواثقين من أنفسهم وبربهم ومناهجهم، أما المحتقرون أو المنهزمون نفسيا فإن الناس لا يأبهون بهم، ولا يستجيبون لهم، وبذلك يقل حجم الأنصار والمؤيدين.

2 - الفرقة والتمزق:

إذ وجود الاحتقار أو الانهزام النفسي في داخل الصف يحدث انقساما في هذا الصف ما بين مزيد نصير وظهير، وما بين معارض منكر وبعيد، الأمر الذي يفتح الباب أمام المتربصين من أعداء الله للولوج، والإطباق والتطويق.

3 - كثرة التكاليف وطول الطريق:

وهذا شيء بدهي ونتيجة حتمية طبيعية لقلة كسب الأنصار والمؤيدين، ولشيوع الفرقة والتمزق .

خامسا: علاج الاحتقار أو الانهزام النفسي:

وفي ضوء ما قدمنا من أسباب وبواعث للاحتقار أو الانهزام النفسي، يمكن وصف العلاج بل الوقاية، وذلك على هذا النحو:

1 - شغل أوقات الفراغ، والقضاء على البطالة بكل ما هو نافع ومفيد، وميادين الحياة باتساعها وتنوعها تجعل لكل واحد في الناس وظيفة وعملا، ومن لا يصلح لهذا العمل يصلح لذاك، وهكذا كانت سيرته مع أصحابه، لا يدعهم في بطالة أو فارغين من العمل، ويحرص أن يكون كل واحد في العمل الذي يتناسب مع جهده، وطاقاته، وإمكاناته، وبهذا حماهم من الاحتقار أو الانهزام النفسي.

2 - تجنب انتقاص الآخرين، وتحقيرهم ما أمكن، كي نغلق الباب بذلك في وجه من يسولون أو يزينون للمرء الاحتقار أو الانهزام النفسي.

3 - الانسلاخ من الوسط المعروف بالاحتقار والانهزام النفسي، ثم الارتماء بين الوسط المعروف بالقوة، والشجاعة، والثقة بالله، وبمنهجه، وبرسوله، وبالنفس، فإن ذلك من شأنه، أن يعين على التخلص، بل الوقاية من الاحتقار أو الانهزام النفسي.

4 - العمل بكل وسيلة ممكنة على إخراج حب الدنيا من القلوب ولا بأس أن تصير هذه الدنيا في اليد، ما دامت من حلال، وما دامت بعزة نفس، وبغير تكالب، وما دام تعاطيها وسطا بين الإسراف والتقتير، ولا يضيع حق الله فيها، فإن المرء إذا نجح مع نفسه في هذا الباب، سهل عليه التخلص بل الوقاية من الاحتقار أو الانهزام النفسي.

5 - مواجهة من يعملون على إضعافنا والنيل منا، بالعمل الدؤوب مع الإتقان والجد تجنبا للفشل والإخفاق من ناحية، ومقابلة للوسيلة العملية المتقنة عند هؤلاء بمثلها من ناحية أخرى.

6 - منح الناس حقهم في التعبير عن آرائهم، وعما بداخلهم، وتقديم ذلك على الطعام، والشراب، واللباس، والسكن، فإن هذا من شأنه أن يقضي على الاحتقار أو الانهزام النفسي، وربما أسهم في غرس الثقة في النفوس من جديد، وما ذلك على الله بعزيز.

7 - التعرف عن قرب على الله، وعلى رسوله، وعلى منهجه، بدوام النظر في آيات الله المنظورة، والمسطورة، فإن هذا من شأنه أن يزرع الثقة في النفوس، بعد أن يخلصها من الاحتقار أو الانهزام النفسي.

8 - استشعار نعمة الله في الكون، وفي النفس الظاهر منها والباطن، الدقيق منها والجليل، والقرآن الكريم يقودنا عمليا إلى ما ينبغي أن نستشعره ونبصره من هذه النعم، بل يقودنا إلى الثمرة المرجوة من وراء ذلك، وهي معرفة الله، والثقة به، وبمنهجه، والنزول على حكم هذا المنهج في كل شيء عن طواعية ورضا.

9- الاحتراز من المعاصي والسيئات صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، مع الحرص على الإنابة، والتوبة عند اقتراف شيء منها، فإن هذا من شأنه أن يطهر النفس، ويزكيها، ويمنحها الثقة والقوة.

10 - دوام النظر في قصص النبيين، وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم واتباعهم من الدعاة والمجاهدين، وحسبنا قصة موسى عليه السلام حين خرج من مصر ومعه قومه من بني إسرائيل وتبعهم فرعون وقومه وبوغتوا بالبحر، وأصبحوا محصورين بين البحر، وبين العدو، حتى قال قائلهم : إنا لمدركون، ولكن موسى بقي قويا ثابتا بتثبيت الله له، معلنا أن الله لن يتركه، ولن يتخلى عنه لحظة واحدة، وصدق الله ما أعلنه حين قال :

{فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ} (الشعراء).

وبقيت محلا للعظة والعبرة إلى يومنا هذا وحتى قيام الساعة، {إن في ذلك لآية} (الشعراء).

وحسبنا أيضا موقفه صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة حين قال الصديق: يا نبي الله، لو نظر أحدهم إلى موضع قدمه لرآنا. فرد عليه قائلا: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا، وصدق الله ذلك في قوله: {إِلا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (التوبة).

وموقفه كذلك من سراقة بن مالك يوم الهجرة حين قال له: "هل لك أن تكتم عني، وأعدك سواري كسرى وقيصر؟".

وقديما لما قدم ربعي بن عامر في بساطته - لباسا ومركبا - على الفرس يريد الدخول على رستم، حين طلب رجلا يعرف منه ماذا يريد المسلمون، دخل في سلاحه يدوس بفرسه البسط إلى أن انتهى إلى آخرها ونزل عنها وربطها بوسادتين، وأراد الدخول على رستم، فقالوا له: ضع سلاحك، فقال - في عزة وإباء -: إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتموني، فإن أبيتم أن آتيكم إلا كما أريد، وإلا رجعت، فأخبروا رستم، فقال : ائذنوا له، هل هو إلا رجل واحد؟ فأقبل يتوكأ على رمحه حتى خرق النمارق والبسط، فلما دنا من رستم تعلق به الحرس، وجلس على الأرض، وركز رمحه بالبسط، فقالوا: ما حملك على هذا؟ قال: إنا لا نستحب القعود على زينتكم هذه، فكلمه، فقال: ما جاء بكم؟ قال: الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه، لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه، ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدا، حتى نفضي إلى موعود الله، قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقى، فقال رستم: لقد سمعت مقالتكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه، وتنظروا؟ قال: نعم، كم أحب إليكم؟ يوما، أو يومين، قال: لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا، ورؤساء قومنا، فقال: ما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك، وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل.

فقال رستم: أسيدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم، فاجتمع رستم برؤساء قومه، فقال : هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا، وتدع دينك إلى هذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه؟ فقال: ويلكم، لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي، والكلام، والسيرة، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل، ويصونون الأحساب . ([[368]](#footnote-369))

وما كان ربعي بن عامر فريدا في هذه العزة والقوة النفسية، بل كان كل الصحابة هكذا، وتوارثها المسلمون كابرا عن كابر، حتى كانت عصور الضعف والانحطاط، فتغيرت الصورة، وتبدل الموقف، وجاءت الحركة الإسلامية، وإذا العزة تبعث من جديد، وإذ القوة النفسية هي الأصل والأساس في الانتماء لهذه الحركة.

جاء في مذكرات الدعوة والداعية قول واضعها، ومشيد أركانها: تحت عنوان: "نماذج من تصرفات الرعيل الأول":

"كان هؤلاء الإخوة مثلا رائعا، ونماذج طيبة من التمسك بأحكام الإسلام" الحنيف في كل تصرفاتهم، والتأثر بأخلاقه، ومشاعره فيما يصدر عنهم. من قول أو عمل، سواء أكان ذلك مع أنفسهم، أم مع غيرهم من الناس استدعى المسيو سولنت باشمهندس القنال - يعنى قناة السويس بمصر - ورئيس قسم السكسيكون: الأخ حافظ عبد الحميد-أحد الستة الأول الذين كانوا نواة الحركة الإسلامية في مصر - في ذي القعدة (1347 ه مارس 1928 م) ليصلح له بعض أدوات النجارة في منزله، وسأله عما يطلب من أجر، فقال: 130 قرشا (بالعملة المصرية)، فقال المسيو سولنت - بالعربي: أنت حرامي، فتمالك الأخ نفسه، وقال له بكل هدوء: ولماذا؟ فقال: لأنك تأخذ أكثر من حقك، فقال له: لن آخذ منك شيئا، ومع ذلك، فإنك تستطيع أن تسأل أحد المهندسين من مرؤوسيك، فإن رأى أنني طلبت منك أكثر من القدر المناسب فإن عقوبتي أن أقوم بالعمل مجانا، وإن رأى أنني طلبت ما يصح أن أطلب فأسامحك في الزيادة.

واستدعى الرجل فعلا مهندسا، وسأله، فقدر أن العمل يستوجب 205 قرش، فعرفه المسيو سولنت، وأمر الأخ حافظ أن يبتدئ العمل، فقال له: سأفعل، ولكنك أهنتني، فعليك أن تعتذر، وأن تسحب كلمتك، فاستشاط الرجل غضبا، وغلبه الطابع الفرنسي الجاد، وأخذته العزة بالإثم، وقال: تريد أن أعتذر لك، ومن أنت؟ لو كان الملك فؤاد نفسه - يقصد حاكم مصر آنذاك - ما اعتذرت له، فقال حافظ على هدوء أيضا: وهذه غلطة أخرى يا مسيو سولنت، فأنت في بلد الملك فؤاد، وكان أدب الضيافة وعرفان الجميل يفرضان عليك ألا تقول مثل هذا الكلام، وأنا لا أسمح لك أن تذكر اسمه إلا بكل أدب واحترام.

فتركه، وأخذ يتمشى في البهو الفسيح، ويداه في جيب بنطلونه، ووضع حافظ عدته، وجلس على كرسي، واتكأ على منضدة، وسادت فترة هدوء لا يتخللها إلا وقع أقدام المسيو الثائر الحائر، وبعد قليل، تقدم من حافظ، وقال له: افرض أنني لم أعتذر إليك فماذا تفعل؟ فقال: الأمر هين، سأكتب تقريرا إلى قنصلكم هنا، وإلى سفارتكم أولا، ثم إلى مجلس إدارة قناة السويس بباريس، ثم الجرائد الفرنسية المحلية والأجنبية، ثم أتراقب كل قادم من أعضاء هذا المجلس، فأشكوك إليه، فإذا لم أصل إلى حقي بعد ذلك، استطعت أن أهينك في الشارع، وعلى ملأ من الناس، وأكون بذلك قد وصلت إلى ما أريد، ولا تنتظر أن أشكوك إلى الحكومة المصرية التي قيدتموها بسلاسل الامتيازات الأجنبية الظالمة، ولكني لن أهدأ حتى أصل إلى حقي بأي طريق.

فقال الرجل: يظهر أنني أتكلم مع " أفوكاتو- أي محام - لا نجار".

ألا تعلم أنني كبير المهندسين في قناة السويس، فكيف تتصور أن أعتذر لك؟ فقال حافظ: وألا تعلم أن قناة السويس في وطني، لا في وطنك، وأن مدة استيلائكم عليها مؤقتة، وستنتهي، ثم تعود إلينا، فتكون أنت وأمثالك موظفين عندنا، فكيف تتصور أن أدع حقي لك؟ وانصرف الرجل إلى مشيته الأولى. وبعد فترة عاد مرة ثانية، وعلى وجهه أمارات الثائر، وطرق المنضدة بيده في عنف مرات، وهو يقول: أعتذر يا حافظ سحبت كلمتي، فقام الأخ حافظ بكل هدوء، وقال: متشكر يا مسيو سولنت، وزاول عمله حتى أتمه.

وبعد الانتهاء أعطاه المسيو سولنت 150 قرشا، فأخذ منها 135 قرشا ورد له العشرين، فقال له: خذها بقشيشا- أي إكراما- فقال: لا، لا، حتى لا آخذ أكثر من حقي، فأكون "حرامي"، فدهش الرجل، وقال: إني مستغرب لماذا لا يكون الصناع أولاد العرب مثلك؟ أنت: "فاميلي محمد".

فقال حافظ: يا مسيو سولنت، كل المسلمين "فاميلي محمد" ولكن الكثير منهم عاشروا الخواجات، وقلدوهم ففسدت أخلاقهم، فلم يرد الرجل بأكثر من أن مد يده مصافحا، قائلا: متشكر، متشكر، كتر خيرك، وفيها الإذن بالانصراف) . ([[369]](#footnote-370))

وقال تحت عنوان: "الدعوة في جباسات البلاح": "اتصل بعض عمال الجباسات الفضلاء بالإخوان بالإسماعيلية، فنقلوا عنه الفكرة إلى إخوانهم، ودعيت إلى زيارة الجباسات، وهناك بايعت الإخوان على الدعوة، فكانت هذه البيعة نواة الفكر في هذا المكان النافي.

وبعد قليل طلب العمال إلى الشركة أن تبني لهم مسجدا، إذ كان عددهم أكثر من ثلاثمائة عامل، وفعلا استجابت الشركة لمطلبهم، وبنى المسجد وطلبت الشركة من الجماعة بالإسماعيلية انتداب أخ من العلماء يقوم بالأمانة والتدريس.

فانتدب لهذه المهمة فضيلة الأخ المفضال الأستاذ محمد فرغلي - المدرس بمعهد حراء آنذاك (أحد الذين أعدتهم ثورة يوليو المباركة في مصر عام 1954 م بعد حادثة المنشية الملفقة).

وصل الأستاذ فرغلي إلى البلاح، و تسلم المسجد، وأعد له سكنا خاص بجواره، ووصل روحه القوي المؤثر بأرواح هؤلاء العمال الطيبين، فلم تمض عدة أسابيع وجيزة حتى ارتفع مستواهم الفكري، والنفساني، والاجتماعي ارتفاعا عجيبا.

لقد أدركوا قيمة أنفسهم، وعرفوا سمو وظيفتهم في الحياة، وقدروا فضل إنسانيتهم، فنزع من قلوبهمالخوف، والذل، والضعف، والوهن، واعتزوا بالإيمان بالله، وبإدراك وظيفتهم الإنسانية في هذه الحياة، خلافة الله في أرضه "فجدوا في عملهم اقتداء بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه".

ثم عفوا عما ليس لهم، فلم تأسرهم المطامع التافهة، ولم تقيدهم الشهوات الحقيرة، وصار أحدهم يقف أمام رئيسه عالي الرأس في أدب، شامخ الأنف في وقار، يحدثه في حجة ومنطق، لا يقول ولا يقبل منه كلمة نابية، أو لفظة جافية، أو مظهرا من مظاهر التحقير، والاستصغار، كما كان شأنهم من قبل. وتجمعوا على الأخوة، واتحدوا على الحب، والجد والأمانة، ويظهر أن هذه السياسة لم تعجب الرؤساء، وقرروا أنه إذا استمر الحال على ذلك ستكون السلطة كلها لهذا الشيخ، ولن يستطيع أحد بعد ذلك أن يكبح جماحه، وجماح العمال.

ظن الرؤساء هذا في الشركة، وفكروا في إقصاء هذا الشيخ القوي الشكيمة عن العمل، وأرسل إليه الرئيس المباشر، فلما توجه إليه قال له: إن المدير أخبرني بأن الشركة قد استغنت عن خدماتك، وأنها تفكر في انتداب أحد العمال للقيام بعملكم في المسجد، وهذا حسابكم إلى اليوم حسب أمر المدير.

فكان جواب الشيخ له بكل هدوء: ما كنت أظن يا مسيو فرانسوا أنني موظف بشركة جباسات البلاح، ولو كنت أعلم هذا ما قبلت العمل معها، ولكني أعلم أنني موظف من قبل الإخوان المسلمين بالإسماعيلية، وأتقاضى مرتبي منهم محولا عليكم، وأنا متعاقد معهم لا معكم على هذا الوضع، وأنا لا أقبل منك مرتبا، ولا حسابا، ولا أترك عملي في المسجد، ولا بالقوة، إلا إذا أمرني بذلك رئيس الجمعية التي انتدبتني هنا، وهو أمامكم في الإسماعيلية، فاتفقوا معه كما تريدون، واستأذن، وانصرف، وسقط في يد إدارة الشركة، وصبرت أياما، لعل الشيخ يطلب منها مرتبه، ولكنه كان قد اتصل بي في الإسماعيلية، فأوصيته بالتمسك بموقفه، وألا يدع مكانه بحال، وحجته معقوله، ولا شيء لهم عنده .

لجأت الشركة إلى الإدارة، واتصل مديرها المسيو مانيو بمحافظ القنال الذي اتصل بدوره بالمأمور بالإسماعيلية، وأوصاه أن يقوم على رأس قوة لعلاج الموقف، وحضر المأمور بقوته، وجلس في مكتب المدير. وأرسل في طلب الشيخ الذي اعتصم بالمسجد، وأجاب الرسول: لا حاجة لي عند المأمور، ولا عند المدير، وعملي بالمسجد، فإذا كان لأحدهما حاجة فليحضر لي، وعلى هذا فقد حضر المأمور إلى الشيخ، وأخذ يطلب إليه أن يستجيب لمطالب المدير، ويترك العمل ويعود إلى الإسماعيلية.

فأجاب بمثل ما تقدم، وقال له: تستطيع أن تأتيني من الإسماعيلية بكلمة واحدة في خطاب، فأنصرف، ولكنك إذا أردت استخدام القوة، فلك أن تفعل ما تشاء، ولكني لن أخرج من هنا إلا جثة لاحراك بها، ووصل النبأ إلى العمال، فتركوا العمل في لحظة واحدة، وأقبلوا متجمهرين صاخبين، وخشى المأمور العاقبة، فترك الموقف، وعاد إلى الإسماعيلية، واتصل بي للتفاهم على الحل.

ولكني اعتذرت له بأنني مضطر إلى التفكير في الأمر، وعقد مجلس إدارة الجمعية للنظر، ثم أجيبه بعد ذلك، وفي هذه الأثناء يؤسفني أن أقول: إنني حضرت إلى القاهرة لمقابلة العضو المصري الوحيد في مجلس إدارة الشركة، فوجدت منه كل إعراض عن مصالح العمال، وكل انحياز إلى آراء الشركة ومديرها، وكل تجرد من أي عاطفة فيها معني الغيرة الوطنية، قابلت بعد ذلك مدير الشركة، وسألته عما ينقمه من فضيلة الشيخ، فلم أجد عنده إلا أنهم يريدون شخصا يستسلم لمطالبهم، وكان من كلامه: إنني صديق لكثير من زعماء المسلمين، ولقد قضيت في الجزائر عشرين سنة، ولكني لم أجد منهم أحدا كهذا الشيخ الذي ينفذ علينا أحكاما عسكرية، كأنه جنرال تماما، فناقشته في هذا الكلام وأفهمته أنه مخطئ وأن الشركات تقسوا على العمال، وتنقص من حقوقهم وتستصغر إنسانيتهم، وتبخل عليهم، وتقتر في أجورهم، في الوقت الذي يتضاعف ربحها، ويتكدس، وأن من الواجب علاج هذه الحال بعلاج نظم هذه الشركات، ووجوب قناعتها باليسير من الربح.

واتفقنا أخيرا على أن يبقى الأستاذ الشيخ فرغلي شهرين حيث هو، وأن تقوم الشركة بتكريمه عند انتهاء هذه المدة، وأن تطلب رسميا من الإخوان من يحل محله من المشايخ، وأن تضاعف للشيخ الجديد راتبه، وتعنى بسكنه، ومطالبه وفي نهاية المدة عاد فضيلة الشيخ فرغلي وتسلم مكانه فضيلة الأستاذ الشيخ شافعي أحمد، واستمرت الدعوة تشق طريقها في هذه الصحراء باسم الله مجريها، ومرساها . ([[370]](#footnote-371))

إن مثل هذا القصص يولد في النفس معنى الاقتداء والتأسي أو على الأقل المحاكاة والتشبه وبمرور الزمن يمكن القضاء على الاحتقار أو الانهزام النفسي.

11 - النظر بإمعان ودقة في العواقب المترتبة على الاحتقار أو الانهزام النفسي، الدنيوية والأخروية، الفردية والجماعية، على النحو الذي أسلفنا، فربما كان لذلك دور كبير في القضاء على الاحتقار أو الانهزام النفسي.

12 - قيام ولي الأمر بواجبه من رعاية نفسه أولا، وتربيتها على الإسلام الصحيح الذي يمنح العزة، والكرامة، والثقة بالنفس، ثم فتح المجالات وحمايتها، ورعايتها لتربية الأمة جميعا على هذا الإسلام، فيسهم بذلك في اقتلاع جذور الاحتقار أو الانهزام من داخل النفس، ويغرس مكانها الشجاعة، والقوة والعزة النفسية.

13 - عدم الانبهار بحاضر الأعداء في مدنيتهم المادية التي يعيشونها الآن، وعدم تقليدهم كذلك فيما هم عليه من تأخر وانحطاط خلقي، مع اليقين أن هذا الحاضر إلى زوال لأنه مبني على غير أساس صحيح، وما كان كذلك لا يدوم طويلا، وأن الخير للمسلم أن يعيش حاضره المتميز على أساس من كتاب الله، ومن سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومن ماضيه المشرق الزاهر، ومن العمل الصادق الدؤوب بالليل والنهار حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا، فإن لذلك دورا كبيرا فن القضاء على الاحتقار أو الانهزام النفسي من جديد على معنى القوة والعزة الإسلامية.

14 - وأخيرا، الاستعانة بالله، ودوام الضراعة إليه أن يخلصه ويخلص كل مسلم من آفة الاحتقار أو الانهزام النفسي، وهو سبحانه يعين من يصدق في الاستعانة به، واللجوء إليه، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان كثيرا ما يدعوا بهذا الدعاء في الصباح والمساء:

"اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم...".

وفي رواية ثانية: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال".

وفي رواية ثالثة: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال" . ([[371]](#footnote-372))

1. أخرجه الترمذى [↑](#footnote-ref-2)
2. أورده المنذرى في الترغيب و الترهيب [↑](#footnote-ref-3)
3. أورده علاء الدين في : كنز العمال [↑](#footnote-ref-4)
4. أورده الغزالي في إحياء علوم الدين [↑](#footnote-ref-5)
5. أخرجه الترمذى [↑](#footnote-ref-6)
6. أخرجه البخاري [↑](#footnote-ref-7)
7. أخرجه أحمد [↑](#footnote-ref-8)
8. أخرجه مسلم [↑](#footnote-ref-9)
9. أخرجه الترمذى [↑](#footnote-ref-10)
10. أخرجه ابن ماجه [↑](#footnote-ref-11)
11. متفق عليه [↑](#footnote-ref-12)
12. متفق عليه [↑](#footnote-ref-13)
13. أخرجه البخاري [↑](#footnote-ref-14)
14. أخرجه البخاري [↑](#footnote-ref-15)
15. أخرجه أبو داود [↑](#footnote-ref-16)
16. أخرجه أحمد [↑](#footnote-ref-17)
17. أخرجه أبو داود [↑](#footnote-ref-18)
18. أورده الهيثمى في مجمع الزوائد 10/157 من حديث أنس ، وعقب عليه بقوله :( رواه الطبرانى في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن محمد أبو عبد الرحمن الأذرمى ، وهو ثقة ) [↑](#footnote-ref-19)
19. أخرجه الترمذى [↑](#footnote-ref-20)
20. أخرجه البخاري [↑](#footnote-ref-21)
21. أخرجه أحمد [↑](#footnote-ref-22)
22. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير [↑](#footnote-ref-23)
23. أخرجه مسلم [↑](#footnote-ref-24)
24. أخرجه مسلم [↑](#footnote-ref-25)
25. أخرجه أحمد [↑](#footnote-ref-26)
26. أخرجه الترمذى [↑](#footnote-ref-27)
27. أخرجه البخاري [↑](#footnote-ref-28)
28. الموافقات للشاطبى [↑](#footnote-ref-29)
29. أخرجه ابن ماجه [↑](#footnote-ref-30)
30. متفق عليه [↑](#footnote-ref-31)
31. متفق عليه [↑](#footnote-ref-32)
32. أخرجه مسلم [↑](#footnote-ref-33)
33. التخويف بالنار لابن رجب [↑](#footnote-ref-34)
34. انظر القاموس المحيط 3/156 ، المعجم الوسيط 1/427 ، الصحاح في اللغة و العلوم ص 474 مادة ( سرف ) [↑](#footnote-ref-35)
35. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، ، كتاب النكاح باب الأكفاء في الدين 7/9 [↑](#footnote-ref-36)
36. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الرقائق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا و التنافس فيها 8/12 ، ومسلم في الصحيح ، كتاب الزهد و الرقائق 4/2273-2274 رقم 2961 كلاهما من حديث عمرو بن عوف عنه - صلى الله عليه وسلم - به واللفظ لمسلم [↑](#footnote-ref-37)
37. الحديث أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الذكر و الدعاء و التوبة والاستغفار باب أكثر أهل الجنة الفقراء 4/2098 رقم 2742 من حديث أبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم - به [↑](#footnote-ref-38)
38. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الأحكام باب قول الله تعالى { وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم } 9/77 ، ومسلم في الصحيح ، كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل 3/1459 رقم 1829 كلاهما من حديث عبد الله بن عمر - رضى الله تعالى عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم - به واللفظ للبخاري . [↑](#footnote-ref-39)
39. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الرقائق باب قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم 8/127 من حديث أبى هريرة وأنس عنه صلى الله عليه وسلم - به و الترمذى في السنن كتاب الزهد باب ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم 6/603 رقم 2415 بهامش تحفة الأحوذى من حديث أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم وعقب عليه بقوله " هذا حديث صحيح " [↑](#footnote-ref-40)
40. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح : كتاب الرقائق باب كيف كان يعيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه 8/121 ، ومسلم في الصحيح : كتاب الزهد و الرقائق 4/2281 رقم 2970 كلاهما من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها - به . [↑](#footnote-ref-41)
41. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح : كتاب الرقائق باب كيف كان يعيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه 8/122 ، ومسلم في الصحيح : كتاب الزهد و الرقائق 4/2281 رقم 1055 من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها - به . [↑](#footnote-ref-42)
42. الأثر أورده الكاندهلوى في حياة الصحابة 2/284 -285 قائلاً :0 وأخرج عبد الرزاق ، وأحمد في الزهد و العسكري في المواعظ ، وابن عساكر عن الحسن قال : دخل عمر على ابنه .... وساقه بتمامه [↑](#footnote-ref-43)
43. الأثر أورده الكاندهلوى في حياة الصحابة 2/287 قائلاً :( وعند الدينورى عن الحسن أن سلمان الفارسي أبا بكر الصديق - رضى الله تعالى عنهما - في مرضه الذي مات فيه فقال : أوصيني ... ) وساقه بتمامه . [↑](#footnote-ref-44)
44. الأثر أورده الكاندهلوى في حياة الصحابة 2/286 قائلاً : وأخرج ابن أبى الدنيا و الدينورى عن سفيان ابن عيينة قال وكتب سعد بن أبى وقاص إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - وهو على الكوفة يستأذنه في بناء بيت يسكنه ... وساقه بتمامه [↑](#footnote-ref-45)
45. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام 4/244 وكتاب مناقب الأنصار باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة 5/56-57 وكتاب الإكراه باب من اختار الضرب و القتل و الهوان على الكفر 9/25-26 من حديث قيس عن خباب به [↑](#footnote-ref-46)
46. الحديث أخرجه مسلم في الصحيح :كتاب الإيمان ، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ... 1/69 رقم 78، 79 من حديث أبى سعيد الخدرى - رضى الله تعالى عنه - به ، وأبو داود في السنن : كتاب الصلاة ، باب خطبة يوم العيد 1/296 - 297 رقم 1140 من حديث أبى سعيد أيضاً به غير أنه قال :( من رأي منكم منكراً فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده ) [↑](#footnote-ref-47)
47. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الحج : باب فضل مكة وبنيانها 2/179 من حديث عائشة - رضى الله تعالى عنها - به ،وأخرجه مسلم في الصحيح كتاب الحج : باب نقض الكعبة وبنائها 2/969 رقم 399 من حديث عائشة أيضاً به [↑](#footnote-ref-48)
48. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سترون بعدي أثرة وأمور تنكرونها 9/59 من حديث عبد الله بن عباس - رضى الله تعالى عنهما - به ، ومسلم في الصحيح كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن 3/1477 رقم 55 من حديث ابن عباس أيضاً به إلا أنه قال :( فمات ميتة جاهلية ) [↑](#footnote-ref-49)
49. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سترون بعدي أثرة وأمور تنكرونها 9/59 -60 من حديث عبادة بن الصامت - رضى الله تعالى عنه - به ، ومسلم في الصحيح كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية من حديث عبادة بن الصامت أيضاً به [↑](#footnote-ref-50)
50. انظر فتح الباري لابن حجر 13/8 [↑](#footnote-ref-51)
51. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الأحكام باب من استرعى رعيه فلم ينصح 9/80 من حديث معقل بن يسار بنحوه ، ومسلم في الصحيح : كتاب الإمارة باب فضل الإمام العادل 3/1460 من حديث معقل بن يسار أيضاً به. [↑](#footnote-ref-52)
52. الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب من أحق بالإمامة 1/465 رقم 290 من حديث أبى مسعود الأنصاري - رضى الله تعالى عنه - به [↑](#footnote-ref-53)
53. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الأدب : باب : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين 8/38 من حديث أبى هريرة به ، ومسلم في الصحيح : كتاب الزهد باب : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين 4/2295 رقم 63 من حديث أبى هريرة أيضاً . [↑](#footnote-ref-54)
54. انظر لسان العرب لابن منظور 11/440 مادة " عزل " [↑](#footnote-ref-55)
55. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح : كتاب الإيمان :باب من الدين الفرار من الفتن 1/11 وكتاب الفتن : باب التعرب في الفتنة 9/66 من حديث أبى سعيد الخدرى - رضى الله تعالى عنه - مرفوعاً به . [↑](#footnote-ref-56)
56. الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الإمارة باب فضل الجهاد و الرباط 3/1503 من حديث محمد بن الوليد الزبيدى ، ومعمر ، كلاهما عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثى ، عن أبى سعيد الخدرى مرفوعاً به وبنحوه . [↑](#footnote-ref-57)
57. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح : كتاب الفتن : باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة 9/65 ومسلم في الصحيح : كتاب الإمارة : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن 3/1475-1476 ، كلاهما من حديث حذيفة بن اليمان - رضى الله تعالى عنه - مرفوعا به واللفظ للبخاري ، بيد أنه ورد مختصراً هنا ومطولاً هناك . [↑](#footnote-ref-58)
58. الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الإمارة باب فضل الجهاد و الرباط 3/1503-1504 رقم 1889 من حديث أبى هريرة مرفوعاً به [↑](#footnote-ref-59)
59. الحديث أخرجه الترمذى في السنن 9/10 بهامش عارضة الأحوذى من حديث ابن عمر - رضى الله تعالى عنهما - مرفوعاً به ، وعقب عليه بقوله :( حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ) [↑](#footnote-ref-60)
60. الحديث أخرجه أحمد في المسند 4/202 مرفوعاً به . [↑](#footnote-ref-61)
61. الحديث أخرجه أبو داود في السنن : كتاب الأدب ، باب النصيحة 4/286 رقم 4944 من حديث تميم الدارى مرفوعاً نحوه . [↑](#footnote-ref-62)
62. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الشركة : باب هل يقرع في القسمة ، وكتاب الشهادات باب القرعة في المشكلات 3/182 ، 237 من حديث كريا والأعمش كلاهما عن الشعبي عن النعمان بن بشير مرفوعاً به وبنحوه . [↑](#footnote-ref-63)
63. الأثر أورده ابن قدامة في مختصر منهاج القاصدين الفصل الثالث : علامات مرض القلب ص 171 [↑](#footnote-ref-64)
64. الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد : باب المسلم مرآة أخيه ص 107 رقم 238 من حديث أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - ومرفوعاً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بلفظ :( المؤمن مرآة أخيه و المؤمن أخو المؤمن يكف عن ضيعته ويحوطه من ورائه ) وهو عند أبى داود في السنن كتاب الأدب : باب في النصيحة و الحياطة 4/280 باللفظ المرفوع ، إلا أن فيه:( المؤمن مرآة المؤمن ) بدل المؤمن مرآة أخيه . [↑](#footnote-ref-65)
65. الحديث صحيح وانظر في تخريجه سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني المجلد الأول 431 . [↑](#footnote-ref-66)
66. أخرجه البخاري [↑](#footnote-ref-67)
67. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الفتن باب إذا أنزل الله بقوم عذاباً 9/71 من حديث عبد الله بن عمر - رضى الله تعالى عنهما - مرفوعا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم . [↑](#footnote-ref-68)
68. انظر مختصر منهاج القاصدين ص 247 - 248 بتصرف . [↑](#footnote-ref-69)
69. الآداب الشرعية المتعلقة بالإطراء و المدح كما استنبطها العلماء من الكتاب و السنة ثلاثة :الأول : ألا يكون في المدح إفراط أو مجاوزة للحد ، الثاني : أن يكون بالحق لا بالباطل ، الثالث : وألا يكون مع من يخشى عليه الفتنة من إعجاب وغيره فإذا توافرت هذه الآداب جاز المدح ، بل قد يصير مستحباً إذا كانت من ورائه مصلحة أو منفعة كالتنشيط لفعل الخير ، أو الزيادة منه أو الاستمرار عليه ، أو الإقتداء و التأسي ونحو ذلك ، انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي ، كتاب الزهد والرقائق باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح 18/126 بتصرف . [↑](#footnote-ref-70)
70. الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الزهد والرقائق باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح4/2297 رقم 3002 من حديث المقداد بن الأسود مرفوعاً به . [↑](#footnote-ref-71)
71. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الأدب باب ما يكره من التمادح 8/22 ، ومسلم في الصحيح : كتاب الزهد والرقائق باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح4/2296 رقم 3000 كلاهما من حديث خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه مرفوعاً واللفظ لمسلم . [↑](#footnote-ref-72)
72. المناجاة أو الدعاء جاء فيه حديث أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الأدب باب ما يقول إذا اصبح 4/318 رقم 5073 من حديث عبد الله بن غنام البياضى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :( من قال حين يصبح : اللهم ما اصبح بي من نعمة فمن وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته ) ، وإذ يقول بشر بن جحاش القرشي ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوماً في كفه فوضع عليها إصبعه ثم قال : قال الله تعالى : ( يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين ، وللأرض منك وئيد فجمعت أو منعت ، حتى إذا بلغت التراقى قلت : أتصدق وأنى أوان الصدقة ) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند . [↑](#footnote-ref-73)
73. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب العلم باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين 1/27-28 وكتاب فرض الخمس : باب قول الله تعالى فأن لله خمسه 4/103 وكتاب الاعتصام بالكتاب و السنة باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم ( لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق 9/125 ومسلم في الصحيح كتاب الإمارة : باب قوله صلى الله عليه وسلم :( لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق 3/1524 رقم 175 وكتاب الزكاة ، باب النهي عن المسألة 2/718 رقم 1037 كلاهما من حديث معاوية بن أبى سفيان - رضى الله تعالى عنهما - مرفوعاً به [↑](#footnote-ref-74)
74. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب التفسير : سورة الشعراء 6/140 ، ومسلم في الصحيح : كتاب الإيمان : باب في قوله تعالى { وأنذر عشيرتك الأقربين } 1/192-193 كلاهما من حديث أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه -مرفوعاً ،واللفظ لمسلم [↑](#footnote-ref-75)
75. الحديث أخرجه أبو داود في السنن كتاب الأدب : باب في قيام الرجل للرجل 4/358 رقم 5229 من حديث معاوية مرفوعا به [↑](#footnote-ref-76)
76. الحديث أخرجه أبو داود في السنن كتاب الأدب : باب في قيام الرجل للرجل 4/358 رقم 5230 من حديث أبى أمامة مرفوعا به [↑](#footnote-ref-77)
77. الحديث أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية 3/1469 رقم 1839 من حديث ابن عمر مرفوعاً به . [↑](#footnote-ref-78)
78. الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند [↑](#footnote-ref-79)
79. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب بدء الخلق باب الملائكة 4/135 وكتاب الأدب : باب المقت من الله تعالى 8/17 ، وكتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل 9/173 -174 من حديث نافع وأبى صالح كلاهما عن أبى هريرة مرفوعاً ، ومسلم في الصحيح ، كتاب الأدب : باب إذا أحب الله عبداً 4/2030 رقم 2637 من حديث أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعاً واللفظ لمسلم . [↑](#footnote-ref-80)
80. مرجل جمته : أي مسرح ما سقط على المنكبين من شعر رأسه ، إذ الجمة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين ، انظر النهاية 1/179 ، يتجلجل : أي يغوص في الأرض يخسف به ، و الجلجلة حركة مع صوت ، انظر النهاية 1/170

    الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب اللباس ،باب من جرّ ثوبه من الخيلاء 7/183، ومسلم في الصحيح ، كتاب اللباس و الزينة : باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه 3/1653 -1654 كلاهما من حديث أبى هريرة مرفوعاً واللفظ للبخاري . [↑](#footnote-ref-81)
81. العوائق للأستاذ / محمد أحمد الراشد ص 53 . [↑](#footnote-ref-82)
82. الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الإيمان ، باب : بيان أن الدين النصيحة 1/74-75 رقم 55 ، وأبو داود في السنن ، كتاب : الأدب ، باب النصيحة 4/286 رقم 4944 من حديث تميم الداري - رضى الله عنه - مرفوعاً واللفظ لمسلم . [↑](#footnote-ref-83)
83. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح 7/2 ، ومسلم في الصحيح ، كتاب النكاح 1/584 ، و النسائي في السنن كتاب النكاح باب النهي عن التبتل 6/49-50 ، وأحمد في المسند 3/241 ، 259 ، 285 كلهم من حديث أنس بن مالك - رضى الله عنه - مرفوعاً واللفظ للبخاري . [↑](#footnote-ref-84)
84. الحديث أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب العلم ، باب : هلك المتنطعون 4/2055 رقم 2670 من حديث عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - مرفوعاً به . [↑](#footnote-ref-85)
85. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب : الدين يسر 1/16 من حديث أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - مرفوعاً به . [↑](#footnote-ref-86)
86. الحديث أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب : الذكر و الدعاء و التوبة والاستغفار ، باب : التعوذ من شر ما عمل ، ومن شر ما لم يعمل 4/2088 من حديث زيد بن أرقم - رضى الله تعالى عنه - مرفوعاً به ، بيد أنه زاد قبله :( اللهم إني أعوذ بك من العجز و الكسل و الجبن و البخل ، و الهرم وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ) [↑](#footnote-ref-87)
87. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح كتاب بدء الخلق ، باب : صفة النار وأنها مخلوقة 4/147 ، ومسلم في الصحيح ، كتاب : الزهد و الرقائق ، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله ، وينهي عن المنكر ويفعله 4/2290-2291 رقم 2989 من حديث أسامة بن زيد - رضى الله تعالى عنهما - مرفوعاً به واللفظ للبخاري . [↑](#footnote-ref-88)
88. الحديث أخرجه الترمذى في السنن ، كتاب تفسير القرآن ، باب من سورة المؤمنون 5/327-328 رقم 3175 من حديث عائشة - رضى الله تعالى عنها - مرفوعاً به ، وعقب عليه بقوله :( وقد روى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن سعيد ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - نحو هذا . [↑](#footnote-ref-89)
89. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الرقاق ، باب القصد و المداومة على العمل 8/122 ، 123 ومسلم في الصحيح كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب لن يدخل الجنة أحد بعمله 4/2169 رقم 71-78 من حديث أبى هريرة وعائشة - رضى الله تعالى عنهما - مرفوعاً به وبنحوه واللفظ للبخاري [↑](#footnote-ref-90)
90. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الدعوات ، باب التوبة 8/83-84 من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه - موقوفاً عليه ، وادعى بعضهم أنه مرفوع ، وهو وهم ، انظر فتح الباري 11/105 [↑](#footnote-ref-91)
91. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الجهاد ، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله 4/41-42 ، كتاب الرقائق : باب ما يتقى من فتنة المال 8/114-115 وابن ماجه في السنن ، كتاب الزهد ، باب في المكثرين 2/1385-1386 رقم 4135-4136 من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً به . [↑](#footnote-ref-92)
92. الحديث أخرجه الترمذى في السنن ، كتاب الدعوات ، باب منه 5/528 رقم 3502 من حديث ابن عمر - رضى الله تعالى عنهما - مرفوعاً به وعقب عليه بقوله :( هذا حديث حسن غريب ) [↑](#footnote-ref-93)
93. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الرقاق : باب في الأمل وطوله 8/110 من حديث علىّ - موقوفاً عليه به . [↑](#footnote-ref-94)
94. انظر إحياء علوم الدين 3/207 [↑](#footnote-ref-95)
95. الأبيات أوردها الإمام النووي في مقدمته لكتاب رياض الصالحين ص 2 دون أن يعزوها لأحد [↑](#footnote-ref-96)
96. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الاعتكاف ، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ؟ 3/64-65 ومسلم في الصحيح ، كتاب السلام : باب بيان أنه يستحب لمن رؤى خالياً بامرأة وكانت زوجة أو محرماً له ... 4/1712-1713 رقم 23 ،24 ،25 من حديث صفية - رضى الله تعالى عنها - مرفوعاً به [↑](#footnote-ref-97)
97. الحديث أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الصلاة باب فيمن صلى في منزله ، ثم أدرك الجماعة يصلى معهم 1/136 و الترمذى في السنن ، كتاب الصلاة باب ما جاء في الرجل يصلى وحده ثم يدرك الجماعة 1/424-426 رقم 219 ، وقال عقبة : حديث يزيد بن الأسود حديث حسن صحيح ، و النسائي في السنن : كتاب الإمامة باب إعادة الصلاة مع الجماعة بعد صلاة الرجل لنفسه 2/87 من حديث يزيد بن الأسود - رضى الله تعالى عنه - مرفوعاً به . [↑](#footnote-ref-98)
98. الحديث أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة 2/704-706 رقم 1017 من حديث جرير بن عبد الله البجلى مرفوعاً به وبنحوه . [↑](#footnote-ref-99)
99. الحديث جزء من حديث مطول أخرجه الترمذى في الشمائل المحمدية ، باب ما جاء في خلق الرسول - صلى الله عليه وسلم -18-23 من حديث سفيان بن وكيع عن جميع بن عمير بن عبد الرحمن ، عن رجل من بنى تميم من ولد أبى هالة ، عن ابن أبى هالة عن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه به ، وإسناده ضعيف لضعف سفيان وجميع وجهالة الرجل الذي من بنى تميم ، إلا أن له شواهد أخرى تجبر هذا الضعف وترفعه إلى درجة المقبول . [↑](#footnote-ref-100)
100. الحديث أخرجه البخاري في الصحيح : كتاب الإيمان : باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة 1/13-14 من حديث عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه مرفوعاً به . [↑](#footnote-ref-101)
101. انظر لسان العرب 5/129 مادة ( كبر ) [↑](#footnote-ref-102)
102. الحديث أخرجه مسلم فى الصحيح كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه 1/93 رقم 147 من حديث عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - مرفوعاً به ، ومعنى ( بطر الحق ) إنكار الحق ودفعه ترفعاً وتجبراً ، أما ( غمط الناس ) فإن معناه : احتقارهم

     انظر النهاية فى غريب الحديث والأثر 1/83 ، 3/171 [↑](#footnote-ref-103)
103. الحديث أخرجه أبو داود فى السنن كتاب اللباس باب فى غسل الثوب وفى الخلقان 4/51 رقم 4063 من حديث أبى ألأحوص عن أبيه مرفوعاص به [↑](#footnote-ref-104)
104. انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى 20/102 [↑](#footnote-ref-105)
105. الحديث أخرجه ابن ماجه فى السنن كتاب الزهد ، باب فضل الفقراء 2/1379 -1380 رقم 4120 من حديث سهل بن سعد الساعدى رضى الله تعالى عنه - مرفوعاً به [↑](#footnote-ref-106)
106. الحديث أخرجه أبو داود في السنن كتاب الأدب ، باب ما جاء في المتشدق في الكلام 4/301-302 رقم 5005 عن محمد بن سنان الباهلى العوفى ، و الترمذى في السنن ، كتاب الاستئذان ، باب ما جاء في الفصاحة و البيان 5/141 رقم 2853 عن محمد بن عبد الأعلى ، عن عمر بن على المقدمى ، وأحمد في المسند ( الفتح الرباني 19/271 ) عن يزيد كلهم عن نافع عن بن عمر ، عن بشر بن عاصم ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً به و الذي يتخلل بلسانه هو الذي يتشدق في الكلام ، ويفخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر . [↑](#footnote-ref-107)
107. الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ( الفتح الرباني 19/271 من حديث أبى هريرة مرفوعاً به ، وعقب عليه صاحب الفتح الرباني بقوله :( لم أقف عليه بهذا اللفظ لغير الإمام أحمد من حديث أبى هريرة وسنده جيد وله شاهد من حديث أبى ثعلبة الخشنى في المسند أيضاً 19/76 . [↑](#footnote-ref-108)
108. الحديث أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب اللباس ، باب ما جاء في إسبال الإزار 4/56-57 رقم 4085 عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه مرفوعا به . [↑](#footnote-ref-109)
109. الحديث أخرجه أبو داود فى السنن كتاب الأدب ، باب فى قيام الرجل للرجل 4/258 رقم 5229 من حديث معاوية بن أبى سفيان مرفوعاً به . [↑](#footnote-ref-110)
110. الحديث جزء من حديث طويل أورده بن كثير فى تفسيره 1/440-441 من طريقين عن عطاء الأولى : بلفظ : انطلقت أنا وابن عمر ، وعبيد بن عمير الى عائشة - رضى الله تعالى عنها - فدخلنا عليها ، وبيننا وبينها حجاب ، فقالت يا عبيد : ما يمنعك من زيارتنا ؟ قال : قول الشاعر :( زر غباً تزد حباً ) فقال بن عمر : ذرنا ، أخبرينا بأعجب ما رأيتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت ، وقالت :( كل أمره كان عجباً ، أتانى فى ليلتى حتى مس جلده جلدى ثم قال :0 ذرينى أتعبد لربى عز وجل ، قالت فقلت : والله إنى لأحب قربك ، وإنى أحب أن تعبد ربك ، فقام الى القربة فتوضأ ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلى ، فبكى حتى ابتلت لحيته ، ثم سجد فبكى حتى بل الأرض ، ثم اضطجع على جنبه فبكى ، حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح قالت : فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأحر ؟ فقال : ويحك يا بلال وما يمنعنى أن ابكى وقد أنزل الله علىّ فى هذه الليلة { إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب } ثم قال :( ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ) و الطريق الأخرى بنحوه ، ثم عزاهما - أى ابن كثير - الى ابن مردويه ، وعبد بن حميد ، وابن أبى حاتم وابن حبان . [↑](#footnote-ref-111)
111. الحديث أخرجه ابن ماجة فى السنن كتاب الزهد باب البراءة من الكبر والتواضع 2/1397 رقم 4174 من حديث أبى هريرة مرفوعا به [↑](#footnote-ref-112)
112. الحديث أخرجه مسلم فى الصحيح ، كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه 1/93 رقم 149 من حديث ابن مسعود مرفوعاً به . [↑](#footnote-ref-113)
113. الحديث شطر من حديث أخرجه البخارى فى الصحيح : كتاب الأدب ، باب الكبر 7/ من حديث حارثة بن وهب الخزاعى مرفوعاً و الجواظ وهو الجموع المنوع [↑](#footnote-ref-114)
114. الحديث أخرجه مسلم فى الصحيح كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها 4/2198-2199 رقم 2865 ( 64 ) من حديث عياض بن حمار مرفوعاً [↑](#footnote-ref-115)
115. الحديث أورده ابن كثير فى تفسيره 4/217 من حديث حذيفة وعزاه الى أبى بكر البزار - عقب عليه بقوله :" لا نعرفه عن حذيفة إلا من هذا الوجه " [↑](#footnote-ref-116)
116. انظر في ظلال القرآن 6/80 [↑](#footnote-ref-117)
117. - انظر: لسان العرب لابن منظور 6/4188 - 44191، مادة: "مرا" بتصرف كثير، والمعجم الوسيط 2/900، 901. [↑](#footnote-ref-118)
118. - انظر: لسان العرب لابن منظور 1/569 - 5771، والمعجم الوسيط 1/111، مادة : "جدل" بتصرف كثير. [↑](#footnote-ref-119)
119. - انظر: إحياء علوم الدين للغزالي 3/114. [↑](#footnote-ref-120)
120. - انظر: إحياء علوم الدين للغزالي 3/114. [↑](#footnote-ref-121)
121. - انظر: إحياء علوم الدين للغزالي 3/114. [↑](#footnote-ref-122)
122. - الحديث أخرجه أبو داود في السنن: كتاب االأدب: باب في حسن الخلق 4/253 رقم (4800) من حديث أبي أمامة به! مرفوعا، وأورده الشيخ ناب الدين الألباني في سلسلة ا لأحاديث الصحيحة رقم (273)، وعزاه إلى أبي داود، وساق له شاهدا يرتقي به إلى درجة الحسن كما قال. [↑](#footnote-ref-123)
123. - الحديث أخرجه أحمد في المسند 5/252، 2566، والترمذي في السنن: كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الزخرف 5/353 رقم (3253) وعقب عليه بقوله: "هذا حديث حسن صحيح"، وابن ماجه في السنن: المقدمة: باب اجتناب البدع والجدل 1/19 رقم (48)، كلهم من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه مرفوعا بهذا اللفظ. [↑](#footnote-ref-124)
124. - الحديث أخرجه أحمد في المسند 6/55، 63، 205 من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا بهذا اللفظ. [↑](#footnote-ref-125)
125. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االأدب: باب قول الله تعالى )يا أيها الذين آمنوا كونوا مع الصادقين( 8/30، ومسلم في الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم النميمة: وباب قبح الكذب، وحسن الصدق وفضله 4/2012، 2013 رقم (2607)، كلاهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا واللفظ لمسلم. [↑](#footnote-ref-126)
126. - الحديث أخرجه أحمد في المسند 2/452 من ححديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا بهذا اللفظ. [↑](#footnote-ref-127)
127. - الحديث أخرجه أبو داود في السنن: كتاب االأدب: باب في التشديد في الكذب 4/298 رقم (4991) من حديث مولى من موالي عبد الله بن عامر بن ربيعة العدوي، عن عبد الله بن عمر بن عامر رضي الله عنه قال : دعتني أمي يرما... الحديث، غير أن مولى عبد الله مجهول. [↑](#footnote-ref-128)
128. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االإيمان: باب إفشاء السلام من الإسلام (معلقا) 1/14 قائلا: "وقال عمار: "ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان"... الحديث، وقد وصله الحافظ ابن حجر في فتح الباري 1/82 قائلا: "وأثره هذا - أي أثر عمار بن ياسر أحد السابقين الأولين - أخرجه أحمد بن حنبل في كتاب الإيمان من طريق.. سفيان الثوري، ورواه يعقوب بن شيبة في مسنده من طريق شعبة وزهير بن معاوية، وغيرهما، كلهم عن أبي إسحاق السبيعي، عن صلة بن زفر، عن عمار، ولفظ شعبة: "ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان". وهو بالمعنى، وحدث به عبد الرزاق بآخره، فرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم... حتى قال: وله شواهد أخرى بينتها في تغليق التعليق". [↑](#footnote-ref-129)
129. - انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4//528. [↑](#footnote-ref-130)
130. - انظر: روح المعاني للألوسي 30/172. [↑](#footnote-ref-131)
131. - سبق تخريجه في الجزء الأول، آفة: الاستععجال. [↑](#footnote-ref-132)
132. - الحديث أخرجه الترمذي في السنن: كتاب اللزهد: باب (61) 4/525 رقم (2411) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه مرفوعا بهذا اللفظ، وعقب عليه الترمذي بقوله: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن عبد الله بن حاطب". [↑](#footnote-ref-133)
133. - انظر: إحياء علوم الدين للغزالي 3/176. [↑](#footnote-ref-134)
134. - انظر: إحياء علوم الدين للغزالي 3/176. [↑](#footnote-ref-135)
135. - انظر: إحياء علوم الدين للغزالي 3/176. [↑](#footnote-ref-136)
136. - انظر: إحياء علوم الدين للغزالي 3/176. [↑](#footnote-ref-137)
137. - انظر: إحياء علوم الدين للغزالي 3/176. [↑](#footnote-ref-138)
138. - الحديث أورده الغزالي في إحياء علوم الددين 3/175، وعلق عليه العراقي في المغني بهامش الإحياء 3/175 قائلا: "أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء، وأبي إمامة، وأنس ابن مالك، ووائلة بن الأسقع بإسناد ضعيف دون قوله: "لا تفهم حكمته، ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفا على ابن مسعود". [↑](#footnote-ref-139)
139. - انظر: إحياء علوم الدين للغزالي: 3/176.. [↑](#footnote-ref-140)
140. - انظر: القلائد من فرائد الفوائد للدكتورر: مصطفى السباعي ص 98 نقلا عن الفرغاني . [↑](#footnote-ref-141)
141. - انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير اللعباد لمحمد بن يوسف الصالحي 2/447 - 450 بتصرف كثير . [↑](#footnote-ref-142)
142. - انظر: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التااريخ 1/239 - 242. [↑](#footnote-ref-143)
143. - انظر: تهذيب تاريخ دمشق لابن بدران 6/3885 وعنه نقل الطنطاويان في أخبار عمر ص 190، 191. [↑](#footnote-ref-144)
144. - الحديث أخرجه البخاري مختصرا في الصحيح:: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة 9/ 127، ومسلم في الصحيح: كتاب العلم : باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدي أو ضلالة 4/2060 رقم (2674)، وأبو داود في السنن: كتاب السنة: باب في لزوم السنة 4/201 رقم (2609)، والترمذي في السنن: كتاب العلم: باب ما جاء فيمن دعا إلى هدي... إلخ 5/42 رقم (2674)، وابن ماجه في السنن: المقدمة: باب من سن سنة حسنة أو سيئة 1/75 رقم (206)، وأحمد في المسند 2/397، 505 كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا به، وبنحوه، وأوله كما في مسلم: "من دعا إلى هدي كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا..." الحديث . [↑](#footnote-ref-145)
145. - انظر لسان العرب لابن منظور 3/357 - 3644، والمعجم الوسيط 2/748، 749 مادة: "قعد" بتصرف كثير. [↑](#footnote-ref-146)
146. - انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب االعزيز 8/195. [↑](#footnote-ref-147)
147. - انظر: روح المعاني 10/4/222. [↑](#footnote-ref-148)
148. - انظر: جامع البيان في تفسير القرآن 3/4//111، 112، وعنه نقل السيوطي في الدر المنثور 2/370. [↑](#footnote-ref-149)
149. - انظر: جامع البيان في تفسير القرآن 3/4//111، 112، وعنه نقل السيوطي في الدر المنثور 2/370. [↑](#footnote-ref-150)
150. - انظر: روح المعاني 6/2/108 . [↑](#footnote-ref-151)
151. - انظر: جامع البيان 10/6/ 140، 141. [↑](#footnote-ref-152)
152. - انظر: جامع البيان 10/ 6/ 140، 141 . [↑](#footnote-ref-153)
153. - انظر: جامع البيان 10/ 6/ 140، 141 . [↑](#footnote-ref-154)
154. - انظر: جامع البيان 10/6/143 . [↑](#footnote-ref-155)
155. - انظر: جامع البيان 5/4/ 114. [↑](#footnote-ref-156)
156. - الحديث أخرجه أحمد في المسند 5/440 من ححديث سلمان مرفوعا بهذا اللفظ، وأررده الهيثمي في مجمع الزوائد: كتاب الجهاد . باب في، الرباط 5/290 من حديث سلمان بنحوه، وعقب عليه بقوله: "رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم". [↑](#footnote-ref-157)
157. - انظر: جامع البيان 1/252. [↑](#footnote-ref-158)
158. - الحديث سبق تخريجه في آفة "اتباع الهوى"" 2/35. [↑](#footnote-ref-159)
159. - انظر: الداء والدواء، أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: فصل: المعاصي عدو لدود ص 138 - 149. [↑](#footnote-ref-160)
160. - انظر: المحرر الوجيز في 8/183-184. [↑](#footnote-ref-161)
161. - سبق تخريج هذا الأثر في آفة: "الفتور". [↑](#footnote-ref-162)
162. - سبق تخريج هذا الأثر في آفة: "الفتور". [↑](#footnote-ref-163)
163. - سبق تخريج هذا الأثر في آفة: "الفتور". [↑](#footnote-ref-164)
164. - انظر: المحرر الوجيز 8/183،184. [↑](#footnote-ref-165)
165. - انظر: المحرر الوجيز 8/183،184. [↑](#footnote-ref-166)
166. - انظر: المحرر الوجيز 4/178. [↑](#footnote-ref-167)
167. - انظر: المحرر الوجيز 4/179. [↑](#footnote-ref-168)
168. - انظر: المحرر الوجيز 10/238. [↑](#footnote-ref-169)
169. - انظر روح المعاني 10/14/238-239. [↑](#footnote-ref-170)
170. - انظر : المحرر الوجيز 15/271. [↑](#footnote-ref-171)
171. - انظر : روح المعاني 10/27/60. [↑](#footnote-ref-172)
172. - انظر: المحرر الوجيز 8/194. [↑](#footnote-ref-173)
173. - انظر: روح المعاني 10/4/111. [↑](#footnote-ref-174)
174. - الحديث أخرجه أبو داود في السنن: كتاب االأدب: باب من يؤمر أن يجالس 4/259 رقم (4833)، والترمذي في السنن: كتاب الزهد: باب منه 4/509 رقم (2378) وعقب عليه بقوله: "هذا حديث حسن غريب،، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا بهذا اللفظ. [↑](#footnote-ref-175)
175. - الحديث أخرجه أبو داود في السنن: كتاب االأدب: باب من يؤمر أن يجالس 4/259 رقم (4832)، والترمذي في السنن: كتاب الزهد: باب ما جاء في صحبة المؤمن 4/519 رقم (2395) وعقب عليه بقوله: "هذا حديث حسن إنما نعرفه من هذا الوجه"، والدارمي في السنن: كتاب الأطعمة: باب من كره أن يطعم طعامه إلا الأتقياء 2/103، كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. [↑](#footnote-ref-176)
176. - الحديث أخرجه أحمد في المسند 4/153، وأوورده الهيثمي في مجمع الزوائد: كتاب المغازي والسير: باب علو الإسلام على كل دين خالفه وظهوره عليه 6/17 وعقب عليه بقوله: "رجال أحمد رجال الصحيح"، والبيهقي في الكبرى: كتاب السير: باب إظهار دين النبي صلى الله عليه وسلم على الأديان 9/181، والحاكم في المستدرك 4/435، 431 وعقب عليه بقوله: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، كلهم من حديث تميم الداري". [↑](#footnote-ref-177)
177. - الحديث أخرجه أحمد في المسند 4/273 من ححديث حذيفة مرفوعا، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: كتاب الخلافة: باب كيف بدأت الإمامة وما تصير إليه والخلافة والملك 5/191، 192 من حديث حذيفة مرفوعا، وعقب عليه بقوله: "رجاله ثقات" وعن الهيثمي نقل الدكتور يوسف القرضاوي في: ثقافة الداعية ص 67، 68. [↑](#footnote-ref-178)
178. - الحديث أخرجه أحمد في المسند 5/134 من ححديث أبي بن كعب مرفوعا بلفظ: "بشر هذه الأمة بالسناء والتمكن في البلاد والنصر والرفعة في الدين، ومن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا، فليس له في الآخرة نصيب " وأورده المنذري في الترغيب والترهيب: كتاب إخلاص النية واتباع الكتاب والسنة: باب الترهيب من الرياء أو ما يقوله من خاف شيئا منه 1/107 رقم (15) المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري، انتقاء الدكتور يوسف القرضاوي، من حديث أبي بن كعب مرفوعا بهذا اللفظ، وعقب عليه بقوله: "رواه أحمد، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، والبيهقي، وقال الحاكم : صحيح ا لإسناد". وقد أقره الذهبي على ذلك في التلخيص 4/311 وعاد فعقب عليه في 4/318 بقوله: "فيه من الضعفاء محمد بن الأشرس السلمي وغيره". والسر في هذا الاختلاف: أن الإسناد الأول صحيح والآخر ضعيف، كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي. [↑](#footnote-ref-179)
179. - انظر: جامع البيان 10/144. [↑](#footnote-ref-180)
180. - انظر: جامع البيان 10/6/130. [↑](#footnote-ref-181)
181. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االعلم: باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا 1/44، ومسلم في الصحيح: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا 1/61 رقم (32)، كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا، واللفظ للبخاري. [↑](#footnote-ref-182)
182. - الحديث أخرجه الترمذي في السنن: كتاب اللبر والصلة: باب ما جاء في رحمة الصبيان 4/284 رقم (1921)، وعقب عليه بقوله: "هذا حديث حسن غريب"، وأحمد في المسند 1/257، كلاهما من حديث عكرمة عن ابن عباس مرفوعا، واللفظ للترمذي. [↑](#footnote-ref-183)
183. - هذه الرواية أخرجها الترمذي أيضا في السسنن: كتاب البر والصلة: باب ما جاء في رحمة الصبيان 4/284 رقم (1920) من حديث محمد بن إسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وساق الحديث بهذا اللفظ، وعقب عليه بقوله: "وحديث محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب حديث حسن صحيح"، وأخرجها أحمد في المسند 2/207 من حديث محمد بن إسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس منا من لم يعرف حق كبيرنا، ويرحم صغيرنا"، ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا": ليس من سنتنا، ليس من أدبنا، هذا رأي نفر من العلماء، وقال علي بن المديني: قال يحيى بن سعيد : كان سفيان الثوري ينكر هذا التفسير - أي الذي قدمنا عن نفر من العلماء - ويقول: ليس منا: ليس من ملتنا، هكذا ذكر التفسيرين الإمام الترمذي في السنن 4/284، والتفسير الجامع بين التفسيرين المذكورين قياسا على ما ذكره ابن حجر في فتح الباري 9/104، 105 في معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الرهط الذين عزموا على التبتُّل، وترك الزواج: (فمن رغب عن سنتي فليس مني) هو أن نقول: إن كان عدم قيامه بحق الكبار، ورحمة الصغير ناشئا من تأويل مع ذهول وعدم انتباه، فالمراد المعنى الأول، وإن كان ناشئا من أعراض وتنطع عن الهدي النبوي بحجة أنه ليس بشيء، فالمراد المعنى الثاني، والله أعلم. [↑](#footnote-ref-184)
184. - الحديث أخرجه الترمذي في السنن: كتاب اللفتن: باب ما جاء في لزرم الجماعة 4/404 رقم (2165) وعقب عليه بقوله: "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث ابن عمر رضي الله عنه، وأحمد في المسند 1/26 من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه . [↑](#footnote-ref-185)
185. - الحديث أخرجه الترمذي في السنن: كتاب تففسير القرآن: باب ومن سورة البقرة 5/196 رقم 2972 وعقب الترمذي على حديثه بقوله: "هذا حديث حسن صحيح غريبي" من حديث أسلم أبى عمران التجيبي بنحو هذا اللفظ، والنسائي في السنن الكبرى. كتاب التفسير: باب قوله تعالى: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} 6/299 رقم 11029 من حديث أسلم أبى عمران. وأورده الشيخ محمد يوسف في حياة الصحابة 1/470 نقلا عن البيهقي. [↑](#footnote-ref-186)
186. - مه: اسم فعل أمر مبنى على السكون بمعنى:: اكفف، انظر: المعجم الوسيط 2/889. [↑](#footnote-ref-187)
187. - الحديث أخرجه أبو داود في السنن: كتاب االجهاد: باب في الجرأة والجبن 3/27 رقم 2512 من حديث أسلم أبي عمران التجيبيى بهذا اللفظ، وأورده الشيخ محمد يوسف في: حياة الصحابة 1/470، 471 نقلا عن البيهقي. [↑](#footnote-ref-188)
188. - الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في : حياةة الصحابة 1/471 نقلا عن ابن كثير في : تفسير القرآن العظيم. [↑](#footnote-ref-189)
189. - انظر: المعجم الوسيط 1/474 بتصرف. [↑](#footnote-ref-190)
190. - الحـديث أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الببر و الصلة و الآداب: باب تحريم الظلم 4/1996 رقم 2578 (56) من حديث جابر بن عبد الله مرفوعا بهذا اللفظ، وأحمد في المسند 2/431 من حديث أبي هريرة مرفوعا بلفظ: (إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات عند الله يوم القيامة، وإياكم والفحش، فإن الله لا يحب الفحش والتفحش، وإياكم والشُّح، فإنه دعا من قبلكم فاستحلوا محارمهم، وسفكوا دماءهم، وقطعوا أرحامهم) [3/323 من حديث جابر بن عبد الله مرفوعا بلفظ مسلم]. [↑](#footnote-ref-191)
191. - الحديث أخرجه أبو داود في السنن: كتاب االزكاة: باب الشح 2/324 رقم 1698، وأحمد في المسند 2/160، 191، 195 كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص 16J 'DDG 9FG مرفوعا و اللفظ لأبي داود. [↑](#footnote-ref-192)
192. - الحديث أخرجه الترمذي في السنن: كتاب اللدعوات: باب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( رغم أنف رجل ) 5/515 رقم 3546، وأحمد في المسند 1/201 كلاهما من حديث الحسن بن علي بن أبي طالب، وعقب عليه الترمذي بقوله: هذا حديث حسن صحيح غريب. [↑](#footnote-ref-193)
193. - العذق: العرجون بما فيه من الشماريخ، وييجمع على عذاق، أما العذق بالفتح فهو: النخلة، و منه قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث: (كم من عذق مذلل في الجنة لأبي الدحداح)، [انظر النهاية في غريب الحديث والأثر 3/77.] [↑](#footnote-ref-194)
194. - الحديث أخرجه أحمد في المسند 3/328 من ححديث جابر بن عبد الله 16J 'DDG 9FG مرفوعا بهذا اللفظ. [↑](#footnote-ref-195)
195. - الحديث أخرجه ابن جرير في جامع البيان 228/12/28 من حديث سعيد بن جبير عن أبي الهياج بهذا اللفظ، وأورده السيوطي في "الدر المنثور في التفسير بالمأثور 8/108، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر، وبن عساكر. [↑](#footnote-ref-196)
196. - الحديث أخرجه ابن جرير في جامع البيان 28/12/30 من طريق يونس قال: أخبرنا ابن وهب، عن ابن زيد، وساقه بهذا اللفظ. [↑](#footnote-ref-197)
197. - الحديث أخرجه ابن جرير في جامع البيان 28/12/82 من حديث أبي معاوية، عن علي، عن ابن عباس، وساق الحديث بهذا اللفظ. [↑](#footnote-ref-198)
198. - الحديث أخرجه ابن جرير في جامع البيان 28/12/82 من حديث سفيان عن جامع بن شداد، عن الأسود بن هلال، عن ابن مسعود وساق الحديث بهذا اللفظ. [↑](#footnote-ref-199)
199. - انظر: جامع البيان لابن جرير الطبري 28//12/82 . [↑](#footnote-ref-200)
200. - انظر: النكت والعيون المعروف بتفسير المماوردي 3/312 . [↑](#footnote-ref-201)
201. - انظر: النكت والعيون 3/313 . [↑](#footnote-ref-202)
202. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االزكاة: باب مثل المتصدق والبخيل 2/142، 143 وكتاب الجهاد: باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم والقميص في الحرب 4/50. وكتاب الطلاق: باب الإشارة في الطلاق والأمور 7/67، وكتاب اللباس: باب جيب القميص عند الصدر وغيره 7/185. ومسلم في الصحيح: كتاب الزكاة : باب مثل المنفق والبخيل 2/708، 709 رقم 1021 (75-77)، والنسائي في السنن: كتاب الزكاة: باب صدقة البخيل 2/37، 38 رقم 2327-2329 (1-3 ) (الكبرى) 5/3/70-72 (المجتبى). وأحمد في المسند 2/256، 522، 523 كلهم من حديث أبي هريرة 16J 'DDG 9FG مرفوعا، واللفظ للبخاري. [↑](#footnote-ref-203)
203. - انظر: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاريي 1/769، 770 وعنه نقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري 3/306 بتصرف كثير. [↑](#footnote-ref-204)
204. - انظر: النكت و العيون 4/361. [↑](#footnote-ref-205)
205. - انظر: النكت و العيون 4/502، 503. [↑](#footnote-ref-206)
206. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االرقاق: باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر 8/111 من حديث أبي هريرة 16J 'DDG 9FG مرفوعا بهذا اللفظ. [↑](#footnote-ref-207)
207. - هذه الرواية أخرجها البخاري في الصحيح: كتاب الرقاق: باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر 8/111، وأحمد في المسند 3/115، 119، 169، 275. كلاهما من حديث أنس بن مالك مرفوعا، واللفظ للبخاري. [↑](#footnote-ref-208)
208. - انظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني 111/241. [↑](#footnote-ref-209)
209. - انظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني 111/241. [↑](#footnote-ref-210)
210. - انظر: النكت والعيون 4/467، 468. [↑](#footnote-ref-211)
211. - انظر: النكت والعيون 4/212. [↑](#footnote-ref-212)
212. - الحديث بروايته سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-213)
213. - الحديث بروايته سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-214)
214. - الأثر سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-215)
215. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب ببدء الوحي: باب منه 1/5، وكتاب الصوم: باب أجود ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكون في رمضان 3/33، وكتاب بدء الخلق: باب بدء ذكر الملائكة 4/137، وكتاب المناقب: باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم 4/229، وكتاب الأدب: باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، 8/16، ومسلم في الصحيح: كتاب الفضائل: باب كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح المرسلة 4/1803، 1804 رقم 2308 (50) والنسائي في السنن: كتاب الصيام: باب الفضل والجود في شهر رمضان 2/64 رقم 2405 (الكبرى) 4/126.125 (الصغرى) وأحمد في المسند 1/230، 231، 288، 363، 366، 367، 373 كلهم من حديث ابن عباس 16J 'DDG 9FGE' واللفظ للبخاري. [↑](#footnote-ref-216)
216. - انظر: فتح الباري 1/31. [↑](#footnote-ref-217)
217. - انظر: مدارج السالكين 2/293-296 بتصرف ككثير. [↑](#footnote-ref-218)
218. - انظر: مدارج السالكين 2/292. [↑](#footnote-ref-219)
219. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االتهجد: باب الفضائل من تعار من الليل فصلى 2/69، وكتاب التعبير: باب الأمن وذهاب الروع في المنام، وباب الأخذ على اليمين في النوم 9/51، 52 وكتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب 16J 'DDG 9FGE' 5/30، 31، ومسلم في الصحيح: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل عبد الله بن عمر 16J 'DDG 9FGE' 4/1927، 1928، رقم 2478، 2479 (139، 140) وابن ماجة في السنن: كتاب تعبير الرؤيا: باب تعبير الرؤيا 2/1291، وأحمد في المسند 2/146 كلهم من حديث عبد الله بن عمر 16J 'DDG 9FGE' مرفوعا، واللفظ للبخاري. [↑](#footnote-ref-220)
220. - انظر: لسان العرب 2/648 - 651، والمعجم الوسيط 2/654، والصحاح في اللغة والعلوم للمرعشليين ص 819، مادة: "غضب" بتصرف كثير. [↑](#footnote-ref-221)
221. - انظر: إحياء علوم الدين للغزالي 3/247، والتعريفات للجرجاني ص 162 بتصرف كثير. [↑](#footnote-ref-222)
222. - انظر: إحياء علوم الدين للغزالي 3/247 ببتصرف كثير. [↑](#footnote-ref-223)
223. - انظر: إحياء الدين للغزالي 3/247 بتصرف كثير. [↑](#footnote-ref-224)
224. - انظر: جامع البيان 26/11/69. [↑](#footnote-ref-225)
225. - انظر: جامع البيان 6/4/185. [↑](#footnote-ref-226)
226. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االمناقب: باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم 4/230، وكتاب الأدب: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يسروا ولا تعسروا)، وكان يحب التخفيف واليسر على الناس 8/36، 37، وتهاب الحدود ة باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله 8/198، 199 من وجهين عن مالك، ومن وجه عن عقيل، كلاهما عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة به، ومسلم في الصحيح: كتاب الفضائل: باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته 4/1813، 1814 رقم (2327) من حديث ابن شهاب، وهشام بن عروة كلاهما عن عروة، عن عائشة به، وأبو داود في السنن: كتاب الأدب: باب في التجاوز في الأمر 4/250 رقم (4785) من حديث ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة به، ومالك في الموطأ: كتاب حسن الخلق: باب ما جاء في حسن الخلق ص 563، رقم (2) من حديث ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة به، وأحمد في المسد 6/85، 114، 116، 130، 162، 181، 182، 189، 191، 209، 223، 232، 262 من عدة أوجه عن ابن شهاب، وهشام بن عروة، كلاهما عن عروة عن عائشة به، وبنحوه مطولا ومختصرا. [↑](#footnote-ref-227)
227. - انظر: إحياء علوم الدين للغزالي 3/247، وتوالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس لابن حجر العسقلاني، الفصل السابع في سياق شيء من بليغ كلامه نظما ونثرا: ذكر شيء من منثور ص 136. [↑](#footnote-ref-228)
228. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االأدب: باب الحذر من الغضب 8/34، ومسلم في الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب 4/2014 رقم (2609)، ومالك في الموطأ: كتاب حسن الخلق: باب ما جاء في الغضب ص 565 رقم (12)، و 2 وأحمد في المسند 2/236، 268، 517، كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعا، واللفظ للبخاري ومسلم. [↑](#footnote-ref-229)
229. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االأدب: باب الحذر من الغضب 8/35، والترمذي في السنن: كتاب البر والصلة: باب ما جاء ني كثرة الغضب 4/326 رقم (2020)، ومالك في الموطأ: كتاب حسن الخلق: باب ما جاء في الغضب ص 565 رقم (12)، وأحمد في المسند 2/362، 466، كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعا، واللفظ للبخاري، إلا مالكا، فإنه عنده مرسل من حديث حميد بن عبد الرحمن بن عوف، وعقب الترمذي على حديثه بقوله: "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه". [↑](#footnote-ref-230)
230. - الحديث جزء حديث أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب فضل من يملك نفسه عند الغضب 4/2014 رقم (2608)، وأبو داود في السنن:كتاب الأدب: باب من كظم غيظا 4/248 رقم (4779)، وأحمد في المسند 1/382، 383، كلهم من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا، وأوله عند مسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما تعدون الرقوب فيكم"- يعني المصاب بموت أولاده، قال: قلنا: الذي لا يولد له، قال: "ليس ذلك بالرقوب، ولكنه الرجل الذي لم يقدم من ولده شيئا"، قال: "فما تعدون الصرعة فيكم؟... الحديث. [↑](#footnote-ref-231)
231. - الحديث أخرجه أحمد في المسند 2/175، وأوورده الغزالي في إحياء علوم الدين 3/244، وعقب عليه العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار بذيل الإحياء بقوله: أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق، وابن عبد البر في التمهيد بإسناد حسن، وهو عند أحمد، وأن السائل عبد الله بن عمرو". [↑](#footnote-ref-232)
232. - الحديث أورده الغزالي في إحياء علوم الددين 3/245، وعقب عليه العراقي في المغني بذيل الإحياء بقوله: "أخرجه ابن أبي الدنيا، والطبراني في الكبير والأوسط بإسناد حسن". [↑](#footnote-ref-233)
233. - هذا الأثر أورده الغزالي في إحياء علوم الدين 3/246. [↑](#footnote-ref-234)
234. - هذان الأثران أوردهما الغزالي في إحياء علوم الدين 3/246. [↑](#footnote-ref-235)
235. - هذان الأثران أوردهما الغزالي في إحياء علوم الدين 3/246. [↑](#footnote-ref-236)
236. - انظر: هداية المرشدين ص 263، 264. [↑](#footnote-ref-237)
237. - الحديث أخرجه الترمذي في السنن: كتاب اللبر والصلة : باب ما جاء في المراء 4/316 رقم (1995) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مرفوعا بهذا اللفظ، وعقب عليه بقوله: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه". [↑](#footnote-ref-238)
238. - الحديث سبق تخريجه في الجزء الثالث: آفةة "سوء الظن". [↑](#footnote-ref-239)
239. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االمناقب: باب علامات النبوة في الإسلام 4/249، 250 من حديث عبد الله بن مسعود بهذا اللفظ. [↑](#footnote-ref-240)
240. - انظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشممائل والسير 1/294 نقلا عن ابن إسحاق. [↑](#footnote-ref-241)
241. - هذه الرواية أوردها الصالحي في سبل الهددى والرشاد 4/72 نقلا عن البخاري. [↑](#footnote-ref-242)
242. - انظر: جامع البيان 4/3/16، 17. [↑](#footnote-ref-243)
243. - الحديث سبق تخريجه في الجزء الأول، آفة (الإعجاب بالنفس). [↑](#footnote-ref-244)
244. - انظر: إحياء علوم الدين للغزالي 3/245- 246. [↑](#footnote-ref-245)
245. - انظر : إحياء علوم الدين للغزالي 3/245-- 246. [↑](#footnote-ref-246)
246. - انظر : إحياء علوم الدين للغزالي 3/245-- 246. [↑](#footnote-ref-247)
247. - الحديث أورده الشيخ محمد ناصر الدين الأألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة المجلد الأول: الجزء الرابع ص 77 حديث رقم (354) نقلا عن الضياء المقدسي في المختارة من حديث شبيب بن بشر عن أنس بن مالك مرفوعا بهذا اللفظ، وعقب عليه بقوله: قلت: وهذا سند حسن رجاله ثقات، وفي شبيب كلام لا يضر" [↑](#footnote-ref-248)
248. - انظر: إحياء علوم الدين للغزالي 3/246. [↑](#footnote-ref-249)
249. - الحديث سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-250)
250. - الحديث سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-251)
251. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االأنبياء : باب الأرواح جنود مجندة 5/162 من حديث عائشة رضي الله عنها، ومسلم في الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب الأرواح جنود مجندة 4/2031 رقم (2638)، وأحمد في: المسند 2/295، 527، كلاهما من حديث أبي هريرة. [↑](#footnote-ref-252)
252. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب ببدء الخلق : باب صفة إبليس 4/150، 151، وكتاب الأدب: باب الحذر من الغضب 8/34، 35، ومسلم في الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، وبأي شيء يذهب الغضب 4/2015 رقم (2610)، وأبو داود في السنن: كتاب الأدب: باب ما يقال عند الغضب 4/249 رقم (4781)، كلهم من حديث سليمان بن صُرَد مرفوعا، واللفظ للبخاري. [↑](#footnote-ref-253)
253. - الحديث أخرجه الترمذي في السنن: كتاب اللفتن: باب ما جاء ما أخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة 4/419، 420 رقم (2191)، وعقب الترمذي على حديثه بقوله: "وهذا حديث حسن صحيح"، وأحمد في المسند 3/19، 61، كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا. [↑](#footnote-ref-254)
254. - الحديث أخرجه أبو داود في السنن: كتاب االأدب: باب ما يقال عند الغضب 4/249 رقم (4782، 4783) بإسنادين إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، الأول مسند متصل، والآخر مرسل، وقال عن الآخر: "هذا أصح الحديثين". [↑](#footnote-ref-255)
255. - الحديث أخرجه أبو داود في السنن: كتاب االأدب: باب ما يقال عند الغضب 4/249 رقم (4784) بالإسناد المذكور، وبهذا اللفظ، وهو مرسل. [↑](#footnote-ref-256)
256. - الحديث سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-257)
257. - الحديث أخرجه ابن ماجه في السنن: كتاب االزهد : باب الحلم 2/1401 رقم (4189)، وأحمد في المسند 2/128، كلاهما من حديث بن عمرو مرفوعا، وأورده البوصيري في مصباح الزجاجة 4/233 وعقب عليه بقوله: "هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس أيضا". [↑](#footnote-ref-258)
258. - الحديث أخرجه أبو داود في السنن: كتاب االأدب: باب من كظم غيظا 4/248 رقم (4777) من حديث سهل بن معاذ عن أبيه به مع خلاف يسير، والترمذي في السنن: كتاب البر والصلة: باب في كظم الغيظ 4/326، 327 رقم (2021)، وعقب عليه بقوله: "هذا حديث حسن غريب، وأحمد في المسند 3/438، 439، 4/14، وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير 5/351 من حديث معاذ بن أنس فوعا بهذا اللفظ. [↑](#footnote-ref-259)
259. - انظر: لسان العرب 2/938، 939، وتاج العرروس للزبيدي 2/338، مادة: "حقد". [↑](#footnote-ref-260)
260. - انظر: لسان العرب 4/2592، 2593، وتاج اللعروس 9/264، مادة: " ضغن". [↑](#footnote-ref-261)
261. - انظر: لسان العرب 6/4878، 4879، وتاج اللعروس 3/604، مادة: "وغر". [↑](#footnote-ref-262)
262. - انظر: لسان العرب 2/1463 - 1465، مادة: "دوا" بتصرف كثير. [↑](#footnote-ref-263)
263. - انظر: المعجم الوسيط 2/659، 660 بتصرف ككثبر. [↑](#footnote-ref-264)
264. - انظر: التعريفات ص 91 نقلا عن الغزالي ففي إحياء علوم الدين 3/266. [↑](#footnote-ref-265)
265. - انظر: التعريفات ص 91 نقلا عن الغزالي ففي إحياء علوم الدين 3/266. [↑](#footnote-ref-266)
266. - انظر: إحياء علوم الدين 3/266. [↑](#footnote-ref-267)
267. - انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها 1/875. [↑](#footnote-ref-268)
268. - انظر: النكت والعيون المعروف بتفسير المماوردي 4/54. [↑](#footnote-ref-269)
269. - انظر: مختصر تفسير ابن كثير للصابوني 3//475. [↑](#footnote-ref-270)
270. - انظر: النكت والعيون المعروف بتفسير المماوردي 2/28، 29. [↑](#footnote-ref-271)
271. - انظر: النكت والعيون المعروف بتفسير المماوردي 2/370، 371. [↑](#footnote-ref-272)
272. - انظر: النكت والعيون المعروف بتفسير المماوردي 4/52. [↑](#footnote-ref-273)
273. - لحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد، بباب الشحناء ص 181، 182 رقم (731) من حديث ابن عباس بهذا اللفظ، وفي إسناده أبو سهاب الخياط صدوق له أوهام كما في: تقريب التهذيب 1/471. [↑](#footnote-ref-274)
274. - تنطف: تقطر، يقال: نطف الماء ينطف: قطر.. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر 4/154. [↑](#footnote-ref-275)
275. - لحديث أخرجه أحمد في المسند 3/166 من ححديث أنس بن مالك t مرفوعا، وهذا لفظه، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: كتاب الأدب: باب في سلامة الصدر من الغش والحسد 8/81، 82 من حديث أنس بهذا اللفظ، وعزاه إلى أحمد والبزار، وعقب عليه بقوله: "رجال أحمد رجال الصحيح". [↑](#footnote-ref-276)
276. - لحديث أورده ابن كثير في تفسير القرآن االعظيم ((3/278 مختصر تفسير ابن كثير للصابوني) بغير إسناد. [↑](#footnote-ref-277)
277. - جزء من حديث أخرجه البخاري في الصحيح: ككتاب الهبة: باب الإشهاد في الهبة 3/206، ومسلم في الصحيح: كتاب الهبات: باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة 3/1241 - 1244 رقم (1623)، وأبو داود في السنن: كتاب البيوع: باب في الرجل يفضل بعض ولده في النحل 3/292، 293 رقم (3542، 3544)، والترمذي في السنن: كتاب الأحكام: باب النحل والتسوية بين الولد 3/649 رقم (1367) وعقب عليه الترمذي بقوله: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في السنن: كتاب النحل: باب اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر النعمان بن بشير في النَّحل 6/258 - 262 رقم (3672 - 3687)، وابن ماجه في السنن: كتاب الهبات: باب الرجل ينحل ولده 2/795 رقم (2375، 2376)، كلهم من حديث النعمان بن بشير عن أبيه مرفوعا، ولفظه كما في مسلم: أن النعمان بن بشير قال: تصدّق علي أبي ببعض ماله، فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليشهد على صدقتي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا، قال: "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم". [↑](#footnote-ref-278)
278. - هذه الرواية أخرجها مسلم في الصحيح: كتااب الهبات: باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة 3/1244 رقم (1624) من حديث جابر مرفوعا. [↑](#footnote-ref-279)
279. - الحديث بروايتيه أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: كتاب الخلافة: باب في أئمة الظلم والجور وأئمة الضلالة 5/238، 239 من حديث معقل بن يسار مرفوعا، وعقب عليه بقوله: "رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما منيع، قال ابن عدي: له أفراد، وأرجو أنه لا بأس به، وبقية رجال الأول ثقات". [↑](#footnote-ref-280)
280. - الحديث بروايتيه أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: كتاب الخلافة: باب في أئمة الظلم والجور وأئمة الضلالة 5/238، 239 من حديث معقل بن يسار مرفوعا، وعقب عليه بقوله: "رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما منيع، قال ابن عدي: له أفراد، وأرجو أنه لا بأس به، وبقية رجال الأول ثقات". [↑](#footnote-ref-281)
281. - الحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد :: كتاب الخلافة: باب في العدل والجرور 5/197 من حديث أنس t مرفوعا، وعقب عليه بقوله: "رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله في الثقات". [↑](#footnote-ref-282)
282. - جزء من حديث طويل سيأتي تخريجه في الحاششية القادمة. [↑](#footnote-ref-283)
283. - لحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب اللأدب: باب ما ينهي عن التحاسد والتدابر: )يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّن(، 8/23، ومسلم في الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظن والتجسس 4/1985، 1986 رقم (2563، 2564)، وأبو داود في السنن: كتاب الأدب، باب في الظن 4/280 رقم (4917)، كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعا، هذا وللحديث تخريج أوسع وجامع لكل الألفاظ التي روي بها في كتابنا: "غاية البيان في شرح مختارات من السنن 1/67 " فليراجعه من أراد. [↑](#footnote-ref-284)
284. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االأدب: باب ما ينهي عن التحاسد والتدابر: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّن}، 8/23، ومسلم في الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظن والتجسس 4/1985، 1986 رقم (2563، 2564)، وأبو داود في السنن: كتاب الأدب، باب في الظن 4/280 رقم (4917)، كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعا، هذا وللحديث تخريج أوسع وجامع لكل الألفاظ التي روي بها في كتابنا: "غاية البيان في شرح مختارات من السنن 1/67 " فليراجعه من أراد. [↑](#footnote-ref-285)
285. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االأدب: باب رحمة الناس والبهائم 8/12، ومسلم في الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم 4/1999، 2000 رقم (2586)، كلاهما من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعا. [↑](#footnote-ref-286)
286. - راجع هاتين الآفتين في الجزء الأول من ههذا الكتاب "آفات على الطريق". [↑](#footnote-ref-287)
287. - لحديث أورده الألباني في سلسلة الأحاديثث الصحيحة 3/29 رقم (1033)، وعزاه إلى الطبراني في الأوسط والدارقطني في السنن، وأحمد في المسند من حديث ابن أبي مليكة عن عبد الله بن حنظلة الراهب موقوفا ومرفوعا، ثم عقب بقوله: "ثم إن الموقوف في حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال بمجرد الرأي كما لا يخفى". [↑](#footnote-ref-288)
288. - الحديث أخرجه أحمد في المسند 2/153 من ححديث نافع عن ابن عباس قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيع حاضر لباد، وكان يقول: "لا تلقوا البيوع..."، الحديث، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة 3/27 رقم (1030)، وعزاه إلى أحمد في المسند عن ابن عمر، وعقب عليه بقوله: "قلت: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وقد أخرجاه بنحوه مفرقا...". [↑](#footnote-ref-289)
289. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االأدب: باب الوصاة بالجار 8/12، ومسلم في الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب الوصية بالجار والإحسان إليه 4/2025 رقم (2624، 2625)، كلاهما من حديث ابن عمر وعائشة مرفوعا، وأبو داود في السنن: كتاب الأدب، باب في حق الجوار 4/338، 339 رقم (5151، 5152)، ولفظ حديث ابن عمرو: أنه ذبح شاة، فقال: أهديتهم لجاري اليهودي فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما زال جبريل"، وساق الحديث، والترمذي في السنن: كتاب البر والصلة: باب ما جاء في حق الجوار 4/293، 294 رقم (1942) من حديث عائشة مرفوعا، وعقب عليه بقوله: "هذا حديث حسن صحيح، ورقم (1943) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا بلفظ أبي داود المتقدم، وعقب عليه بقوله: "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد روى هذا الحديث عن مجاهد، عن عائشة وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضا"، وابن ماجه في السنن: كتاب الأدب، باب حق الجوار 2/1211 رقم (3673) من حديث عائشة مرفوعا، ورقم (3674) من حديث أبي هريرة وعقب عليه البوصيري في مصباح الزجاجة : كتاب الأدب: باب حق الجار 4/102 بقوله: "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، رواه ابن حبان في صحيحه من طرق داود بن فراهيم، عن أبي هريرة به، وله شاهد في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة، وأبي شريح، ورواه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو، ورواه الترمذي في الجامع من حديث عبد الله بن عمرو"، وأحمد في المسند 2/85 من حديث ابن عمر مرفوعا 2/165 من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا، 2/259 من حديث أبي هريرة، وفي رواية أخرى 2/305 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أتاني جبريل عليه السلام، فقال: إني كنت أتيتك الليلة، فلم يمنعني أن أدخل عليك البيت الذي أنت فيه إلا أنه كان في البيت تمثال رجل..." الحديث، وفي آخره: "وما زال يوصيني بالجار حتى ظننت، أو رأيت أنه سيورثه" 2/445، 458، 514 من حديث أبي هريرة أيضا، 5/32، 365 من حديث رجل من الأنصار قال: خرجت من أهلي أريد النبي صلى الله عليه وسلم فإذا أنا به قائم، ورجل معه مقبل عليه، فظننت أن لهما حاجة، فقال الأنصاري: والله لقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعلت أرثي لرسول الله من طول القيام، فلما انصرف قلت: يا رسول الله : لقد قام بك الرجل، حتى جعلت أرثي لك من طول القيام، قال: "ولقد رأيته؟" قلت: نعم: قال: "أتدري من هو؟" قلت: لا، قال: "ذاك جبريل عليه السلام ما زال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"، ثم قال: " أما إنك لو سلمت عليه رد عليك السلام"، 6/52، 91، 125، 187، 238، من حديث عائشة مرفوعا. [↑](#footnote-ref-290)
290. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االأدب: باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره 8/13، ومسلم في الصحيح: كتاب الإيمان: باب الحث على إكرام الجار... إلخ 1/69 رقم (48) من حديث أبي شريح العدوي الخزاعي مرفوعا، 1/68، 69 ورقم (47) من حديث أبي هريرة مرفوعا، وابن ماجه في السنن: كتاب الأدب: باب حق الجوار 2/1211 رقم (3672) من حديث أبي شريح العدوي الخزاعي مرفوعا، والدارمي في السنن: كتاب الأطعمة: باب في الضيافة 2/98 من حديث أبي شريح الخزاعي مرفوعا، ومالك في الموطأ: كتاب صفة النبي صلى الله عليه وسلم: باب جامع ما جاء في الطعام والشراب ص 578 رقم (22) من حديث أبي شريح الكعبي مرفوعا. [↑](#footnote-ref-291)
291. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االأدب: باب الهجرة، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث 81/26، وكتاب الاستئذان: باب السلام للمعرفة وغير المعرفة 8/65، ومسلم في الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي 4/1984 رقم (2560)، كلاهما من حديث أبي أيوب الأنصاري مرفوعا بهذا اللفظ ورقم (2561) من حديث ابن عمر بلفظ: "لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام" وأبو داود في السنن: كتاب الأدب: باب فيمن يهجر أخاه المسلم 4/278، 279 رقم (4911) من حديث أبي أيوب مرفوعا، ورقم (4912، 4914) من حديث أبي هريرة بنحوه، ورقم (4913) من حديث عائشة: بنحوه، والترمذي في السنن: كتاب البر والصلة: باب ما جاء في كراهية الهجر للمسلم 4/228، 289 رقم (1932) من حديث أبي أيوب مرفوعا، وعقب عليه بقوله: "هذا حديث حن صحيح، وأحمد في المسند 1/176، 183 من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعا بلفظ: "قتال المؤمن كفر، وسبابه فسوق، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام 1، 3/110، 165، 199، 209، 225 من حديث أنس مرفوعا بنحوه، 4/20 من حديث هشام بن عامر بنحوه، 4/327، 328 من حديث عائشة مرفوعا بنحوه، 5/416، 421، 422 من حديث أبي أيوب مرفوعا. [↑](#footnote-ref-292)
292. - هذه الرواية بهذا اللفظ أخرجها مسلم في الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي 4/1984 رقم 27 (2562) من حديث أبي هريرة مرفوعا. [↑](#footnote-ref-293)
293. - الحديث أخرجه الترمذي في السنن: كتاب صففة القيامة والرقائق والورع: باب (54) 4/571 رقم (2506) من حديث وائلة بن الأسقع مرفوعا بهذا اللفظ، وعقب عليه بقوله: "هذا حديث حسن غريب". [↑](#footnote-ref-294)
294. - سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-295)
295. - سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-296)
296. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االأدب: باب الهجرة، وقول الرسول: "لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث) 8/25 من حديث عوف بن مالك بن الطفيل عن عبد الله بن الزبير بهذا اللفظ. [↑](#footnote-ref-297)
297. - جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في الصححيح: كتاب الشهادات: باب تعديل النساء بعضهن بعضا 3/227 - 231، وكتاب المغازي: باب حديث الإفك 5/148- 154، وكتاب التفسير: سورة النور: باب منه 6/127 - 132، ومسلم في الصحيح: كتاب التوبة: باب في حديث الإفك وقبوله توبة القاذف 4/2129 - 2137 رقم (2770)، والترمذي في السنن: كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة النور 5/310- 314 رقم (3180)، وأحمد في المسند 6/59 - 61، 194 - 197، كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها وعقب الترمذي على حديثه بقوله: (هذا حديث حسن صحيح غريب) من حديث هشام بن عروة، وقد رواه يونس بن يزيد، ومعمر وغير واحد عن الزهري، عن عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص الليثي، وعبيد الله ابن عبد الله، عن عائشة هذا الحديث أطول من حديث هشام بن عروة، وأتم". [↑](#footnote-ref-298)
298. - انظر: فقه الزكاة 1/406- 410 . [↑](#footnote-ref-299)
299. - انظر: فقه الزكاة 1/406- 410 . [↑](#footnote-ref-300)
300. - انظر: لسان العرب 6/238، ومختار الصحاح ص 451، 452، والمعجم الوسيط 2/940، مادة: نفس"، وانظر كذلك: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي 5/427، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني 11/245 بتصرف كثير. [↑](#footnote-ref-301)
301. - انظر: لسان العرب 14/271 - 275، والمعجمم الوسيط 1/298، 299 بتصرف كثير . [↑](#footnote-ref-302)
302. - انظر: المنهاج للنووي 5/427، وعنه نقل اابن حجر في قح الباري 11/245. [↑](#footnote-ref-303)
303. - انظر: مختصر تفسير ابن كثير 2/499. [↑](#footnote-ref-304)
304. - (نقول كما أمرنا الله) أي نحمده، ونشكرهه، ونسأله المزيد من فضله، انظر: تعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم 4/2274 نقلا عن المنهاج للنووي. [↑](#footnote-ref-305)
305. - (نقول كما أمرنا الله) أي نحمده، ونشكرهه، ونسأله المزيد من فضله، انظر: تعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم 4/2274 نقلا عن المنهاج للنووي. [↑](#footnote-ref-306)
306. - (فتجعلون بعضهم على رقاب بعض) أي فتجعلوون بعضهم أمراء على بعض انظر: تعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي علي صحيح مسلم 4/2275 نقلا عن المنهاج للنووي، والحديث أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الزهد والرقائق: باب منه 4/2274، 2275 رقم (2962)، وابن ماجه في السنن: كتاب الفتن: باب فتنة المال 2/1324 رقم (3996) كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا واللفظ لمسلم. [↑](#footnote-ref-307)
307. - الحديث بروايته أخرجه مسلم في الصحيح: ككتاب الزهد والرقائق: باب منه 4/2275 رقم (2963)، والترمذي في السنن: كتاب اللباس: باب ما جاء في ترقيع الثوب 4/215، 216 رقم (1785)، وكتاب صفة القيامة والرقائق والورع: باب (58) 4/574 رقم (2513) وعقب الترمذي على إحدى هاتين الروايتين بقوله: "هذا حديث صحيح"، وابن ماجه في السنن: كتاب الزهد: باب القناعة 2/1387 رقم (4142)، كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعا، واللفظ لمسلم. [↑](#footnote-ref-308)
308. - الحديث بروايته أخرجه مسلم في الصحيح: ككتاب الزهد والرقائق: باب منه 4/2275 رقم (2963)، والترمذي في السنن: كتاب اللباس: باب ما جاء في ترقيع الثوب 4/215، 216 رقم (1785)، وكتاب صفة القيامة والرقائق والورع: باب (58) 4/574 رقم (2513) وعقب الترمذي على إحدى هاتين الروايتين بقوله: "هذا حديث صحيح"، وابن ماجه في السنن: كتاب الزهد: باب القناعة 2/1387 رقم (4142)، كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعا، واللفظ لمسلم. [↑](#footnote-ref-309)
309. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االجنائز: باب الصلاة على الشهيد 2/114، 115، وكتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام 4/240، وكتاب المغازي: باب غزوة أحد، وباب أحد جبل يحبنا 5/120، 132، وكتاب الرقاق: باب في الحوض 8/151، ومسلم في الصحيح: كتاب الفضائل: باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته 4/1795، 1796 رقم (2296)، وأحمد في المسند 4/149، كلهم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعا، واللفظ للبخاري. [↑](#footnote-ref-310)
310. - جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في الصححيح: كتاب الزكاة: باب الصدقة على اليتامى 2/149، 150، وكتاب الجهاد: باب فضل النفقة في سبيل الله 4/32، ومسلم في الصحيح: كتاب الزكاة: باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا 2/727- 729 رقم (1052)، والنسائي في السنن: كتاب الزكاة: باب الصدقة على اليتيم 5/90، 91 رقم (2581)، والكبرى: كتاب الزكاة: باب الصدقة على اليتيم 2/48 رقم 2362)، وابن ماجة في السنن: كتاب الفتن: باب فتنة المال 2/1323 رقم (3995)، وأحمد في المسند 3/7، 21، 91، كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا واللفظ للبخاري. [↑](#footnote-ref-311)
311. - انظر: إحياء علوم الدين للغزالي 3/ 304،، 307. [↑](#footnote-ref-312)
312. - انظر: إحياء علوم الدين للغزالي 3/ 304،، 307. [↑](#footnote-ref-313)
313. - انظر: جامع البيان 24/11/41، وعنه نقل االسيوطي في الدر المنثور 7/375 مع تقديم وتأخير. [↑](#footnote-ref-314)
314. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب ببدء الخلق: باب ذكر الملائكة 4/135، وكتاب الأنبياء: باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته وقول الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَة} 49/161، 162، وكتاب القدر: باب منه 8/152، وكتاب التوحيد: باب قوله تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِين} 9/165، 166، ومسلم في الصحيح: كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه 4/2036، 2037 رقم (2643)، وأبو داود في السنن: كتاب السنة: باب في القدر 4/228 رقم (4708)، والترمذي في السنن كتاب القدر: باب ما جاء أن الأعمال بالخواتيم 4/388، 389 رقم (2137)، وعقب الترمذي على حديثه بقوله: "هذا حديث حسن صحيح"، والنسائي في السنن الكبرى: كتاب التفسير: باب قوله تعالى: {فمنهم شقي ومنهم سعيد} 6/366 رقم (11246)، وابن ماجة في السنن: المقدمة: باب في القدر 1/29 رقم (76)، وأحمد في المسند 1/382، 414، 430، كلهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا، واللفظ للبخاري. [↑](#footnote-ref-315)
315. - انظر: إحياء علوم الدين 2/251. [↑](#footnote-ref-316)
316. - انظر: إحياء علوم الدين 2/251. [↑](#footnote-ref-317)
317. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االرقاق: باب ما يتقى من فتنة المال 8/115 من حديث ابن عباس، وابن الزبير، وأنس بن مالك مرفوعا، ومسلم في الصحيح: كتاب الزكاة: باب لو أن لابن آدم واديين لابتنى ثالثا 2/725، 726 رقم (1048- 1050) من حديث أنس بن مالك، وابن عباس، وأبي موسى الأشعري مرفوعا، والدارمي في السنن: كتاب الرقاق: باب لو كان لابن آدم واديان من مال 2/318، 319 من حديث أنس بن مالك مرفوعا، وأحمد في المسند 3/341، 347؛ من حديث أنس ابن مالك بمثله، ومن حديث جابر بن عبد الله بنحوه، 5/117 من حديث ابن عباس، 131، 132 من حديث أبي بن كعب، 219 من حديث أبي واقد الليثي. [↑](#footnote-ref-318)
318. - الحديث سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-319)
319. - الحديث سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-320)
320. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االرقاق: باب في الأمل وطوله 8/110، 111، والترمذي في السنن: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع: باب (22) 4/635، 636 رقم (2454) وعقب الترمذي على رواية قائلا: "هذا حديث صحيح"، وابن ماجه في السنن: كتاب الزهد: باب الأمل والأجل 2/1414 رقم (4231)، والدارميُّ في السنن: كتاب الرقاق: باب في الأمل والأجل 2/304، وأحمد في المسند 1/385، كلهم من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا، واللفظ للبخاري. [↑](#footnote-ref-321)
321. - الحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد: كتاب الزهد: باب في جمود العين وقسوة القلب 10/229 وقال: "رواه البزار، وفيه هانئ بن المتوكل وهو ضعيف". [↑](#footnote-ref-322)
322. - الحديث أورده ابن كثير في تفسير القرآن العظيم 2/559 من حديث معاذ بن جبل مرفوعا به، وعزاه إلى ابن أبي حاتم. [↑](#footnote-ref-323)
323. - الحديث أورده ابن كثير في تفسير القرآن العظيم 2/559 من حديث معاذ بن جبل مرفوعا به، وعزاه إلى ابن أبي حاتم. [↑](#footnote-ref-324)
324. - الحديث أورده ابن كثير في تفسير القرآن العظيم 4/547 من حديث ابن عباس مرفوعا، وعزاه إلى أبي بكر البزار، وأنه - أي البزار - عقب عليه قائلا: "لا نعرفه إلا بهذا الإسناد". [↑](#footnote-ref-325)
325. - تربع، يعني تأخذ ربع الغنيمة، يقال: ربععت القوم أربعهم: إذا أخذت ربع أموالهم، يريد الحق سبحانه: ألم أجعلك رئيسا مطاعا لأن الملك كان يأخذ الربع من الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه انظر : النهاية فيي غريب الحديث والأثر 2/60. [↑](#footnote-ref-326)
326. - الحديث أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الزههد والرقائق 4/2279، 2280 رقم (2968)، والترمذي في السنن: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع: باب (6) 4/534، 535رقم (2428) وعقب الترمذي عليه بقوله: "هذا حديث صحيح غريب"، وأحمد في المسند 2/492 كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا، واللفظ لمسلم. [↑](#footnote-ref-327)
327. - الحديث أخرجه الترمذي في السنن: كتاب اللزهد: باب ما جاء في ذكر الموت 4/479 رقم (2307) وعقب الترمذي عليه بقوله: "هذا حديث حسن غريب، من حديث أبي هريرة مرفوعا بهذا اللفظ، كما أخرجه على أنه جزء حديث طويل في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع: باب (26) 4/551 رقم (2460) وعقب عليه الترمذي بقوله: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مصلاه فرأى أناسا يكتشرون (يعني: تظهر أسنانهم من الضحك)، قال: " أما إنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى، الموت، فأكثروا من ذكر هاذم اللذات، الموت..." الحديث، والنسائي في السنن: كتاب الجنائز: باب ذكر الموت 4/4 رقم (1824) والكبرى: كتاب الجنائز وتمني الموت: باب كثرة ذكر الموت 1/605، 601 رقم (1950) من حديث أبي هريرة مرفوعا، وابن ماجه في السن: كتاب الزهد: باب ذكر الموت والاستعداد له 2/1422 رقم (4258) من حديث أبي هريرة مرفوعا، وأحمد في المسند 2/292، 293 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا، وقوله "هادم اللذات" بالذال المعجمة بمعنى قاطعها، أو بالمهملة من هدم البناء، والمراد الموت، وهو هاذم اللذات، إما لأن ذكره يُزهده فيها، أو لأنه إذا جاء ما يُبقي من لذائذ الدنيا شيئا، والله تعالى أعلم، قاله الحافظ السيوطي في زهر الرُّبي 4/4 بهامش المجتبى. [↑](#footnote-ref-328)
328. - انظر: تهذيب تاريخ دمشق للشيخ عبد القاددر بن بدران 6/220، 221. [↑](#footnote-ref-329)
329. - الحديث سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-330)
330. - الحديث سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-331)
331. - الأثر سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-332)
332. - الأثر سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-333)
333. أسمالهم: جمع سمل وهو: الخلق من الثياب.. انظر: النهاية في شرح غريب الحديث والأثر 2/183. [↑](#footnote-ref-334)
334. - المأفون: ناقص العقل، يقال: رجل أفين، وومأفون: ناقص العقل. انظر ة النهاية في غريب الحديث 1/36. [↑](#footnote-ref-335)
335. - انظر هذه الأخبار في تهذيب تاريخ دمشق 66/226، 227. [↑](#footnote-ref-336)
336. - انظر هذه الأخبار في تهذيب تاريخ دمشق 66/226، 227. [↑](#footnote-ref-337)
337. - انظر: لسان العرب لابن منظور 4/207، 2088، والمعجم الوسيط 1/187، مادة: "حقر" بتصرف. [↑](#footnote-ref-338)
338. - زء من حديث أخرجه أحمد في المسند 1/4522، 403 من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا، كمثل قوم في نزلوا في أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سوادا فأججوا نارا وأنضجوا ما قذفوا فيها"، 5/331 من حديث سهل بن سعد رفعه: "إياكم ومحقرات الذنوب، وإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاءوا بعود، وجاؤوا بعود حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه" وإسناده - كما يقول ابن حجر في فتح الباري 11/329: "حسن"، 6/70، 151، من حديث عائشة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يا عائشة، إياك ومحقرات الذنوب، فان لها من الله - عز وجل - طالبا".

     أخرج ابن ماجه في السنن: كتاب الزهد: باب ذكر الذنوب 2/1417 رقم (4243) نحوه من حديث عائشة قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا عائشة، إياك ومحقرات الأعمال، فإن لها من الله طالبا"، وعقب عليه البوصيري في مصباح الزجاجة 4/245 بقوله: "هذا إسناد صحيح، ورجاله ثقات، والدارميُّ في السنن: كتاب الرقاق: باب في المحقرات 2/303 من حديث عائشة بلفظ أحمد، وأورده ابن حجر في فتح الباري 11/329 من حديث سهل بن سعد رفعه، وعقب عليه بقوله: " أخرجه أحمد بسند حسن، ونحوه عند أحمد، والطبراني من حديث ابن مسعود، وعند النسائي وابن ماجة عن عائشة؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: "يا عائشة، إياك ومحقرات الذنوب، فان لها من الله طالبا، وصححه ابن حبان. [↑](#footnote-ref-339)
339. - انظر: لسان العرب 12/608 - 611، والمعجمم الوسيط 2/985، مادة "هزم" بتصرف كثر. [↑](#footnote-ref-340)
340. - الحديث أخرجه ابن ماجة في السنن: كتاب االفتن: باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 2/1328 رقم (4058)، وعقب عليه البوصيري 4/182 بقوله: "هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، وأحمد في المسند 3/30، 47، 48، 73، 91، 92 كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه مرفوعا، واللفظ لابن ماجه، ولأحمد في بعض رواياته. [↑](#footnote-ref-341)
341. - الحديث أخرجه ابن ماجة في السنن: كتاب االفتن: باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 2/1328 رقم (4058)، وعقب عليه البوصيري 4/182 بقوله: "هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، وأحمد في المسند 3/30، 47، 48، 73، 91، 92 كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه مرفوعا، واللفظ لابن ماجه، ولأحمد في بعض رواياته. [↑](#footnote-ref-342)
342. - انظر: المحرر 9/324، 325. [↑](#footnote-ref-343)
343. - نظر: مختصر تفسير ابن كثير 2/254 و تفسسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى في مزايا القرآن الكريم 4/2/286. [↑](#footnote-ref-344)
344. - انظر: روح المعاني 13/5/5. [↑](#footnote-ref-345)
345. - انظر: روح المعاني 13/5/5. [↑](#footnote-ref-346)
346. - جزء من حديث أخرجه البخاري في الصحيح: ككتاب النكاح: باب الترغيب في النكاح 7/2، ومسلم في الصحيح: كتاب النكاح: باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم 2/102 رقم (1401)، والنسائي في السنن: كتاب النكاح: باب النهي عن التبتل 6/60 رقم (3217)، والكبرى: كتاب النكاح: باب النهي عن التبتل 3/264 رقم (5324)، وأحمد في المسند 3/241، 259، 285، كلهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا، ولفظه كما عند البخاري: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قد غفر الله ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا، فأنا أصلي الليل أبدا، وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " أنتم الذين قلتم: كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني". [↑](#footnote-ref-347)
347. - من حديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الأنبياء: باب قول الله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ} 4/163، 164، وكتاب التفسير: باب {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} 6/105 - 107، ومسلم في الصحيح: كتاب الإيمان: باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها 1/184 - 186 رقم (194)، وكتاب الفضائل: باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق 4/ 1782 رقم (2278)، والترمذي في السنن: باب صفة القيامة والرقائق والورع: باب ما جاء في الشفاعة 4/537 - 539 رقم (2434)، والدارمي في السنن: المقدمة: باب ما أعطي النبي صلى الله عليه وسلم من الفضل 1/27، 28، وأحمد في المسند 1/281، 282، 295، 296، 2/435، 436، 540، 3/2، 144، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا، إلا الدارمي فإنه عنده من رواية أنس بن مالك، وزاد أحمد رواية له من طريق ابن عباس، وأخرى من طريق أنس بن مالك. [↑](#footnote-ref-348)
348. - الحديث أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الإييمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعا" 1/ 188 رقم (196) من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه مرفوعا بهذا اللفظ، وأخرج نحوه ابن ماجة في السنن: كتاب الزهد: باب ذكر الحوض 2/1438 رقم (4301) من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن لي حوضا ما بين الكعبة وبيت المقدس، أبيض مثل اللبن، آنيته عدد النجوم، وإني لأكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة) إلا أن في إسناده عطية العوفي وهو - كما يقول ابن حجر في التقريب 2/24 رقم (216): صدوق يخطئ كثيرا كان شيعيا مدلسا، يعني بهذا: أنه ضعيف كما ذكر الشهاب البوصيري في مصباح الزجاجة 4/259، وأحمد في المسند 2/341، 451 من حديث أبي هريرة مرفوعا بلفظ: "ما من الأنبياء نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله - عز وجل - إلي، وأرجو أن أكون أكثرهم تبعا يوم القيامة). [↑](#footnote-ref-349)
349. - انظر: فتح الباري 5/408. [↑](#footnote-ref-350)
350. - الحديث أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الحييض: باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين 1/271، 272 رقم (349) من حديث أبي موسى الأشعري عن عائشة مرفوعا بهذا اللفظ. [↑](#footnote-ref-351)
351. - الحديث أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الحييض: باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين 1/271، 272 رقم (349) من حديث أبي موسى الأشعري عن عائشة مرفوعا بهذا اللفظ. [↑](#footnote-ref-352)
352. - انظر: فتح الباري 9/51. [↑](#footnote-ref-353)
353. - سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-354)
354. - سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-355)
355. - لخبر أورده ابن المبارك في كتاب الزهد :: باب التواضع ص 292 رقم (852) من حديث المبارك بن فضالة عن الحسن بهذا اللفظ. [↑](#footnote-ref-356)
356. - لخبر أورده ابن المبارك في كتاب الزهد :: باب التواضع ص 292 رقم (852) من حديث المبارك بن فضالة عن الحسن بهذا اللفظ. [↑](#footnote-ref-357)
357. - انظر: بدائع الصنائع للكساني 4/178، 1799 بتصرف. [↑](#footnote-ref-358)
358. - الحديث أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب فضائئل الصحابة: باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه 4/1929 رقم (2482)، وأحمد في المسند 3/159، -174، 195، 227، 228، 235، كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا، واللفظ لأحمد في إحدى رواياته. [↑](#footnote-ref-359)
359. - الحديث أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب فضائئل الصحابة: باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه 4/1929 رقم (2482)، وأحمد في المسند 3/159، -174، 195، 227، 228، 235، كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعا، واللفظ لأحمد في إحدى رواياته. [↑](#footnote-ref-360)
360. - الحديث سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-361)
361. - الحديث أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الصصيد والذبائح: باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة 3/1548 رقم (1955)، وأبو داود في السنن: كتاب الأضاحي: باب في النهي أن تصبر البهائم والرفق بالذبيحة 3/100 رقم (2815)، والترمذي في السنن: كتاب الديات: باب ما جاء في النهي عن المثلة 4/16 رقم (1409) وعقب عليه الترمذي بقوله: "هذا حديث حسن صحيح"، وابن ماجه في السنن: كتاب الذبائح: باب إذا ذبحتم فاحسنوا الذبح 2/1058 رقم (3170)، والنسائي في السنن الكبرى: كتاب الضحايا: باب الأمر بإحداد الشفرة 3/62، 63 رقم (4494): وباب حسن الذبح 3/64، 65 رقم (4501 - 4503)، والنسائي في السنن: كتاب الضحايا: باب الأمر بإحداد الشفرة 7/227 رقم (4405): وباب ذكر المنفلتة التي لا يقدر على أخذها 7/229 رقم (4411): وباب حسن الذبح 7/229، 230 رقم (4412 - 4414) والدارمي في السنن: كتاب الأضاحي: باب في حسن الذبيحة 2/82، كلهم من حديث شداد بن أوس مرفوعا. [↑](#footnote-ref-362)
362. - الحديث أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الصصيد والذبائح: باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة 3/1548 رقم (1955)، وأبو داود في السنن: كتاب الأضاحي: باب في النهي أن تصبر البهائم والرفق بالذبيحة 3/100 رقم (2815)، والترمذي في السنن: كتاب الديات: باب ما جاء في النهي عن المثلة 4/16 رقم (1409) وعقب عليه الترمذي بقوله: "هذا حديث حسن صحيح"، وابن ماجه في السنن: كتاب الذبائح: باب إذا ذبحتم فاحسنوا الذبح 2/1058 رقم (3170)، والنسائي في السنن الكبرى: كتاب الضحايا: باب الأمر بإحداد الشفرة 3/62، 63 رقم (4494): وباب حسن الذبح 3/64، 65 رقم (4501 - 4503)، والنسائي في السنن: كتاب الضحايا: باب الأمر بإحداد الشفرة 7/227 رقم (4405): وباب ذكر المنفلتة التي لا يقدر على أخذها 7/229 رقم (4411): وباب حسن الذبح 7/229، 230 رقم (4412 - 4414) والدارمي في السنن: كتاب الأضاحي: باب في حسن الذبيحة 2/82، كلهم من حديث شداد بن أوس مرفوعا. [↑](#footnote-ref-363)
363. - انظر: كتاب الفتن 5/126 رقم (19103)، وععنه نقل علاء الدين الهندي في كنز العمال 5/780 رقم (14367). [↑](#footnote-ref-364)
364. - انظر: كتاب الفتن 5/126 رقم (19103)، وععنه نقل علاء الدين الهندي في كنز العمال 5/780 رقم (14367). [↑](#footnote-ref-365)
365. - الحديث أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب االنكاح: باب إذا زوج ابنته وهي كارهة 7/23، وأبو داود في السنن: كتاب النكاح: باب في الثيب 2/233 رقم (2101)، والنسائي في السنن: كتاب النكاح: باب الثيب يزوجها أبوها وهي كارهة 6/86 رقم (3268)، وابن ماجة في السنن: كتاب النكاح: باب من زوج ابنته وهي كارهة 1/602 رقم (1873)، كلهم من حديث الخنساء بنت خذام الأنصارية مرفوعا، واللفظ لأبي داود. [↑](#footnote-ref-366)
366. - سبق تخريجه. [↑](#footnote-ref-367)
367. - انظر: حياة الصحابة للكاندهلوي 1/220، 2221، 3/688 - 690 نقلا عن ابن جرير بتصرف كثير. [↑](#footnote-ref-368)
368. - انظر: حياة الصحابة للكاندهلوي 1/220، 2221، 3/688 - 690 نقلا عن ابن جرير بتصرف كثير. [↑](#footnote-ref-369)
369. - 108- 110 نفس المصدر . [↑](#footnote-ref-370)
370. - سبق تخريجه في الجزء الثالث "آفة التسوييف". [↑](#footnote-ref-371)
371. - سبق تخريجه في الجزء الثالث "آفة التسوييف". [↑](#footnote-ref-372)